الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحاج لخضر لخضر

باتنة

وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد
دراسة تحليليّة في ضوء نظريّة الحجاج

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربية

التخصص: اللّسانيات العامة

من إنـــجاز الطالبة :

سليمة محفوظي

تحت إشراف الأستاذ :محمد بوعمامة

لجنة المناقشة

الدكتور عبد الكريم بوزنان	رئيسا	جامعة باتنة
الدكتور محمد بوعمامة	مقررا	جامعة باتنة
الدكتور صلاح الدين ملاوي	مناقشا	جامعة بسكرة
الدكتورة زغدودة ذياب	مناقشة	جامعة باتنة

السنة الجامعية: 2011/2010

بسم الله الرحمان الرحيم

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

الآية: 258سورة البقرة

شكر وعرفان

قد قيل: من لا يشكر الله لا يشكر النّاس،فالشّكر لله أولا،ثم

الشّكر لأستاذي الدكتور محمد بوعمامة الّذي ساعدني كثيرا

سواء بالمراجع المفيدة أو بالنّصائح القيّمة فجازاكم الله كلّ الخير

ودمتم مرجعا لكلّ طالب علم

ولا أنسى أن أشكر رئيس المشروع الأستاذ الدكتور عبد الكريم

بورنان الّذي سهر على حسن سير الدّراسة طيلة السنة الجامعية

رفقة ثلّة من الأساتذة الأفاضل وهم الأستاذ الدكتور جودي

مرداسي

الأستاذ بالقاسم ابرير و الأستاذ عبد الرزّاق زرقين

و الأستاذ ابن ابراهيم

الطالبة سليمة محفوظي

شكر خاص

أتقدم بشكري الخاص إلى:

الزوج المحترم الذي ساعدني بتشجيعه

وصبره إلى أولادي الذين

تفهموا انشغالي إلى زملائي في درب الدّراسة

نعيمة، نضيرة، حليمة، صورية....

إلى كل من ساعدني قليلا أو كثيرا...

المقدمة

بعد التّطور الذي عرفته الدّراسات اللّسانية والذي تجلى في نشأة الدّراسات اللّسانية التّداولية اتّضح أن عزل اللّغة عن الواقع أي دراستها في ذاتها ومن أجل ذاتها، لم يعد له اليوم ضرورة علمية، فانتقل الاهتمام في الدّراسات اللّسانية من الوصف إلى بحث أساليب الاستعمال ومقاماته.

وقد تنبه بعض الباحثين إلى وظيفة أخرى تقوم بها اللّغة عدا التّبليغ والتّواصل هي الوظيفة الحجاجية Argumentative فالحجاج يقوم على دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذّهن إلى التّسليم بما يعرض عليه من أفكار. وقد ظهرت عدّة نظريات في التّقاليد الغربيّة تحلّل الكلام باعتباره فعلا حجاجيا. والمتطلّع في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة يجد دون شكّ آراء وتصوّرات حول الحجاج وأشكاله سواء عند الأصوليّين واللّغويّين وعلماء الحديث والنّحاة كما نستطيع العثور عليه في الشّعر، والخطابة والمقامة ... الخ.

ولهذه الأهميّة الأدبيّة والاجتماعيّة وقع اختياري على خطبة طارق بن زياد باعتبارها أقدم نص أدبي مغربي.

يمكن صياغة مشكلة البحث الأساسيّة في العبارة التّاليّة: كيف يمكن تحديد معالم الخطاب الحجاجي في خطبة "طارق بن زياد" في ضوء منظومة من الخطب تعكس مدى الاستجابة لأغراض فن الخطابة في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة التّقليديّة والتّوفيق بينهما وبين قواعد التّخاطب الحديثة ولعل هذا المسعى البحثي سيسمح بتحقيق جملة من الأهداف نوردها فيما يلي:

1- تسليط الضّوء على تطور نظريات الحجاج قديما وحديثا.
2- ابراز أهم مرتكزات الحجاج البلاغي في ضوء نظريّة البلاغة الجديدة.
3- الكشف عن المنطق الحجاجي المتبع في نص الخطبة.

ولتحقيق هذه الأهداف كان العمل يسير وفق الخطة التّالية حيث قسمنا البحث إلى أربعة فصول تسبقهم مقدمة وتتلوهم خاتمة.

<u>الفصل الأول:</u> فمدار الاهتمام فيه **الحجاج** بعنوان "**تاريخ الحجاج**" حيث عرض فيه:

1- الحجاج عند قدماء اليونان عموما وأرسطو خصوصا: فلا أحد ينكر دوره في التّنظير لهذا الموضوع، وإن لم يكن عمله في الحجاج تم باعتباره مبحثا خالصا.
2- الحجاج عند العرب: حاول البحث تأكيد أصالة الحجاج عندهم، وأنّهم ليسوا مجرد نقلة لفكر أرسطو مع توضيح أهم الأجناس الحجاجية التّي مارسوها.
3- الحجاج عند الغربييّن المحدثين: سعى البحث لإبراز أهمّ النّظريات المعاصرة خاصة عمل **ديكرو وأوسكمبر** اللّذين يربطان الحجاج باللّغة.
4- البيان والحجاج والخطابة والبلاغة بين تراثنا والبلاغة الحديثة من خلال البيان والتّبييّن لنكشف العلاقة بينهم.

<u>أما الفصل الثّاني</u>: فبعنوان الحجاج مفهومه وآلياته اللّسانية والمنطقيّة تعرضنا فيه إلى:

1- تعريف الحجاج.
2- الخصائص اللّسانيّة، نقوم باستقراء الوسائل اللّغويّة في الحجاج كالتّكرار، الحذف ... الخ.
3- الخصائص المنطقيّة حاولنا التّعرض للتقنيات الحجاجيّة كطرائق الوصل أو الاتّصال كالحجج شبه المنطقيّة، التّناقض وعدم الاتفاق، التّماثل ... والطّرائق الانفصاليّة، كالشّاهد والتّمثيل، حجة السّلطة.

<u>الفصل الثّالث</u>: جعلناه للدّراسة التّطبيقيّة بعنوان "**التّحليل النّصي الحجاجي لخطبة طارق بن زياد**" وقد تضمّن:

التّعريف بصاحب الخطبة نسبه، مولده، المناسبة التي ألقى فيها هذه الخطبة.

الخصائص اللّغوية أو التّقنيات اللّسانيّة التي وردت في الخطبة وعملت على تقوية حجاجية الخطبة، كالرّبط النّصي ... الخ.

تقنيات المحاججة في الخطبة على ضوء الحجج العقليّة والحجج الواقعية و الحجاج بالسّلطة.

إبراز دور الاسّتعارات المجازيّة ومدى تأثيرها على العمليّة الحجاجيّة كالتّشبيه ... الخ.

المحسنات البديعيّة والقيمة الحجاجية التي توفرت عليها مثل الطّباق والجناس ...الخ

الفصل الرّابع: كان بعنوان "**آلية بناء الحجج**" حيث عمدنا إلى الكشف عن:

1- ترتيب أجزاء القول في نص الخطبة باعتباره منهجية يضعها المخاطب للتّدرج في العمليّة الحجاجيّة.
2- صور التّرتيب النّحوي التي وردت في النّص لما للنّحو من وظيفة توضيحيّة وبالتّالي حجاجية.
3- استثمار نظريّة السّلم الحجاجي في بناء الحجج، فكما هو معلوم فالحجج تتفاوت من حيث القوة والضّعف، ومن كانت حجته أقوى كان حجاجه مؤثرا ومقنعا.

وأما الخاتمة: فأوردنا فيها تلخيصا، وضبطا لأهمّ ما وصلنا إليه من نتائج ونود أن نذكر من اللّسانييّن العرب من حاول **وصف المحاججة في الثّقافة الإسلاميّة القديمة، كأعمال:** "**طه عبد الرحمان**" **في دراسته** "**اللسان** والميزان" وحسان الباهي في: اللّغة والمنطق، ومحمد الواسطي في أساليب الحجاج في البلاغة العربية وعبد الله صوله في دراسته الحجاج في القرآن الكريم ومحمد يونس من خلال كتابه: "علم التّخاطب الإسلامي" وغيرها من البحوث والدّراسات، إلاّ أنّنا لم نعثر على دراسة واحدة اتخذت من هذا الاطار المنهجي أو من هذه المدونة مجالاتها، وهو ما حفّزنا لطلب خوض غمار هذه التّجربة العلميّة المحفوفة بالمخاطر والمحاذير، متسلّحين في ذلك بأخلاق البحث العلمي ومنهج وصفي تحليلي نحاول من خلاله النّفاذ إلى دعائم هذه الإستراتيجية الحجاجية التي افترضنا وجودها في خطبة "طارق بن زياد فاتح الأندلس".

وهذا وقد اعتمدنا عدّة مراجع في هذا البحث نذكر منها "أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم" وهو عمل فريق من الباحثين التّونسييّن وقد استفاد منه البحث كثيرا بالإضافة إلى كتاب الخطابة لأرسطو ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكتاب "المناظرة في الأدب العربي الإسلامي" لحسين الصديق و"أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي" للشّيخ طه عبد الله محمد السبعاوي وكذا كتاب "اللسان والميزان" لطه عبد الرحمان وبعض المراجع الغربية لبرلمان وتيتكاه:

traite de l’ argumentation :la nouvelle rhétorique

وأيضا Les Echelle argumentatives لديكرو.

ولقد واجهت الباحثة عدة صعوبات، أهماها ارتباط الحجاج عند أرسطو بالفلسفة وتشعبه وعدم وجود نماذج تطبيقيّة لمثل هذه الأعمال وقلة الدّراسات التي تربط القديم بالحديث في هذا الميدان خصوصا.

وإني إذ أنجز هذا البحث لن أنسى أبدا المساعدات الجمّة التي قدمها لي الأستاذ المشرف طوال مدة انجازه سواء بمساعدتي بأهّم المراجع أو بصبره ونصائحه وتوجيهاته الصّائبة.

وفي الختام أرجو أن يكون هذا البحث محققا لأهمّ أهدافه المنشودة والمسطرة.

والله الموفق

الفصل الأول

تاريخ الحجاج

الحجاج عند اليونان

توطـــــئــــــــــة

كان البلاغيّون اليونان" متأثّرين بالمتغيّرات الاجتماعيّة ، التّي حدثت في القرن الخامس قبل الميلاد فـــــي بلاد اليونان. ففي كتابـــــــه "سينـــاجوج" يعزو أرسطــــو نشأة البلاغــــــــــة إلى "تيسياس وكوراكس" الصّقليّين في الرّبع الثّــــــــاني من القرن الخامس قبل الميلاد[1]، وكان هذان الشّخصان بارعيّن في التّحدث أمام العامة، وماهريّن في إقناع الآخرين بوجهـــة نظرهما. وبعد طرد الطّغاة والمستبدّين وإقامة نظام حكم ديمقراطي فيها، قام ملاك الأراضي التّي كانت قد صودرت أيام حكم الدّكتاتوريّين بإجراء مرافعات قانونيّة لاستيراد أراضيهـــــم وأملاكهــم . ولهذا احتاج هؤلاء إلى مساعدة " كوراكس و تيسياس" في هذه المرافعات" [2] خلال هذه الفترة شهدت اليونان نوعيّن من الإصلاحات، كان لهما الأثّر الكبير على تطــــور فنّ البيان في اليونان القديمة.

كان الإصلاح الأوّل هو "الإصلاح السّياسي (450 ق م) والذّي نتج عنه إنشاء نـــوع من الحكم الديمقراطي"[3]. أمّا الإصلاح الثّاني فقد تمثّل فـــــــي" الإصلاح القضائي في عام (462 قم) ولقد مكّنت تلك الإصلاحات السّياسيّــة جميع المواطنين الآثنيّن –ولو من حيث المبدأ– من أن يصبحوا أعضاء في البرلمان الآثنيّن، وأن يصوتّوا في الأمور العامة ممّـــــــا أدى إلى وجود حركة اجتماعيّة كبيرة في مجتمع أثينا... وبهذا زادت الحاجة إلى مهارات التّحدث ومهارات الإقناع. أمّا الإصلاح القضائي فقد كان له أكبر الأثّر في إعطاء النّاس الحريّة في طرح قضاياهم والدّفاع عن أنفسهم".[4]

في ضوء هذه التّغيّرات أصبحت الملكية البلاغيّة، وأصبح فنّ التّحدث وإقناع العامة أمرا غاية في الأهميّة في المجتمع اليوناني في تلك الفترة وسنحاول أن نقدّم أبرز المحطات التي مرّ بها فنّ الإقناع في بلاد اليونان.

إنّ استنطاق عهد الحجاج الأول يقودنا إلى التّمييز بين عدّة اتجاهات أسسّت له تأسيسّا سار على هديّه جلّ اللاّحقين. وكانت البداية مع:

---

[1]- عبد الجبار الشرافي، البلاغة عند اليونان ، ص11.
[2]- نفس المرجع ص14.
[3]-محمد الجابري: تكوين العقل العربي ، ص87
[4]- نفس المرجع ص87-88

1- التّفكير الحجاجي عند كوراكس :

يعتبر أوّل من نظّر للحجاج وسعى إلى استنباط صياغة منهجيّة تنظم الخّطاب الحجاجي[5] ويقودنا استقراء ما أوثر عن كوراكس إلى مجموعة من الملاحظات نجملهــا في الآتي: [6]

ارتباط نشأة الحجاج بظهور المدينة الإغريقيّة واستقرارها كيانا ماديّــا ومنظومة قيّميّة.

عمق الارتباط بين نشأة الحجاج واحتفاء المدينة الإغريقيّة بالكلمة.

الصّلة بين الحجاج والمؤسسّة القضائيّة التّي قاد الاهتمام بالكلمــــــــة فيها إلى التّفكير في الحجاج خطابا وموضوعا للخطاب.

حرص كوراكس على اقتراح مجموعة من التّقنيات التّي تسمح بإنتج خطاب حجاجي ناجح في حضرة القضاء، كما بيّن أن كلّ خطاب حجاجي يرتبط بمقام القضاء يتعلّق بمراسم تجليها العناصر الأربعة :

- l'exorde شدّ انتباه السّامعين
- la présentation des faits عرض موضوع الخطاب
- la discussion دعم الأطروحة بما يناسبها من حجج
- la péroraison الاستنتاج

هذه العناصر سمحت بتأسيس منظومة قضائيّة حجاجيّة كان لها الأثرالكبير على السّاحة القضائيّة والاجتماعيّة

---

[5]- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم من مقدمة الأثر في الخلفية النظرية للمصطلح ص43.

[6]- المرجع نفسه، ص 44، 45.

2- أما الاتّجاه الثّاني فتجليه خطابة السّفسطائيّين(*) :

لقد مثّل السّفسطائيّون بآثارهم روّاد الوعي بالحاجة إلى تقنين قوة العبارة فكان أن اهتمّوا بجماليّة اللّغة وقيمتها وكان أن أرسوا أسّس مبدأ الدّحض، سواء من la persuasionالإيهاميّة إذ هي السّبيل الأمثل للحمل على التّصديق خلال مقارنة الحجّج بعضها ببعض أمّ من خلال تنسيب كلّ الأطروحات، والإلحاح في الآن نفسه على إمكانيّة الدّفاع عنها كلّها انطلاقا من إيمانهم بفعل الكلمة وشدّة وقعها في نفوس متقبليها، وهذا ما يتجلّى بوضوح في إشاراتهم المتعدّدة قولا وممارسة إلى أنّ الإيهام أو الحمل على التّصديق، يتجلّى كأبرز ما يكون في القدرة على إبراز أضعف الحجّج، في لبوس أقواها إبرازا يجعلها لا محلّ دفاع فحسب وإنّما كذلك محلّ إقناع [7]. أعطى السّفسطائيّون الكلمة مركز الاهتمام من خلالها تنشأ القيّم وينشأ الدّفاع عنها .

3- التّفكير الحجاجي عند أفلاطون :

سار أفلاطون (ق348 ق م) على خطى أستاذه سقراط في محاربة السّفسطائيّين. وأراد مثل أستاذه عالما تسوده قيّم مثاليّة، ويتعامل أفراده فيما بينهم على مستوى عال ورفيع من الإنسانيّة والنّبل، فكان مؤلّفه الجمهورية theالذّي أبقى فيه على من يراهم يحققون مشروعه وطرد منه من يراهم شرّا عليه وعليها كالسّفسطائيّين والشّعراء والطّغاة...![8]

ولنا أن نشير إلى اشتهار أفلاطون بنمط معيّن من الأجناس الإبداعيّة وهي المحاورات المبنيّة على السّؤال والجواب . ومن أشهر هذه المحاورات، محاورة السّفسطائي "جرجياس" GORGIASوهو من أشهر السّفسطائيّين المعلّمين في ذلك العصر، والملاحظ أن أفلاطون جعل السّفسطائي قبل الطاغية LE TYRANوهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ علـــى خطورة السّفسطائيّين ومشابهة أفعالهم بأفعال أي طاغية [9] قال أفلاطون " لمّا كان الذّئب يشبـــه الكلب وأكثر الحيوانات وحشيّة يشبه أكثرها أهليّة وجب علينا – إن أردنا ألاّ نخطئ ـــــ أن نحذر الشّبه قبل كل شيء فالشّبه مزّلة.[10] ومن مزّلة الشّبه، كان خوف أفلاطـــون الأكبر من هذا التيار، وكان لزامـــا عليه لتبديد أسباب الخوف العمل بجدّ للتمييّز بين القول الفلسفي الحقيقي والآخر السّفسطائي المزيّف، ولتحقيق هذه الغاية اعتمد عدّة طرق للمواجهـــة كان أبرزها عرض التّفكير السّفسطائي أمام الآخرين. "فهم يسّعون إلى كسب إعجاب الشّعب ويضحّون بالنّفع العام في سبيل الخاص، ويعاملون الشّعوب معاملة الأطفال فلا تهمّهم معرفة هل كانوا بتلك الطّرق يجعلوهم أحسن حالاً أو أسوأ حالاً ؟" . [11]

---

*- السّفسطة: تيار فكري ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد وصفة sophistes كانت في الأصل لقبا تقديريا وتعني الحكيم والرجل ذو الكفاءة المتميزة.

7- هشام الريفي، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص187.

8- حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ص9 .

9- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.ص49

10- المرجع نفسه ، ص67 .

11- هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 72.

ولكلّ ذلك كانت الخطابة عند أفلاطون متوجّهة رأسا إلى النّفس أشرف ما في أجزاء الإنسان لتقودها إلى السّعادة الحقّة ، ولهذا حرص على ضبط أركان هذه الصّناعة وهي ثلاثة :

–اعتماد المنهج الجدلي

–معرفة أنواع النّفوس وما يناسبها من الأقاويل

–معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من الأساليب [12]

4– التّفكير الحجاجي عند أرسطو:[13]

ألّف أرسطو عدّة أعمال مهمّة، تدخل في مجال التّفكير المنطقي والفلسفي لم يخرجها[14] إلى النّاس بنفسه، بل ظهرت بعد وفاته بسنين طوال، اختلف الباحثون في أمر ترتيبها اختلافا كبيرا لكنّنا نعتمد تقسيم ابن خلدون لهذه المؤلّفات.

1. كتاب المقولات: les catégories في الأجناس العالية التّي ينتهي إليها التّجريد والمحسوسات وهي التّي ليس فوقها جنس.
2. كتاب العبارة: De l'interprétation في القضايا التّصديقيّـــــة وأصنافها.
3. كتاب القياس: les premières analytiquesفي القياس وصورة إنتاجه عموما.
4. كتاب البرهان: les seconds analytiques هو النّظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينيّة.
5. كتاب الجدل: (المواضع) les topiques وهـــو القياس المفيـــــد، وإفحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات وفيه أيضا المواضع التّي يستنبط منها صاحب القياس قياسه.
6. كتاب السّفسطة: (التّبكيتات السّفسطائيـــّة) les réfutations sophistiques وهو القياس الذّي يفيد خلاف الحقّ، ويغالط به المناظر صاحبه، وهو فاسد وهذا إنّما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه .
7. كتابة الخطابة: la rhétoriqueوهو القيّاس المفيد، وترغيب الجمهور وحملهـــم على المراد منهم.
8. كتاب الشّعر: وهو القيّاس الذّي يفيد التّمثيل والتّشبيه خاصة للإقبال على الشيء أو النّفرة منه.[15]

12- حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي ، ص10

13- ولد سنة 384 ق م توفي سنة 321 ق م

14- يشبه هذا ماحدث لفار ديناند دي سوسيرFerdinand de Saussure وكتابه محاضرات في اللّسانيات العامة

15- ابن خلدون ، المقدمة ص377

*المصطلحات الأجنبية لهشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص57

4 .1 جبهات الحجاج عند أرسطو:

تحمل معظم مؤلّفات أرسطو فكره الحجاجي، سواء فيما عرضه من مبادئ أم فيما عارض به سابقيه ومعاصريه، وربّما كانت كتب "المواضع" والتّبكيتات السّفسطائيّة والخطابة أكثر المؤلّفات حملا لآراء أرسطو، ففيها نجد :

جدلا صريحا أحيانا وضمنيّا أخرى مع معلّمه "أفلاطون" حيث طرح مشاريع تلتقي في جوانب مع تفكير أفلاطون ، وفي جوانب أخرى معرفيّة ومنهجيّة وفكريّة تختلف أشدّ الاختلاف.

جدلا صريحا واضحا محدّدا، ومنظّما مع السّفسطائيّين، إذ اعتبر الأساس الذّي بُنيت عليه "خطابتهم" فاسدًا.

جدلا مع خطباء أثينا وأدبائها، وضع تصوّرا جديدا للخطابة يختلف عن ذلك الذّي عُرف قبله. (16)

وفيما يلي بيان بسيط لهذا المجال :

لا يوصل الجدل عند أرسطو إلى الحقيقة بالضّرورة ، فهذه مهمّة البرهــــــان la démonstration ، ثمّ إنّه ليس بالإمكان القول بوقوع سائر مستويات البحث الفكري في دائرة الحقيقة، ففي نسق المعرفة الذّي يمكن أن نستخلصه من الأرغانون، مستوى من مستويات البحث الفكري يهّم مبادئ العلوم كما يهّم ما يجمع بين العلوم من علاقات، وهو مستوى غاية في الأهميّة يتجاوز لعمومه، ولما يتصّف من كليّتــــه في التّناول، ما يقتضيه قيام العلم من شرطيّ تحديد الموضوع وخصوصيّة المقدّمات ، فهو مستوى يقع خارج مجال العلم، ويشبه لكليته وعمومه المستوى الذّي تقع فيه الفلسفة الأولى، وإن كان للفلسفة موضوع وهو دراسة الوجود بما هو موجود، فالفيلسوف يضطّر إلى اعتماد المشهورات (في فحص بعض ما تقوم عليه البراهين من أدلّة أو درس ما بين العلوم من صلات) وعلى المشهورات يعتمد النّاس في بناء أحكامهم وأفعالهم (17) بخلاف أفلاطون الذّي أراد أن يبني خطابة جدليّة (معتمدة على الجدل)، لكنّها فلسفيّة موضوعها وغايتها الحقيقيّة وبيّن أرسطو أن الجدل ليس مطلبه الحقيقة ، بل امتحان ما هو خلافي من المشهورات ، فالأقيسة المستندة إلى مقدّمات جدليّة إنّما تقود إلى الظنّ .

2.4فصل الجدل عن الخطابة:

أشار إلى ما بينها من صلة بأن بيّن أوجه الشّبـــــــه والخلاف بينهما، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

---

[16]- هشام الريفي: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص154.

[17]- المرجع نفسه، ص113، 114.

الجدل DIALECTIQUE	الخطابة RHETORIQUE(*)
– ليس لهما موضوع واحد محدّد، وإن كان الجدل أوسع أفقا . – يستعملان القياس والاستقراء .	
1- الجدل مداره حول مطلوب جدلي وهو سؤال لا يوجد في خصوصه رأي آخر . 2- هناك طرفان، لذلك يصطبغ الجدل بطابع الحوار ومشاركة الطرفين ضروريّة. 3- لا يمثل الشّخصان في المجادلة نفسيهما فقط، بل قد يمثلان مذهبيّن كالجبّائي والأشعري، أو فكرين مثل متى بن يونس والسّيرافي، أو حتّى ديانتيّن كالباقلاني المسلم ضدّ المسيحيين. 4- الجدل حجاج تبكيتي Réfutatif(♦) حيث أن المجادَل Dialecticien يبذل قصارى جهده من أجل إبطال القضيّة التّي يعمل الطّرف الآخر على بناء حفظها. وفي النّهاية ليس شرطا أن يكون الطّرف الآخر مقتنعا بحجاج المجيب. 5- هدف الجدل نظريّ، فحص قضايا فكريّة. 6- بيّن أرسطو منافع الجدل، ومنها أنّه وسيلة فعّالة للتّواصل مع الآخرين ثمّ هو مجال النّظر والبحث الفكريين كما أنّه إذ لم يكن هناك خلل في حجاجك لن يتمكّن الطّرف الآخرمن الانتصار عليك.	1- الخطابة مدارها المسائل التّي تتميّز بطابع المناقشة. 2- الخطابة لا تقوم على السّؤال والجواب وإن كان منشؤها السّؤال، فالخطبة غايتها محاولة الإقناع 3- عدد المقول إليهم في الخطبة لا يشكّل فرقا مميّزا فقد يكون الموجّه إليهم جماعة، كما قد يكون شخصا واحدًا. 4- الخطابة حجاج إقناعي Persuasif إذ ينصرف جهد الخطيب إلى هدف عمليّ. 5- هدف الخطابة عملي ، في أهم مظاهره تحدث تغييرا في الاعتقاد والسّلوك . 6- ومن منافع الخطابة ـــ حسب أرسطوـــ أنّها الضّامنة للقيّم التّي يجب مراعاتها في شؤون الاجتماع والسّياسة والأخلاق وهي قيّم العدل والنفع والخير... وأمّا الغاية من كلّ واحد من هذه فهي ثلث في ثلاثة ، أمّا المشير أيّ النّوع المشاوري فالنّافع أو الضّار ، فإنّ الذّي يشير يأذن في التّي هي أفضل ويمنع من تلك الأخر وقد تستعمل تلك الأخر أيضا هذا المعنى، أعني العادلة والجائرة أو الصّالحة أو السّعيدة ....[18]

3.4 أهم أدوات الحجاج عند أرسطو:

من المفاهيم المهمّة التّي أعطت الأدوات التّي تنزّلت فيها دراسة الحجاج مفهوم الاستدلال Raisonnement فقد كان موضع الاهتمام في مؤلّفاته ولكنّه لم يعرّفه واستنتج الباحثون مفهومه انطلاقا من مفهوم القيّاس، واستخلاص النّتيجة من مقدّمـــــــات تربط بينها علاقات منطقيّة، كما درس مختلف أشكال الاستدلال فوجدها

*نستعمل مصطلح la rhétorique للدلالة على الخطابة عند اليونان القديمة

♦ مصطلح التبكيت يوافقه في الترجمة لخطابة أرسطو النقائض

[18]- أرسطو: الخطابة ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص17

Syllogisme ⟵ القيـــــــــــاس

Induction ⟵ الاستقراء

Exemple[19] ⟵ المثـــــــــــال

فالاستدلال بأدواته يساعد" في تقييّم مختلف الأقاويل التّي تُنتجها أو تُعرض علينا، يقول "علينا أن نُبيّن الآن أنّنا لا نحصل بالأشكال التّي درسناها في الأقسام السّابقة على القياسات البرهانيّة فحسب ، بل نحصل أيضا على القياسات الخطبيّة،وعلى جميع أشكال الإقناع عموما مهما تكن الطريقة التّي نتّبعها، فكلّ اقتناع إنّما يحصل بالقيّاس أو ينشأ عن الاستقراء "[20].نلاحظ أن أرسطو اشتهر بالقياسات البرهانيّة أو المنطق الصّوري مع أنّه بذل الجهد الكبير في مجال القياسات الخطبيّة والجدليّة. الاستدلال في جميع المجالات واحد في صورته (انتقال من مقدّمات إلى نتيجة) والاختلاف إنّما يكون في المادة فحسب،

وعلى الرّغم من صحة الاستدلال السّفسطائي شكليّا،فـإن أرسطو أقصاه من دائرة قياساته،ولذلك بحث على وسائل مواجهته بفضح الخلل فيه

4.4 أشكال الحجاج الكبرى عند أرسطو:

1.4.4 الخطابة والإقناع: أراد أرسطو وضع خطابة جديدة ، تستفيد ممّا قبلها ولكنّها تتجاوزها، فقد لاحظ أنّ الخطابة قبله كانت تهتمّ بما يؤثّر في المتلقّين بمعنى أنّ التّأثير هو مركز الخطابة ورأى أنّ هذا يمثّل خطرا على القيّم التّي يريد إرساءها، قال مثلا: "من الخطأ إفساد ذمـــّة القاضي وإثارة مشاعر الغضب أو الرّحمة فيه"[21] والحلّ عنده هو الانتقال من مخاطبة الانفعالات وتحريكها إلى إضفاء نوع من المعقوليّة على هذه الممارسة . فحوّل بذلك المركز من التّأثير إلى الإقناع ورغم ذلك نراه لا يعرف الإقناع، ولكن الفلاسفة العرب الذين أخذوا على عاتقهم من التأثير الى الإقناع، ورغم ذلك نراه لا يعرّفه الإقناع، ولكنّ الفلاسفة العرب الذّين أخذوا على عاتقهم مهمّة شرح وتلخيص هذه الأعمال بعد ترجمتها كان لهم الفضل في إيصال هذا الإرث الأرسطي إلى العالم القديم ومنه إلى الآن"، ولولاهم لضاع هذا الجهد، "فها هو الفارابي يعرّف الإقناع: "الخطابة صناعة قياسيّة غرضها الإقناع... من القناعة هي الغرض الأقصى بأفعال الخطابة، والقناعة ظنّ ما، والظّن في الجملة أن يعتقد في الشّيء أنّه كذا أو ليس كذا، ويمكن أن يكون ما يعتقد فيه على خلاف ما عليه وجود ذلك الشّيء"[22].ومع ذلك فإنّ أرسطو يشيرإلفكرة طريفة يقول: "مهّمة الخطابة

---

[19]- هشام الريفي: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 134-135

[20]- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص194 .

[21]- أرسطو: الخطابة ترجمة عبد الرحمن بدوي ص 24

[22]-نفس المرجع ، ص 24.

ليست الإقناع بقدر ما هي البحث في كلّ حالة عن الوسائل الموجدة للإقناع..." [23] فأهميّة الإقناع عنده هي التّي جعلته يبحث عن المسالك المختلفة القادرة على تحقيقه، ويسمّي هشام الرّيفي حصوله عمل التّأثير بالقول،ونرى أنّه داخل تمام فيما يسمّىّ بالتّداوليّة،ولذلك كانت الخطابة معتمدة على ثلاث دعائم هي القائل، وما يشترط فيه من أخلاق ،وما يحدثه ذلك من انفعال لدى المستمع وأخيرا القول نفسه مع مراعاة مبدإ الموافقة، موافقة القول للموضوع، وخلق القائل لموضوع القول وإن محطة التفاعل بين هذه الأبنية هي التي توفر حسب أرسطو أكبر الحظوظ لتحقيق عمل التّأثير بالقول.

" 2.4.4**Les lieux المواضع** "

من المفاهيم الضّخمة التّي انبنى عليها الحجاج عند أرسطو المواضع الخاصة بكلّ جنس حجاجي وكالعادة لم يعرّف أرسطو المواضع، في حين يركّز الدّارسون الغربيون في هذه الاستعارة المكنية على صلتها بالذّاكرة، مبرزين حاجتها إلى الارتباط بالمكان، بانين حججهم في ذلك على أهمية الذّاكرة في الخطابة، أي ذاكرة ما يحتاج إليه الخطيب قبل بدء في استرجاع خطبته[24] يقول بارت " Barthes ": أمّا المقاربة الإستعاريّة للموضع فهي أكثر دلالة من مجّرد تعريفه، ولقد استعملت استعارات عديدة لتوضيح هويّة الموضع، وقبل كلّ شيء نسأل لماذا كلمة موضع؟ لأنّه على حدّ قول أرسطو: يكفي لنتذكر الأشياء أن نتعرّف الموضع الذّي توجد فيه، فالموضع هو عنصر تداعي الأفكار، هو استعداد وترويض هو وسيلة نذكّر، فالمواضع حينئذ ليست الحجج ذاتها بل هي الحجرات التي تحفظ فيها

3.4.4الحجج الخاصّة:

Preuves Communes/الحجج المشتركةPreuves Particulières

الحجج الخاصّة عند أرسطو هي القضايا التّي تكون "مقدمات للضمائر les enthymèmes الأقيّسة الخطابيّة، فهي المواد الأوليّة للمقدمات، وأمّا الحجج المشتركة فهي أشكال قوليّة استدلالية يبنى عليها الحجاج في الخطب جميعا[25]وهي كما في قول أرسطو " فالتّصديقات العوام جنسان هما البرهان والتّفكير فأمّا القول الموجز الذّي هو الرّأي فهو جزء من التّفكير"[26].

4.4.4 الحجج الصّناعيّة والحجج غير الصّناعيّة:

فرّق أرسطو بين الحجج الصناعيّة والحجج غير الصناعيّة: " فأمّا التّصديقات فمنها بصناعة ومنها بغير صناعة وقد أعني باللّاتي بغير صناعة تلك اللّاتي ليست تكون بحيلة منّا لكن بأمور متقدمة كمثل الشّهود والعذاب (أي الاعترافات المستخلصة بالتعذيب) والكتب والصّكاك وما أشبـــــــه ذلك وأمّا اللّاتي بالصّناعة فما أمكن إعداده وتثبيته

23- الرّيفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 142.
24- حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 156.
25- هشام الريفي: ضمن أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم ، ص254
26- أرسطو: الخطابة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص138

على ما ينبغي بالحيلة...."[27]وبالنّسبة للتّصديقات الصّناعيّة:" منها ما يكون بكيفية المتكلّم وسمته ومنها ما يكون بتهيئة السّامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التّثبيت ..."[28] ولكن في هذه النّقطة بالذّات نلمح خللا في بناء صرح خطابة أرسطو كيف يدعو إلى الحفاظ على القيم النّبيلة في المدينة و هو في ممارسته يعتد بعض ما يعتمده السفسطائيون يقول :" إذا كان القانون المكتوب يتعارض مع موقفنا فعلينا باللجوء إلى القانون العام و الإنصاف لأن هذا أقرب للعدل ، و إن نبيّن أن القاضي حين أقسم على إن يحكم بأحسن الحكم فهو يقصد أنّه لن يلتزم التزاما صارما بحرفية القوانين المكتوبة ، لكن إذا كان القانون المكتوب يخدم وجهة نظرنا فيجب أن نقول إنّ قسم القاضي بأن يحكم أحسن الحكم لا يخوّل له أن يحكم حكما مخالفا للقانون "[4].

5.4.4 مراحل انجاز القول الخطبي:

:لإنجاز القول الخطبي حسب أرسطو ثلاث مراحل مهمّة هي

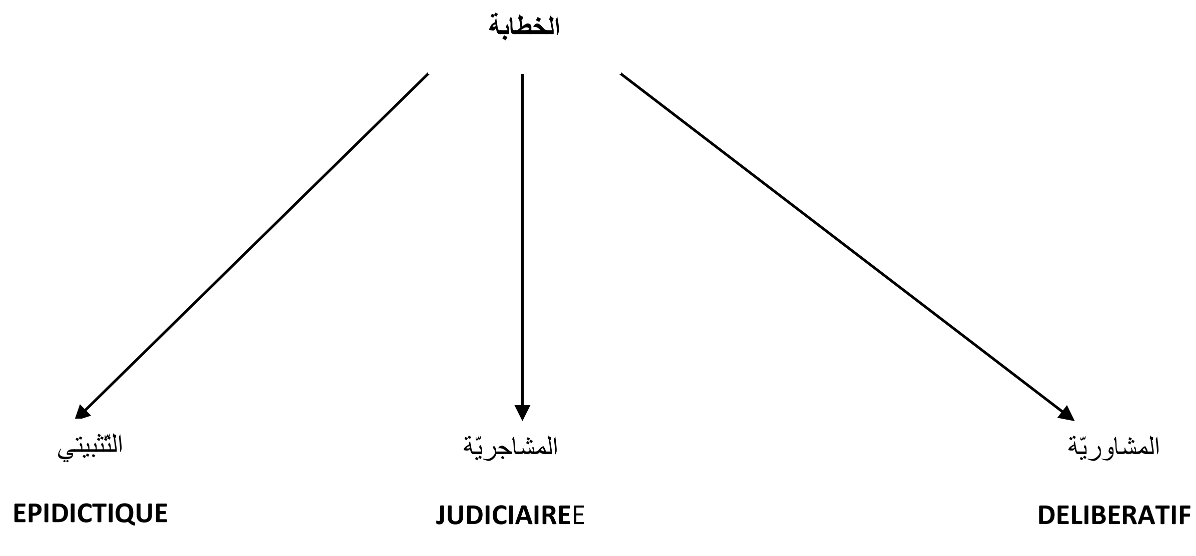
أ- الأولى**Eurisis**باللّاتينية**Invention** حسب عبد الرّحمن بدوي مصـــــــــادر الأدلّة.

ب- الثّانية **Taxis**باللّاتينية**Disposition** حسب عبد الرّحمن بدوي ترتيب أجزاء القول

وحسب عبد الرّحمن بدوي الأسلوب[29]**Elocution**باللّاتينية**Hypocrisis**ج- الثّالثة

6.4.4المواضع الخطبيّة:

قسّم أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أقسام، كلّ جزء منها يخدم جانبا من الأهداف التّي ينبغي إرساؤها في المدينة.



[27]- نفس المرجع ص9

[28]- نفس المرجع ص 10.

[29]- هشام الريفي ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص259 .

أ- المواضيع المشاوريّة:

يرى أرسطو أن الخطبـــــة المشاوريّة تختص بفرعين للخيـــــــر كبيره وصغيره الأوّل موضوعه الأمور العظـــــــام، وهـــــي السّياسة كمـــا يقول ابن سينا، فبصلاحهـــا يكون خير ونفع المدينة ولهذا علـــى الخطيب أن يكون عارفـــا "بالعدّة، والحـــــرب والشّــر، وحفظ البلد، وفيمـــا يدخل ويخرج وفي وضع السّنن (أي التّشريع)" [30] والثّانـــــي غرضه النصيحة حسب ابن رشـــد فيها يحصل الفرد على سعادته الخاصّة، فالهدف الأسمـــــى هو الخطر والخير عند أرسطو "الذّي يُختار من أجل نفسه لا من أجل شيء آخر" [31]

ب- المواضيع المشاجريّة:

إنّ الخطب المشاجريّة تتطلب معرفة شيئيْن " أولا طبيعة الدّوافع التّي تدفع النّاس إلى ارتكاب الظّلم والخصائص العقليّة والأخلاقيّة لمرتكبي الظّلم وثانيها الحجج غير الصّناعيّة الخاصّة بالخطابة المشاجريّة، القوانين، والشّهود والعذاب والإيمان ..." [32]

ج-المواضع التّثبيتيّة:

استخلص أرسطو أنّهـا والمواضع المشاجريّة متشابهتـان قـال : "المدح والنّصيحة ذوا مظهر واحد لأن ما نسدي من نصيحة يصير مدحا بتغيير العبارة ..." [33]

خلاصــــــــــة:

لم يعرّف أرسطو الحجاج[34] أبدا، مع أنّه مارسه ممارسة مع السّفسطائيّين ولكن نفهم من خلال ما سبق أنّــه يشمل كلّ العمليّة القوليّة التّي تتمّ بين السّائــل والمجيب (الجدل) وبين الخطيب وجمهوره (الخطابة) وحتّى عمله في محاربة السّفسطائيّين. يعدّ حجاجا مكتمل الأركان.

فالحجاج عند أرسطو الوسيلة النّاجحة لتحصين فضاءات التّعامل القولي بين أهل المدينة حيث أنّ الحجاج الجدلي يكشف السّفسطائيّين ويفندّهم، والحجاج الخطبيّ يُحصّن القيّم المنشودة في المجتمع من الحجاج الزّائف والمخادع والمقنّع .

وفي هذا الموضوع لا يختلف هدف أرسطو عن أستاذه أفلاطون من ممارسة الحجاج. لم يكن ميدانا خاصّا قائما بذاته، بل تنزّل ضمن نظرته إلى الحياة بكلّ أبعادها.

---

[30]- أرسطو ، الخطابة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ص20

[31]- نفس المرجع ، ص 220-221

[32]- هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص277

[33]- المرجع نفسه ص281 .

[34]- يبدو أن هذه سمة خاصة بأرسطو، فهو لم يعرف مثلا المواضع والإقناع، وحتى في كتاب الشعر لم يعرف المصطلح المهم فيه، المحاكاة.

الحجاج عند العرب

توطئـــــــــــــــة:

اختلفت ظروف نشأة البلاغة عند العرب اختلافا جذريا عن اليونان ، ففي حين نشأت عندهم نشـــأة فلسفيّة منطقيّة ، تحاول تصنيف الأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة – كما عند أفلاطون – أو في مجال اختلاف الآراء، أين يواجه الرّأي بالرّأي المضاد – كما عند أرسطو – ولا تكون الكلمة الأخيرة إلّا لمن كانت حجّته أكثر إقناعا وأوضح في نفس السّامع ،نجد البلاغـــة العربية نشأت في أحضان الشّعر والشّعر فضله في صورته وشكله وما يتوفّر عليه من طرق القول، وأساليب التّعبير التّي يمكن على أساسها أن تحدد خصائص نصّ معيّن أو نميّـــز بين نص ونص آخر، وحتى القرآن الكريم ذهب كثير من الدّارسيـــن إلى أنّ فضله يرجع إلى شكله وهيأته، وتصاريف الكلام فيه وقليلون هم الذّين ذهبوا إلى أن عظمته مستقـــاة من الحجج الواردة والسّياسة التّي ينتهجها في وصفها.

لكلّ ما سبق نحاول الحديث على الحجاج عند العرب، مركزين على أصالة هذا المبحث عندهم. وخصوصياته العربيّة الإسلاميّة.

1- **الحجاج في الجاهليّة:**

لا يُعرف للإبداع اللّغوي الأدبي العربي بدايات محددّة، أو نقطـــــــــة انطلاق يرجـــع إليها ولكن العصر الجاهلي يمثّل العصر الذّهبي في صفاء ونقاء اللّغـــة العربيّة، واشتهر عند العرب آنذاك الخطب لأشهر الفصحاء كقيس بن ساعدة وأكتم بن صيفي، إضافـــــــة إلى الوصايا التّي تعتبر نوعا من الخطب، موجّهة إلى جمهور خاص حميم، كالأبنــــاء، البنات، أو الأصدقـــاء.... وأيضا المنافرات والمفاخرات، والمحاورات والمجادلات ...[35] ويعدّ ما دار بيـــن امرئ القيس وعلقمة أشهر شاهد على ذلك، إذ احتكما إلى أم جندب وجعلا يتذاكران الشّعر ومن بين ما قال امرئ القيس :

وللزّجر منه وقع أهوج متعب [الطويل]∴فللسّوط ألهوب وللسّاق درّة

وقال علقمة :

يمرّ كمرّ الرّائح المتحلب [الطويل] ∴فأدرك لمّ يجهد ولم يثن شأوه

ولما فرغا قضت أم جندب لعلقمة على امرئ القيس لأنّ فرس علقمة أجود من فرس امرئ القيس فقد حرّكه بساقه وامتراه بسوطه، وزجره بصوته[36]

كان العصر الجاهلي، ملحمة لقراع الألسنة وتصاول الفصحاء في الأسواق الأدبيّـــــة والمحافل الجامعة ولم يكن لأشراف القبائل و سادات العشائر عند تفاقـــم الفتن وتدافع الخصوم بدّ من كلام، بل من كلام مؤثّر طويـــل. وكانت الخطبة فيهم طبيعة وقريحة كالشّعر لا تحملّهم عناء ولا تكلّفهـــم رهقا ووضعوا لها الأسماء، فقد ذكروا من خطب العـــرب "العجوز" وهي خطبة لآل رقبة ومتى تكلّموا فلا بدّ لهـــم منها أو من بعضها وكذلك "الــــعذراء" وهي خطبة قيس بن خارجة، و"الشوهاء" وهي خطبة سعبان بن وائل وقيل لها ذلك من حسنها، وذلك أنّه خطب بها عند معاوية، فلم ينشد شاعر ولم ويخطب خطيب[37] وكـــــــان من منزلة الخطابة وأثرها في الجاهلية أنّها تركت في نفس النّبي صلى الله عليه وسلم ذلك الأثـــر العميق، فظلّت الصّورة التّي شهد عليها قيس بن ساعدة وهو يخطب في عكاظ ماثلة في ذهنـــه الشّريف، نازلة من نفسه منزلة التّقدير حتّى إذا وفد عليه وفد إياد سألهم عنه، فلمّا قالوا: إنّه هلك، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: برحمة الله كأنّي أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول" أيّها النّاس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ..."** [38].

وللخطابة عندهم ملامح وصفات وخصائص، تتفق إلى حدّ بعيد مع الأصول العامـــة المعروفة لفنّ الخطابة ، فهم لم يغفلوا استخدام الحجج والأدلّة المؤثرة في النّفوس ، وظهر ذلك جليا فيما كانوا يحشدونه في خطبهم من حكم وأمثال، لها في الإقناع قوة البراهين والأقيسة المنطقيّة، وفيما يتخللها من تشبيه واستعارة، وفيما كان يجيء بها على قلة

---

[35]- محمد هاشم: عطية الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ص 79-80.
[36]- نفس المرجع ص 153

[3]- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 210
[38]- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد ص 128.

،من مجاز شديد العلاقة بالمعنى الأصلي، وكناية قليلة الوسائط، قريبة المنال اتقاء التّصريح بما لا يحمل ذكره.

أو بعثا للنفس في استحضار صورة المكنى عنه بذكر أخص صفاته[39].وإن كان العرب لم يعرفوا الخطابة القضائيّة كاليونان ولا الاستشاريّة وأكثــر خطبهم استدلاليّة تتّجه إلى تحسين الشّيء أو تقبيحــه، ومدحه أو ذمه مستهدفة الفضيلة أو الرّذيلة بالإضافة إلى المفاخرة والمنافرة، والمجادلة فهذا لا ينفي أنّهم عرفوا هذا اللّون من الفن النّثري.

2- الحجــــــاج في القرآن:

أيّد الله سبحانه الرّسالة الإسّلاميّــة بمعجزة كاملة دائمة مؤثّرة في عصرهــا وبعد عصرها فــي بيئتها وفي غيرها، في الأمّة التّي بعث فيها الرّسول الكريم وفي كلّ الأمم الأخرى، إنّه القرآن الكريم كتاب الإسلام ودستوره، ومعجزته الخالدة، الذّي لاقى منذ نزوله المعارضة ومحاولة تغطيــة نوره، من منكرين عرب ومن أبناء الملل والدّيانات الأخرى.[فقالوا هو كلام ساحر ومجنون، وشاعر...] .

فالقرآن الكريم عظّم العقل، وبوّأه المنازل الكبرى، ولهذا جاءت معظم آياته مخاطبة أولي الألباب وذوي العقول اليقظة لا الغافلة التّائهة قال تعالى : "**كذلك يُبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكرون " [البقرة219]** أو " **يُؤتي الحكمة من يشاء ومن يُؤتى الحكمة فقد أوت خيرا كثيرا وما يذّكّر إلّا أولوا الألباب " [البقرة269] .**

الدّين الذّي دعا الإنسان إلى التّفكر والتّدبر في خلق السّموات والأرض يقول الله تعالى " **إن في السّموات والأرض لآيات للمؤمنين – وفي خلقهم وما يبثُّ من دابّة آيات لقوم يُوقنون –واختلاف اللّيل والنّهار وما أنزل الله من السّماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرّياح آيات لقوم يعقلون " [الجاثية 5/4] .**

ولأنّ الإسلام دين العقل والعلم والحق، فقد نبذ أشد النّبذ حجج الكافرين الذّين كانوا يرفضون الحق ولا يقبلونه بحجّة أنّه لا يوافق ما وجدوا عليه آباءهم قال تعالى "**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون" [التوبة]**

"حذف جواب الشّرط وهذا أبلغ من أن يذكر، لأنّ الجمل الشّرطيّة في القرآن قائمة على ضمير الخطاب دون الغيبة وهو ما يقتضي وجود متلق مباشر معنيّ بالكلام، موكول إليه أن يتصوّر الجزاء بناء على ما قُدّم إليه من شرط تصوّرا يذهب به في كل اتجاه[40].

القرآن الكريم عموما كتاب الإنسان، وكما أنّ الإنسان كلّ متكامل، قلب وعقل وجسد تلاءم القرآن معه فكــان فيه ما يناسب كل جزء "هذا ما تجده في كتاب الله حيث ما توّجهت إنّه لا ينســى حق العقل من حكمة وعبرة، وإنّه في معمعة براهينه وأحكامه لا ينسى حظّ القلب من تشويق، وترقيق وتحذير وتنفير، وتهويل، وتعَجّب، يبث ذلك في مطالع

---

[39]- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص 130.

[40]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلا أهم خصائصه الأسلوبية، ص 1 /457 .

آياته يقول الله تعالى: " **الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعرّ منه جلود الذّين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبُهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء** " [41] .

فما على القارئ إلّا أن يفتح المصحف الشّريف ليجد من التّرغيب ما يملأ نفسه سرورا وأملا ومن التّرهيب ما يرجف قلبه ويملأه خوفا وفرقا وأمّا العقل فإنّه يجد من وســائل الإقناع ما تصلح لها دراسات كبيرة ، فالقرآن يخاطبه بكلّ معانيه ومستوياته ، ولذلك احتوى القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلّة " فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنـــى من كليات المعلومات العقليّة والسمعيّة إلّا وكتاب الله قد نطق به ..."[42] وهذه بعض الأدلّة البسيطة من القرآن الكريم :

أ- **القياس المضمر** في قوله تعالى " **ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنّات النّعيم – ولو أنّهم أقاموا التّوراة والإنجيل وما أنزل من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمّة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون " [المائدة 66/65]**

وتخريجــــــــه:

المقدمة الكبرى (مذكورة) : لو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفّرنا عنهم سيئاتهم . الأولى

لو أنّهم أقاموا التّوراة والإنجيل...لأكلوا من فوقهم. الثّانية

المقدمة الصغرى (مضمرة) : لكنّهم لم يؤمنوا ولم يتقوا ... الأولى

لكنّهم لم يقيموا التّوراة والإنجيل... الثّانية

النتيجة : لن نكفّر عنهم سيئاتهم ولن ندخلهم الجنة ... الأولى

لن يأكلوا من فوق أيديهم ... الثّانية

ب- قياس الخلف في قوله تعالى "**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "ا[النساء82]**

وتخريجــــــــه :

المقدمة الكبرى (مذكورة) لو كان القرآن من غير عند الله لوجدا النّاس فيه اختلافا

المقدمة الصغرى (مضمرة) لكنّهم لم يجدوا فيه اختلافا

41- الشيخ طه عبد الله محمد السبعاوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص 11

42- محمد الكتاني: جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، ص 444

النتيجة (مضمرة) إذن القرآن الكريم هو من عند الله

ج- <u>من قياس التّمثيل</u> قوله تعالى "**أولم يروا أن الله الذّي خلق السّموات والأرض قـــــــادرعلى أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلّا كفورا"[الإسراء 99].**

د- **ومن القياس على المحال** قوله تعالى " **إنّ الذّين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السّماء ولا يدخلون الجنة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط كذلك نجزي المجرمين**"[الأعراف /40]

الشّرط: المقدمة: يدخل المكذبون بآيات الله الجنّة عندما يلج الجمل في سمّ الإبرة.

جواب الشّرط: لكن الجمل لن يدخل أبدا من سمّ الإبرة.

النّتيجة : لن يدخل المكذبون الجنّة أبدا ...

لا نقول إنّنا نستقصي هذه الأساليب في القرآن الكريم ، فهذا عمل يجب أن تفرد له دراســـات وبحوث خاصّة، ولكنّها لمحات خاطفة لنبيّن أنواع الأقيسة التّي وردت في القرآن. والذّي منه انطلقت الدّراسات العربيّة التّي أثرت المكتبات بشتى أنواع العلوم .

3- <u>الحجاج في الثقافة الإسلامية</u>

تميّز الفكر الإسلامي في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم بأنّه تعليميّا مع ما تقتضيه العمليّة التعليميّة من احترام متبادل بين المعلّم والمتعلّم. وإنصات وتدبّر، بالإضافة إلى وجود فروق فرديّة بين المتعلّمين. هذا ما طبع مجالس الرّسول الكريم مع صحابته الأجلاء وهذا ما جعل الصّحابة يتفاوتون في فهم القرآن، فكان منهم القرّاء والحفّاظ المجيدون وكان منهم الفقهاء، وكان منهم المفتون.

وفي غير موضع من حياة الرّسول صلى الله عليه وسلم " حوادث تثبت أن الصّحابـــــة كانوا يناقشونه ويجادلونه جدلا في الخير، خير الإنسان فالقرآن الذّي احترم العقـــــــــل لن يرضى برؤية أتباعه يتّبعون كلامه عن جهل، بل يسمح لهم بالاستفسار إلى أن يصبحوا على بيّنة وهاهو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كما تذكر الكتب جادل الرّسول في عديد المواضع وأكثر من ذلك وافقه القرآن في حوالي خمسة عشر مرّة ولم ينكر عليه الرّسول ذلك "[43].

وفي عهد بني أميّة عندما اتسعت الدّولة الإسلاميّة أشدّ ما يكون التّوسع ، وأقبل على الإسلام من أبناء الدّيانات الأخرى العدد الكثير، منهم من أسلم ومنهم من بقي على دينه .

43- طه عبد الله السبعاوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص 210 .

وتكاد تكون الخطابة الجنس الأدبي الأوحد –في ذلك العصر– الذّي استجاب لمنطق هذه الدّعوة ومتطلباتها لأنّها تعتمد الشّواهد والحجج والبراهين وتخضع لمقتضيات الاحتجاج والجدل بهدف الإقناع والتّأثير. فتنوّعت بتنوّع مجالات الحياة[44]فقد تكون دينيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة ففي الخطبة الدّينيّة نجد[45]:

1.3 خطب التعليم: تعتمد الإخبار والتّأكيد، ويمكن الاستغناء عن المنطق والحجج العقليّة .

2.3خطب الوعظ :تعتمد بعض وسائل الإقناع كالتّرغيب والتّرهيب وبعض الوسائل العقليّة كالمثال وأخبار الأولين.

3.3 الخطبة السّياسيّة: دارت الخلافات حول الخلافة وشؤونها فكانت هناك مقامات بين أفراد مهمّين أو بين فرد هو الخليفة أو الوزير مع العامة، و من أمثلة النّوع الأول خطبة أبي بكر–رضي الله عنه– يوم السّقيفة حيث تحدث عن تضحيات المهاجرين وأيضا عن كرم وفضل الأنصار وانتهى إلى حلّ وسط " فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور"[46]

ومن أمثلة النّوع الثّاني، خطب علي –كرم الله وجهه– سواء مع الخوارج أم مع جماعة جنده المتخاذلين وإن اختلف المقام، "فإذا كان مع الخوارج مضطرا إلى الإتيان بالحجة الصّائبة والبرهان المفحم لردعهم، فإنّه مع المتخاذلين كان واعظا، ولائما، ومعاتبا في كثير من الأحيان مع ما يصاحب ذلك من التّشجيع والتّدعيم المعنويّين" [47].

4.3 الخطب الاجتماعيّة الدفاعيّة : كانت تدور بين المتخاصمين على مسمع من الأمير أو الوزير مثل مخاصمة أبي الأسود الدّولي لزوجته في موضوع حضانة طفلها بعد الطّلاق عند "زياد" انتهت بانتصار المرأة حيث التفت له الأمير قائلا: "أردد على المرأة ولدها، فهيّ أحق به منك، ودعني من سجعك" [48].

5.3 المناظرات المذهبيّة: تعتمد الوسائل المنطقيّة واللّغويّة والعمليّة للنّجاح وغلبة الخصم وفيمـــا يلي نبذة عن دوافع ظهور هذا النّوع من التّيار الفكري في الثقافة الإسلاميّة .

1.5.3المناظرة في التاريخ الإسلامي:

كانت البذور الأولى للمناظرة، هذا التّيار الفكري والمذهبي... متّصلة بالخلافة وأولى جذورها تمتد إلى نشوء المعارضة في عهد عثمان بن عفان –رضي الله عنه– التّي لم ترضى بسياسة الخليفة "حيث انتشرت الأحاديث عن أنّه –رضي الله عنه– يوظّف المقربين منه ويتغاضى عن كثير من أخطائهم"[49].

44- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ، ص265 .
45- طه عبد الله السبعاوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ص 211 .
46- محمد العمري: في بلاغة الخطاب ألإقناعي، ص 51 .
47- نفس المرجع ص60 .
48- محمد العمري: في بلاغة الخطاب ألإقناعي، ص63.
49- ابن كثير: البداية والنهاية،ج7، ص 297.

فانتهى الأمر بالمأساة الكبرى،مقتل عثمان حوالي 35هـ وعند مبايعة علي -كرّم الله وجهه- واجه نفس موقف عثمان -رضي الله عنه- إذا ما لبث أن خرجت عليه طائفة من الصّحابة الكبار تؤيّدهم أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- حوالي سنة 36 هـ فكانت معركة الجمل المشهورة وسفك الدّم العربي المسلم من الجانبين واغتنم معاوية بن أبي سفيان الفرصة وشقّ عصا الطّاعة بحجة الثّأر لعثمان، ولأن عليّا لم ينفّذ حكم القصاص في قاتليه، وتقاتل الفريقان في معركة الصّفين سنة 36 هـ وانتهى الأمر بخدعة التّحكيم التّي أتى بها معاوية بعد نصح عمرو بن العاص له قبله علي وهو له كاره فأنتج ذلك طائفة أخرى رافضة رفضا مطلقا هذا الخيار، خرجت على علي وهي الخوارج، معارضة لعلي ومعاوية معا، وانتهى ذلك كلّه بمأساة ثانية هي مقتل الإمام علي غيلة وهو يصلي[50].

توزّع المسلمون بسبب هذه الأحاديث إلى فرق جمّة، فنشب الجدل والخلاف بينهم حول الإمامة ومن الأحقّ بها بعد الرّسول *صلى الله عليه وسلم* كما اختلفوا حول صاحب الكبيرة فالخوارج كفّروه واعتبروه مخلدا في النّار، واعتبروا العمل شرطا للإيمان وتناقضت الآراء في التّسيير والتّخيير، فقالت الجبريّة بأن الأفعال كلّها لله، وقالت القدريّة بأنّ الإنسان خالق أفعاله[51]

ودار الجدل حول قضية الصّفات والذّات الإلهية، فقال بعضهم بإثبات الصّفات بحرفيتها كما جاء في القرآن، وغالى آخرون في تأويلها فاليد بمعنى القوة والاستيلاء ... ولم يأت القرن الرّابع الهجري إلاّ والمؤرّخون يجدون صعوبة بالغة في حصر الفرق الإسلامية ... [52] .

كما ساعدت الظّروف السّابقة على بروز مبدأ لا يختلف عليه كلّ أهل الرّأي (أشاعرة معتزلة) هو تقديم العقل، وإنزاله المنزلة الرّفيعة في الحياة، ونشير هنا إلى أنّ كثيرا من ملاحدة الإسلام كان سبب إلحادهم إنكارهم للنّبوة والرّسل ومعجزاتهم، باعتبار أنّ العقل يصل الإنسان إلى معرفة الخالق تعالى بالإضافة إلى نفعه الدّنيوي، ونذكر على رأسهم ابن الراوندي،في كتابه "الزمرد" وللتوضيح قولا له "فقد ثبت عندنا وعند خصومنا أنّ العقل أعظم نعم الله تعالى على خلقه، وأنّه هو الذّي يُعرف به الرّب ونعمه، ومن أجله صحّ الأمر والنّهي، والترّغيب والتّرهيب، فإذا كان الرّسول صلى الله عليه وسلم يأتي مؤكدًا لما فيه من التّحسين والتّقبيح والإيجاب والحظر فساقط عنّا النّظر في حجّته وإجابة دعوته، إذ قد غُنينا بما في العقل عنه والإرسال على هذا الوجه خطأ، وإن كان بخلاف ما في العقل من التّحسين والتّقبيح والإطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنّا الإقرارُ بنبوته "[53].

---

[50]- محمد الكتاني: جدل العقل والنقل، ص 405.
[51]- الإمام جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ت خالد ابن محمد ابن عثمان، ص 33 .
[52]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج7 ص421.
[53]- أرثور سعد وتوفيق سلوم: الفلسفة العربية الإسلامية، الكلام والمشائية والتصوف، ص 60 .

وإنّ اعتماد هؤلاء من البداية كان على الحديث الذّي عُرف فيما بعد بحديث العقل"أوّل ما خلق الله تعالى العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثمّ قال له أدبر فأدبر فقال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك فبك آخذ وبك أعطي، وبك الثّواب والعقاب "[54] ولكنّ الكثير من العلماء رفضوا هذا الحديث واعتبروه موضوعا .

كان الأمر على درجة من الصّعوبة بين أبنـــاء الإسلام المتفرّقين بين فرق إسلاميّة لا حصر لها فلنا أن نتصوّر كيف يكون الحال بين المسلمين وأبناء الدّيانات الأخرى ممن لا يعترفون بسلطة القرآن الكريم أو الحديث الشّريف، فكان الواجب اعتماد أدلّة عقليّة، ليكـــون المنقذ آنئذ هو العقل .

كلّ ما سبق يوضح الفكرة ولو قليلا حول ظروف نشأة علم جديد في الثّقافة العربيّة هو علم الكلام. وهو يقابل العلم الذّي عُرف في الغرب المسيحي تحت اسم Théologie بدأ بين المسلمين أنفسهم ثمّ بينهم وبين ممثلي الدّيانات الأخرى ومنه نشأت المناظرة التّي اعتمدت النّظر العقلي والاستدلال المنطقي .

2.5.3المناظرة وتعريفاتها:

أ- **المناظرة لغة:** من ناظر على وزن فاعل التّي تعني المشاركة. وعند ابن منظور"المناظرة أن تناظر أخاك في أمر كذا، إذ تناظرتما معا كيف تأتيانه وعن التّناظر يقول: "التّناظر التّراوض في الأمر ونظيرك الذّي يراودك وتناظره، وقال في الفعل ناظر: ناظرتُ فلانا أي صرت له نظيرا في المخاطبة"[55] .

ب- **المناظرة اصطلاحا** : يذكـــر الزبيدي (ت1205 هـــ) فـــي معجمه تاج العروس "والمناظرة هي المباحثة والمباراة في النّظر،واستحضار كل ما يراه ببصيرته ، والنّظر البحث"[56].

نلاحظ هنا إدخاله لمصطلح " البصيرة " مع ما تقتضيه هذه الكلمة من كشف داخلي للحقيقة لا باعتماد العقل ولكن باعتماد القلب أيضا .

ولعلّ خير تعريف تطالعنا به الكتب هو من كتاب " رسالة آداب البحث وشرحهـــــا " لأبي الخير أحمد المشهور باسم طاش كبرى زاده (ت918 هـــ) يقول : " اعلم أنّ المنــــــاظرة في اللّغة مأخوذة من النّظير أو النّظر بمعنى البصر أو الانتظار، وفي الاصطلاح هي النّظر بالبصيرة من الجانبيّن بالنّسبة بين الشّيئين إظهارا للصّواب " وما يميّز تعريف طاش كبرى زاده اعتماده المنطق في تحديد كلّ مفردات ذلك التّعريف .

3.5.3موضوعات المناظرة:

تنوّعت موضوعات المناظرة بتنوع التّوجهات الفكريّة والاجتماعيّة والسّياسيّـــة السّائدة آنذاك فقد كانت هناك :

- **المناظرات التّي تناولت الموضوعات الدّينيّة** : فيها جانبان :

54- حديث رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي إمامة، ورواه أبو نعيم من حديث عائشة بإسناد ضعيف محمد الكتاني، جدل العقل والنقل، ص 470 .

55- أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة ــ ن ــ ظ ــ ر، ص 219.

56- حسين الصّديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص 59.

ما تعلق بالجانب العملي من الدّين (المعاملات) لا يوجد موقف معارض لها

ما تعلق بموضوعات علم الكلام (كلام الله ، الصّفات ، القدر، الجزاء ، العقاب...)

نحصي لهذه المناظرات ثلاثة مواقف هي:

أ- **الموقف الأوّل:**

يرتبط هذا الموقف بالمشكلة المعرفيّة التّي نشأت من تحفظّ العرب المسلمين القدامى من العلوم القديمة وإذا كان هذا الموقف يشمل كلّ العلوم اليونانيّة فإنّــه تجاوز ذلك كثيرا فيما يتعلّق بالفلسفة والمنطق[57] حيث اعتبرت الفلسفة وسيلة شيطانيّــة لهدم الإسلام ، ومع ذلك فعداء هؤلاء العلماء للمنطق كان أكثر بكثير ، فإذا كانت الفلسفة ميدانا واسعا ومتميّزا يمكن رفضه بسهولة ، فإنّ المنطق كان يحاول أن ينافس طرق البحث ومناهجه في العلوم الدّينيّة، ومثال ذلك مناظرة أبي سعيد السّيرافي ممثّل النّحو العربي (التّراث والأصالة) في وجه متــّي بن يونس ممثّل المنطق اليوناني (الوافد المستورد)، نلاحظ كيف خرجت المناظرة في عديد مراحلها عن مسارها الموضوعي، سواء من جانب السّيرافي ومنهجيّته، أم بتدخل السّلطة[58] ولكنّ الفكرة الأساسيّة في هذه المناظرة -كما استنتج- هي اعتقاد السّيرافي عن حسن نيّة أو سوء نيّة أن "المنطق" هو خصيصة ثانيّة فحسب. كما يخصّ النّحو العربي العربيّة فقط. لذلك فالمناظرة تميّزت بحدوث سوء فهم عويص.

لم يأت القرن الرّابع الهجري، إلّا وهذا الموقف يتّخذ طابع المنهجيّــة والتّكتل نظريا وعمليّا نجد مؤلّفات كاملة وضعها أصحابها للنّيل من أصحاب المناظرات، أهمّهــا "**صون المنطق والكــــــلام عن فنّ المنطق والكــــــلام** " للسّيوطي (ت911 هــ) عرض فيه لشخصيات كبيرة أدلت برأيها في هذا الموضوع، خاصة الأشعري[59] الذّي أصبح من أكبر المهاجمين للمعتزلة وآرائهم، واعتبر أحسن وسيلــة لذلك مقارعــة الذّي كــان يوم ما أستاذه الجبائّي، يقول الأشعري "إنّ أهل السنّة والحديث ينكرون الجدل والمراء فــي الدّيــن والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل"[60].

كثيرا ما كان هذا الموقف مدعوما من السّلطة ، فالكتب تطالعنا أنّ هارون الرّشيد منع الجدال في الدّين وحبس أهل الكلام [61] وكذلك المتوكــل الذّي " أمر بترك النّظر والمباحثة لمّا كان عليه النّاس في أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر النّاس بالتّسليــم والتّقليد وأمر شيوخ المحدّثين بالتّحديث وإظهار السّنة والجماعة[62]" ويبرز هذا التّدخل خاصّة في مسألة القضاء والقدر .

---

[57]- عدناني عبد القادر وبن زيوش عمار: الفلسفة، ص 2/ 24-25
[58]- حسين الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص 369-375
[59]- الإمام أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ، حققه بشير محمد عيون ، ص11 .
[60]- حسين الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، ص 134 .
[61]- الكتاني: جدل العقل والنقل ، ص 412-413 .
[62]- حسين الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، ص 135 .

هذا الموقف أبطاله السّنة المتشدّدون الذّين يأمرون بالتّشاغل بقراءة القرآن وتدبّر معانيه من جهة والمتكلّمين من جهة أخرى، يمثّل مناظرة مستوفيّة الأركان فهناك :

- طرفي الجدل، السّنة المتشدّدون والمتكلّمون.
- موضوع الجدل، هل يجوز الكلام في كلّ الأمور أم لا ؟
- يعتمد كلّ طرف على جملة من الحجج والبراهين.

- **السّنة:**

✓ **<u>حجج تقوم من داخل المناظرة</u>** فقد وجدوا أنّ:

الجدل والنّظر في موضوعات الكلام يؤّدي إلى إثارة الشّبهات والوقوع في البدع .

القرآن والسّنة لا يسمحان ولم يوجد من السّلف الصّالح من بحث في هذه الموضوعات

المناظرة من أسباب ترك الكتاب والسّنة ونسيانهما .

✓ **<u>حجج من خارج المناظرة(سياقيّة)</u>**

تؤسّس على التّناقضات العمليّة التّي يقع فيها المتناظرون والمتكلّمون بالإضافة إلى الطعن في أخلاق المتناظرين وإيمانهم، وصحة عقيدتهم، ونزاهتهم [63]

✓ **<u>حجج أخرى</u>:**

تقوم على تهلهل هذا النّظام الجدلي بسبب الخلاف الواقع بين المتكلّميـــن أنفسهم ، فهذه حجّة تؤكّد ضلالهم، وآخرون استغلّوا درجة هذا الخلاف إذ لا يكون خطيرا إلّا إذا كان في أصول الدّين، ولذلك فالخلاف بين أهل السّنة لا يوجب التّكفير[64] .

- **المتكلمون:**

ونعتمد هنا مؤلّفا للأشعري، فإنّه وإن هاجم المعتزلة وابتعد عن أقوالهم لم يرض بالتّقليد الأعمى وإتباع التّعاليم الإسلاميّة عن ضلالة وتجدر الإشارة بداية إلى اعتزاز الأشعري بالإمـــام أحمد بن حنبل فهو عنده "الإمام الفاضل والرّئيس الكامل، الذّي أبان الله به الحق ورفع به الضّلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزّائغين وشك الشّاكين[65] والمثير للدّهشة أنّ الإمام أحمد، إمام المعتمدين على أدّلة النّقل فـــي الفكر الإسلامي يستفيد إلى حد بعيد من العقل في فهم النّصوص القرآنيّة[66] لذلك لا غرو أن نجد الأشعري بطلا في مواجهة طرفي العصا ليمسكها من الوسط

63- حسين الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ص 431.
64- الكتاني: جدل العقل والنقل ، ص 416 .
65- الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ، ص 21 .
66- الكتاني: جدل العقل والنقل ، ص 412 .

كانت رسالة الأشعري " استحسان الخوض في علم الكلام"[67] خير نموذج لعمل منظّم يردّ على الطّرف الأوّل من الحجج التّي اعتمدها .

- اتهام السّنة المتشدّدين بالتّخفيف والتّقليد، وهذا إن دلّ على شـــيء فإنّما يدلّ أنّ الجهل هو رأس مالهم إذ ثقل عليهم البحث والنظر في الدّين .
- الرّد عليهم بقلب السّؤال حيث أنّه إن كان الرّسول *صلى الله عليـــه وسلم* لم يقل ابحثوا في الدّين (قول السّنة) فإنّه أيضا لم يقل: من بحث عن ذلك وتكلّم فهو مبتـــدع ضال فإذن الطرفان متعادلان، ولا ترجح كفة طرف على آخر وأكثر من هذا، لقد قلتم على الرّسول صلى الله عليه وسلم مالم يقل، وضللتم وكفّرتم من لم يكفّره، وهذا أكبر إثم بل الضّلال بعينه.
- يؤكد أنّ الصّحابة تعرضوا إلى مسائل مهمّة ناظروا فيهـــا، مثل مسائل الطّلاق والميراث والفرائض... وهم إذ فعلوا ذلك فهو بعد النّبيّ ومع ذلك تأخذون بتصنيفات مالك والشّافعي وأبو حنيفة... فيلزمكم أن يكون هؤلاء مبتدعة ضالين، إذ فعلوا ما لم يفعله النبي. ويلزمكم أنّكم ضالون من جهة، وغير عادلين من جهة أخرى[68]. والحقيقة لقد أورده عدّة حجج تعتمد القياس والوسائل المنطقيّة، وتحاول أن توقع الخصم في التّناقض القولي أو الفعلي، وهذا من أكثـــر آليات الحجاج تأثيرًا ونجاعة .

ب- الموقف الثّاني :

حاول التّوفيق بين مواقف الأطراف المتنازعة، يمثّله خاصة أبو سليمان أحمد بن محمّد الخطابي (ت388هــ) في الرّسالة الجامعة [69]خلص إلى أنّ أهل السّنة لا يرفضون أدلّة العقل وأهميتها ، ولكنّهم يرفضون الطّريقة التّي يمارس بها المتكلّمون مناظراتهم، فهم مثلا لا يثبتون النّبوّة ولا يرون لهـــا حقيقة وهذا إهمال للشّطر المهم الآخر من الإسلام "ولذلك كان حق العقل عند ابن حزم ومن وافقه من النّصيين محدودا بوظيفة الفهم والتّميّيز ليس إلّا، وعليه فإنّ العقل البشري لا يمكن أن يضع دينا، إنّما يملك تفسير الدّين، وتبيّينـــه للنّاس حسب تفاعله معه واستجابته له، كما له أن يكشف القواعد والضّوابط والموازيين لا أن يضعها بشكل مستقلّ عن النّص لأنّه إن تســـاور عن هذه الحدود يوشك أن يُشرّع ، ولا مُشّرع إلّا الله تعالى والنّبيّ بما يوحى إليه"[70]. ويبدوا ابن حزم معتدلًا حيث أنّ هناك عامّة يجب أن يؤمنوا بما جاءهم النّص وهناك الفلاسفة العارفون يمكن لهم أن يتأوّلوا آيَ القرآن الكريم[71] والعقل يرى أنّ هذا الموقف هو أحسن المواقف تمامًـــا باعتباره يعطي لكلّ قدرة في الإنسان ما يناسبها من الأحكام فعلى الإنسان أن يعلم دائما وأبدا أنّه مخلوق ضعيف وأن قوتّه إنّما تُستمدّ من اعتقاده، وإيمانه بقوة وعظمة الله عزّ وجل.

67- أرثور سعيد: وتوفيق سلوم ، الفلسفة العربية الإسلامية ، ص 40 .
68- القرطبي (أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، تقديم هاني الحاج، تحقيق عماد زكريا البارودي سعيد،ج1 ص276
69- حسين الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص 139 .
70- نعمان بوقرة: النظرية البيانية عند ابن حزم الأندلسي، ص 148 .
71- المرجع نفسه ، ص 147 – 148

ج- الموقف الثّالث :

يمثّل موقف المؤيّدين والمدافعين عن المتكلّمين وهم متكلّمون في أغلبهم متّهمين المهاجمين بالنّقل والجمود، واصفين أنفسهم بأنّهم حماة الإسلام، وحافظوا قيمته أمام المنكرين للإسلام والملحدين وكان الباقلاني أكثر من اشتهر اسمه بين المتكلّمين الذّين جادلوا وناظروا المسيحييّن وانتصروا عليهم.

4.5.3المناظرات التّي تناولت موضوعات ثقافيّة –علميّة–

كان هذا النّوع من المناظرات أكثر الأنواع طلبا ، لذلك لم ينتج عنها أي صراعات مذهبيّة أو عرقيّة، ولذلك نرى "التوحيدي" قد أثّرت فيه مجالس المقابسات التّي نقلها لنا والدّليل علــى ذلك أنّه في مناظرته مع ابن عبيد المحاسب ومع ضعف مرتكزات حجاج الأوّل وقدرة التّوحيدي الظّاهرة على غلبته في إثبات فضل البلاغة على الحساب نجده يقول: "ولو أنصفت لعلمتَ أنّ الصّناعة جامعة بين الأمريّن، أعنى الحساب والبلاغة، والإنسان لا يأتي إلى صناعة فيشقها نصفين، ويشرّف أحد النصفين على الآخر"[72] .

يمكن القول أن موضوعات المناظرات الدّينيّة كانت من أكثر المناظرات مدعاة للأخذ والردّ لصبغتها الجدليّة.

---

[72]- حسين الصّديق: المناظرة في الأدب الإسلامي، ص369-375

الحجاج عند الغربيّين المحدثين

توطئــــــــــة:

عرف الحجاج في العصر الحديث مفهوما أدق، وأوضح، وأعمق من المفاهيم السّابقة "ذلك أن الحجاج قد أخذ شيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا، ولغويا قائم الذّات.. مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية ثانية "(73) فقد عرف عدّة توجهات، فهناك نظريات حجاجيّة عديدة بعضها ينتمي إلى البلاغة وبعضها ينتمي إلى المنطق (74)وهناك أيضا من عالجه من منظور لساني، وقبل التّعرض للنظريات الثلاث نورد أقوالا لعلماء غربييّن آخرين حول مفهومهم للحجاج فمثلا ريك وسيلارز Rick وSillais يقدّمانه على أنّه "عمليّة عرض دعاوى تتعارض فيها الآراء، مدعومة بالعلل، والدّعامات المناسبة، بغية الحصول على الموالاة لإحدى تلك الدعاوى" أما الحجاج عند شفرين **Schiffrin** فهو "جنس من الخطاب تبنى فيه جهود الأفراد عامة مواقفهم الخاصة، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة خصومهم" فالحجاج بهذا المعنى يساوي تماما الجدل عند أرسطو، كما أنّه جنس من الخطاب. وأما عند هانمان وفيفجر **Wolfgang-Heinemann –Veihwegr** فالحجاج عملية اتصاليّة، وهي كلّ ضرب من ضروب عرض البرهان الذي يعلّل الفرضيات والدّوافع والاهتمامات" (75) نفهم مما سبق أن الحجاج عملية بحث حضور طرفي الاتصال أساسي، كما أنّه نوع خاص من أنواع الخطاب.

73- عبد الله صوله : الحجاج في القرآن، ص2

74- هذه الأقوال جمعناها من مقال محمد العبد، النّص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع،44-43

75- ينظر النّص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان ، في فصل أنواع النّصوص

1- الحجاج[*] عند برلمان وتيتكاه

يعتبر كتاب Traité de l’argumentation: La nouvelle rhétorique من أهمّ الكتب المصنّفة في الحجاج حديثا، ظهر عام 1958 ، لاقى نجاحا كبيرا نظرا لمحاولات التّجديد الجادّة الموجودة بين ثنياه "لم ينطلق المؤلفان من العدم، بل اهتما كثيرا بمجهود أرسطو، وبالتّطورات التّاريخيّة لمفاهيم الخطابة والجدل والحجاج وكانت غايتهما في النّهاية إخراج حجاج قائم بذاته له مميّزاته وأهدافه. وقد "عملا من ناحية أولى على تخليص الحجاج من التّهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التّهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتّلاعب بعواطف الجمهوروبعقله أيضا ودفعه دفعا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها.وعمل الباحثان من جهة ثانية على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب.فالحجاج عندهما معقوليّة وحريّة وهو حوار من أجل الوفاق بين الأطراف المتجاورة ومن أجل حصول التّسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقوليّة اللذيّن يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذيّن يطبعان الجدل ... "[76]

والذي ترجمه عبد الله **LA NOUVELLE RHETORIQUE** الحجاج المقصود عند ببرلمان وتيتكاه هو المسمى صولة مثلا بالخطابة الجديدة، وصلاح فضل بالبلاغة الجديدة يعرّف المؤلفان موضوع نظريّة الحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم" [77]والغاية التّي يسعى المؤلفان تحقيقها من خلال هده الدّراسة "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة".[78]

يبدو أن ببرلمان وتيتكاه قاما بعملية استقراء للوصول إلى أهمّ خصائص الحجاج الذي كان سائدا قبلهما فوجدا: "أن الحجاج عند بعض الفلاسفة ومنهم باسكال حجاجان، الحجاج الأول قوامه العقل، وهو حجاج فيلسوف يتوجّه به إلى جمهور ضيّق، يرمي من ورائه إلى إسكات صوت الهوى فيه وإلى جعل العقل قوام الاستدلال، فهو حجاج لا شخصي ولا زمني، والحجاج الثّاني يقصد دغدغة العواطف، وإثارة الأهواء، استنفارا لإرادة جمهور السّامعين ودفعها إلى العمل المرجو إنجازه مهما تكن الطّرق الموصلة للإقناع بذلك العمل غير معقولة وغير منطقية " [79]

---

*نعتمد المصطلحargumentation في المقابل العربي الحجاج لأن هناك من يترجم ذلك بالبرهان مثل صلاح فضل في كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النّص)

76- عبد الله صوله : ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 405

77- المرجع نفسه،ص 451

78- عبد الله صوله ، الحجاج في القران ص 1 – 32.

79- عبد الله صوله:الحجاج في القرآن ,ج 1-32

(

يطابق هذا كما أرى تماما ما خلص إليه مصطفى ناصف بخصوص تاريخ البلاغة العربية القديمة، والهدف من وأما الهدف الذّي يرومه برلمان وتيتكاه **La démonstration**أو الاستدلال**la persuasion**ذلك الحجاج إمّا الإقناع ، والذّي يقع في منطقة وسطى بين السّابقين.Convictionفهو الإقناع

الاقتناع عند شانيه هو " أن الإنسان في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة أما في حالة Nonالإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما "[80] ولهذا الهدف يقول الباحثان: "إن الحجاج غير الملزم CONTRAIGNANT (إشارة إلى الاستدلال)، وغير اعتباطي (إشارة إلى الإقناع) هو وحده الكفيل بأن يحقّق الحرية الإنسانيّة من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل، فأن تكون الحرية تسليما إلزاميّا بنظام طبيعي معطى سلفا معناه انعدام كل إمكان للاختيار، فإذا لم تكن ممارسة الحرية مبنيّة على العقل، فإن كلّ اختيار يكون ضربا من الخور، ويستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ فكري "[81]فالحجاج عندهما يعني الرّغبة في عدم اللّجوء إلى القوة في تغييّر أو تبديل آراء الآخر. بل يقوم على الاعتراف به وبأفكاره، ومحاولة تعديلها عن طريق مخاطبة قدراته العقليّة، وحريّته في الحكم لذلك أي قرارات أو نتائج تظهر على الآخر لم تأت بهده الطريقة يعتبرانها نوعا من العنف الفكري وهذا يرفضانه تماما.

من الأفكار الجادّة عند ببرلمان وتيتكاه علاقة الحجاج بالخطابة والجدل، وهما لا يخرجان عما أورده أرسطو بخصوص أن موضوع الحجاج "يدور حيث يكون خلاف، أو يشكّ في صحّة فكرة ما أو ... ولنا أن نشير بداية أن روبول يميز خطابة أرسطو وجدله "فالجدل لعبة نظريّة أما الخطابة فليست لعبة ، إنها وسيلة عمل اجتماعي " [82]

عندما قسّم أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أنواع، المشاجريّة، المشاوريّة، والتّثبيتيّة حافظ من جاء بعده على هذا التّقسيم، ولكن برلمان وتيتكاه يعتقدان أن هذا التّقسيم شتّت شمل الخطابة ووزّعها على علوم تتجاذب كلّ واحدة منها طرفا

اختصت به الفلسفة ←——— النّوع المشاوري

النّوع المشاجري ———← كان من نصيب الجدل

[83]النّوع التّثبيتي ———← خلص إلى الأدب

80- طه عبد الله السبعاوي : أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، ص 15

81- عبد الله صوله: الحجاج أطره ومنطلقاته ص 301، نقلا عن T·de l'argumentation p 54

82- نفس المرجع،ج1،ص35

83- عبد الله صوله: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص326

وبالتّالي كان وكدهما جمع شتات الخطابة ، بالتّأكيد على أنّ النّوع التّثبيتي هو واسطة الرّبط بين النّوعيّن الآخريّن، لتحقيق الاقتناع، فهدا النّوع يزيد من درجة القبول لبعض القيّم الجميلة، وهو يستعين بكلّ المشاكل التي يوفرها الأدب لكن يضخّم من تلك القيّم ويعظّمها، فهو إذن المحطّة الأولى في إنشاء الاستعداد للعمل **La creation d'unecertaine disposition à l'action** وبالمقابل يعمل النّوعان الآخران المشاوري والمشاجري على الانتهاء إلى العمل أو إنشائه، فالأول يمثل التّهيئة التّي لابدّ منها لكي يكون قادريّن على تحقيق هدفهما لنخلص إلى أن الحجاج عندها خلق للاقتناع، وعملا في ضوء ذلك الاقتناع جامعيّن بين الأجزاء الثّلاثة لتولد الخطابة الجديدة.

يركّز المؤلفان على أن نظريّة الحجاج عندهما أقرب للخطابة منها إلى الجدل "فالغاية من تقريبنا بين الحجاج والخطابة أن نلح على أنّه لا حجاج دون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويصادق على ما يعرض عليه"[84] ولكن هذا لا يعني أنّه هوا لخطابة نفسها، بل بينهما فروق نجملها في الجدول التّالي

الخطابة **la rhétorique**	الحجاج **la nouvelle rhétorique**
1- فنّ الكلام المقنع للجمهور،فهي إذن شفويّة	1- تقنيات الخطاب التّي من التّأييّد سواء لمتلقين حقيقييّن (تعتمد المشافهة)أو مفترضين من (خلال الكتابة)
2- الجمهور واسع مباشر	2- هناك الحجاج الاقناعي موجّه إلى الجمهور الخاص L'argumentation persuasive والحجاج ألاقتناعي L'argumentation convaincante موّجه إلى الجمهور الواسع أو إلى كلّ ذي عقل،لكن المؤلفيّن يردّان كافة أنواع الجمهور، الجمهور الواسع والمخاطب الواحد والمتحدث لنفسه إلى الجمهور العام الذّي هو أساس القبول أو الرّفض
3- الجمهور مضغوط عليه فكريّا، ليس لديه حريّة الاختيار(عنف فكري)	3- الجمهور(قارئ ومستمع)لا يخضع للضغوط والأهواء والمصالح
4- الشّكل هو الأساس(طريقة العرض)	4- يربط الشّكل بالمضمون لأنه يرفض الفصل بين الشّكل والمضمون، لذلك لا بدّ من دراسة الأساليب والأبنية الشّكلية في ضوء علاقتها بالهدف الذّي تؤديه في الحجاج [85]

84- المرجع نفسه ص 306.

85- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النّص،ص99-103

ترتكز نظرية بيرلمان وتيتكاه في الحجاج على مبدأ الاحترام بين الخطيب وجمهوره (دون تحديد نوع الجمهور) وضرورة اعترافه بآراء ومنظومة أفكار هذا الجمهور، وإن كان لابد من تغييّرها فعن طريق مخاطبتها على درجة رفيعة من الرّقي الفكري والابتعاد تماما عن العنف الفكري والخداع والتّلاعب بالمشاعر، وعلى هذا فأنواع عدّة من الحجاج لا يمكن أن تدخل عند بيرلمان وتيتكاه على أنّها حجاج وبالتّالي نلمح تقلص حدود الحجاج عندهما. ويمكن القول أن الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه يتميز بخمسة ملامح رئيسة هي:

- أن يتوجّه إلى مستمع .
- أن يعبّر عنه بلغة طبيعيّة .
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتماليّة.
- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة
- ليست نتائجه ملزمة . [86]

وبالتّالي فالحجاج عبارة عن "تصوّر معيّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصّة بكلّ من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب "[87] وإذا كان الإقناع هو مجال المبحث الحجاجي فإن "الفعل هو أهمّ وظيفة حجاجيّة في هذا المجال حيث تتطلب وعيا بآليات من شأنها تحريك المعنييّن بالكلام صوب الفعل وتغييّره بما ينسجم مع المقام" [88] قدّم الباحثان عملا ركّزا فيه على الإقناع النّاتج عن وعيّ ودراية بجميع معطيات الخطاب.

2- **الحجاج عند مايير M.meyer**

يعتبر مايير "أحد منظري البلاغة المعاصرة الذّي أحدثت دراسته الأخيرة طفرة نوعيّة في تحليل الخطاب في مجال التّواصل والإقناع ، انطلاقا من وجهة نظر فلسفيّة تعتمد البعد الافتراضي وتستند إلى الاختلافات الإشكاليةّ في التّأويل والفهم[89] وقد استفاد مايير"من مختلف العلوم المعاصرة للتّواصل والنّظريات المعرفيّة والهرمونيتكا والظّاهراتيّة في قراءة البلاغة الكلاسيكيّة والجديدة معا، فتمكّن من إبراز المكونات الجديدة للخطاب الحجاجي البلاغي من خلال تصّور جديد منفتح على العلوم الإنسانيّة والفلسفيّة بالخصوص" [90]

تعدّ نظرية المساءلة إحدى النّظريّات المعاصرة التّي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة والخطاب الذّي يتمّ داخل عمليّات التّخاطب خاصّة، سواء كان تواصلا عاديا، أم حجاجا يهدف إلى الإقناع وقد استطاع مايير اعتمادا على منطلقات معرفيّة ومرتكزات فلسفيّة أن يؤسّس منهجا تساؤليّا يقوم على مبدأيّن اثنيّن [91]:

أولا : المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال

86- محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص61
87- المرجع نفسه، ص62
88- حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص12
89- عبد السّلام عشير: عندما نتواصل، ص194
90- محمد علي القارصي: أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص387
91- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير ص 196

ثّانيًا : مبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال

1.2 مبدأ الافتراض في تحليل الأقوال:

تقوم كلّ الأقوال في العمليات التّخاطبيّة على" مبدأ الافتراض المؤسّس على الجواب والسّؤال المفترضيّن انطلاقا من مجموعة من المقوّمات التّي تحكم العمليّات التّواصليّة، كالسّياق والمعلومات الموسوعيّة والتّجربة الذّاتية والقدرات الفكريّة والتّأويليّة والتّخييليّة، إذ يصبح كلّ قول (خبر، إنشاء سؤال، تعجبا، أمرا، نهيّا) افتراضا لشيء ما داخل سياق تخاطبي معيّن أي جوابا عن سؤال سابق وسؤال لجواب لاحق بهذا يعبّر الافتراض عن انتظارات متعدّدة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانيّة لتحقيق أهدافها ومراميها[92]

2.2 مبدأ الاختلاف الإشكالي:

يرتكز هذا المبدأ على "طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواصلا أو إقناعا وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقيّة في العمليات التّخاطبيّة ليس باعتبارها تنوعات قوليّة في الشّكل والمضمون بل باعتبارها اختلافات تحكمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيّات السّياقيّة والثقافيّة التّي يتوفّر عليها الذّهن البشري" [93]

يمكن القول أن نظريّة المسألة بحثا في الإنتظارات المفترضة داخل الأقوال وبحثا في الاختلافات الإشكالية التّي تمثلها اللّغة .

3.2 الحجاج ونظرية المساءلة:

قام مايير من خلال نظريّة المسألة بوضع قواعد نظريّة ذات بعد فلسفي تكمّل مجهودات باحثين آخرين لأبعاد اللّغة ووظائف الكلام وهي "جهود تنظيّرية في مجال البلاغة، تبقى متينة الاتّصال بنظريّة المعنى المرتبطة بالسّؤال أشدّ الارتباط وبالسّؤال المنفتح على الأجوبة المتعدّدة التّي تتضافر المقاصد التّداولية (ظروف إنجاز الخطاب) والتّأويليّة (علاقة السّؤال بالجواب) والبلاغيّة الحجاجيّة أساسا في تحقيقه"[94] وهذا يبيّن أن المجال المفضل للحجاج هو البلاغة.

حددّ مايير البلاغة تحديدا وظيفيّا "باعتبارها مفاوضة بين الأشخاص حول مسألة أو مشكل"[95]تلعب فيه المسألة المتّصلة ببنيّة الأقوال "دورا تحليليا داخل الحجاج، حيث تبرز أهدافه وغاياته الإقناعية"[96] ومن بين أهمّ العناصر التّي تحدث عنها:

---

[92]- مليكة غبار، احمد أمزيل، محمد رويض، علي أعمور: الحجاج غي درس الفلسفة، ص101
[93]- نفس المرجع،ص106
[94]- محمد علي القاصي: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 401
[95]- عبد السلام عشير:، عندما نتواصل نغيّر ص 203
[96]- محمد علي القارصي: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص407

1.3.2 العلاقات الحجاجية:

تقوم العلاقات الحجاجية على ثلاثة عناصر أساسية هي :

أ- الإيتوس (الصفات المتعلّقة بالمتكلّم)

ب- الباتوس (التأثير في الآخر)

ج- اللّوغوس (الخطاب أو اللّغة أو العمليات الاستدلاليّة العقلانيّة داخل الخطاب) [97]

هذه العناصر لا تخرج عن الطرح الذي قدمه بيرلمان انطلاقا من التّصور الأرسطي لكن مايير يقدم تصورا وظيفيا لهذه العناصر ويختزلها في عنصرين أساسيين هما: "عنصر الإيتوس وعنصر العلاقة الثنائيّة التي تجمعبين المتكلّم والمستمع والتّي يحددها اللّوغوس في الخطاب إذ يعتبر هذا التّصور الجديد في الوظيفة الحجاجية تجاوزا للفهم التقليدي (أرسطو وبيرلمان) الذي ينحصر في الوظيفة التي تدور حول الاستمالة والإقناع تصوّر يرتكّز على العلاقة الثنائيّة (بين المتكلّم والمستمّع) باعتبارها مكونا أساسيا في العملية الحجاجية"[98] أعطى طرفي العمليّة الحجاجيّة الأهميّة التّي غابت عند أرسطو وبيرلمان

2.3.2 البعد الحجاجي للغة:

يعرّف مايير اللوغوس (أي القول الحجاجي) بأنه "كلام العقل الذي يدرك نفسه في كلّ أبعاده دون أن يحدّه اتجاه مخصوص "[99] وإذا كان الحجاج معقود بركنيّه الأساسيّن،ركن العلاقة الثنائيّة وركن اللّغة القائم على العلاقة الخطابيّة " فإن الحجاج ليس إلاّ استغلال لما في الكلام من قوة وثراء"[100]يظهر أن الاهتمام منصب على ما في اللغة من قدرة على الإقناع لما تتوفر عليه من بنيات مختلفة.

3.3.2 الواضح والضمني في اللّغة الحجاجية:

تعبّر لغة التّخاطب داخل القول الحجاجي عن "أسئلة خفيّة، وتطرح قضايا مشتركة بين النّاس فالقول الذّي لا يثير أسئلة – أي القول الذي لا يتجاوز ظاهر لفظه –لا يقيم علاقة حجاجيّة بين المتخاطبيّن، سواء كان المعنى الذي يحمله خفيّا أو حرفيّا لذلك فالواضح والضّمني في الحجاج مرتبطان بما يتيحانه من إمكانات تساؤليّة لإبراز الاختلاف الإشكالي" [101]فالقول(اللغة) واستعمالاته هي مصدرا لاختلاف حول مضمون القضايا التّي يجادل النّاس حولها لتأكيدها

97- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص204

98- نفس المرجع، ص 205

99- مليكة غبار، احمد أمزيل، محمد رويض، علي أعمور، الحجاج في درس الفلسفة ص 118

100-نفس المرجع,ص 118-119

101- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص207

أو رفضها أو التّشكيك فيها... ولأنّ اللّغة تسعى إلى تكثيف القول بما تنتجه من آليّات وأدوات تجعل من الواضح والخفي أسئلة مختلفة ومتنوعة "[102] والقول التّالي يبيّن دور هذه الآليات التّكثيفيّة .

" **كلّ شيّء قابل للتّغييّر لكن الوقت لم يحن بعد** " المثال لعبد السلام عشير[103]

فالجواب الأول " كلّ شيّء قابل للتّغيير" ⟵ يسير في اتجاه القبول والاتفاق

الجواب الثّاني "لكن الوقت لم يحن بعد " ⟵ يسير في اتجاه الرّفض والاختلاف

فالقول عن طريق توظيف "لكن" هو"عبارة عن سؤال خفي يحوّل المعنى الواضح والمعنى الخفي إلى سؤال إشكالي ويجعل المخاطب يقوم بتقدير الجواب الحقيقي أو المفترض في القول وهو على نقيض ما يطرحه المتكلّم إن استعمال الأداة "**لكن**" يدل على الشّك أي أن تحقيق التّغيير ليس إلاّ احتمالا دون أن يكون حقيقة. والجواب هو دليل ممكن لمعالجة قضيّة التّغيير عن طريق إثارة أسئلة أخرى وإجابات أخرى.

4.3.2 الحجاج والمجاز:

يولي مايير أهميّة قصوى للبلاغة وصورها المجازيّة في التّخاطب لأنّ هذه الصّور تعمل على تأسيس فعل الحجاج واغنائه "فيصبح الحجاج ما تتيحه البلاغة من صور بيانيّة"[104] لأنّ الإنسان يستخدم عبارات يريد من ورائها إبراز الفكرة أو تأكيدها أو إلغائها وهذا يبرز "أن ما يفهمه الإنسان أو يؤمن به أو يعتقده مقيد بأشكال متعدّدة من السلطة، الماديّة والمعنويّة والقوليّة والمجازيّة "[105]

يمكن القول أن نظريّته المجازيّة في الحجاج تأسست من خلال مفاهيم هي عبارة عن" ثنائيات متقابلة يتشكل بها القول الحجاجي منها : الحقيقة والمجاز، الافتراض واليقين، الاستعمال والابتكار السّلطة المجازيّة والسّلطة الماديّة ..."[106]

3– <u>الحجاج عند أوسكمبروديكرو O. Ducrot /G .Aunscombre</u>

تمثّل أعمال أزوالدديكرو وجون كلود أوسكومبرتّجاها جديدا ومتميّزا في اللّسانيّات التّداوليّة الحديثة ومن الأفكار الجادّة عندهما "رفض التّصور القائم على فصل الدّلالة التّي تبحث في المعنى (معنى الجملة، النص) والتّداوليّة التّي تعنى باستعمال ذلك في المقام.إنهما يعتقدان

102- محمد علي القارصي: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم،347

103- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص208

104 -ibid,p143

105- ibid,p152

106- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص207

أن الأمر كلّه منوط ببنيّة اللّغة، لأن ّالجزء التّداولي فيها يكون مدمجا في الدّلالة وبالتّالي يكون موضوع البحث هو الدّلالة التّداوليّة المسجّلة في أبنية اللّغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن " [107]

الحجاج عندهما موجود في" بنية اللّغة ذاتها، وليس فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنيّات شبه منطقيّة فالخطاب وسيلة الحجاج وهو في آن واحد منتهاه، فيكون الحجاج عندهما بتقديم المتكلّم قولا (ق1) (أو مجموعة أقوال). تفضي إلى التّسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى[108] وسواء أكان (ق2) صريحا أو ضمنيّا فعمليّة قبول (ق2) على أنّه نتيجة للحجّة (ق1) تسمى عمل محاجّة"(2) فالحجاج إنجاز لعمليّن هما "عمل التّصريح بالحجّة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى" [109]

قد يبدو الأمر وكأنّه عمليّة استدلال، لكن الباحثين لا يغفلان التمييز بين "عمل المحاجة وبين الاستدلال حيث يقوم القائل (مـــ) الذي يقول القول (ق) بعمل استدلال إذ أحال في الوقت نفسه الذي يقوم فيه (ق) على حدث معيّن (س) ويقدّمه على أنّه نقطة انطلاق لاستنتاج يؤدي إلى عملية قول (ق)[110] فالفرق بين الاستدلال وعمل المحاجة،أن الاستدلال أساسه ربط المتكلّم لآرائه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون أما الحجاج فعمليّة موجودة في الخطاب نفسه، أيّ لا يستند إلى أي حدث في الكون خارجي عن اللّغة ، فإذن " الحجاج خاصيّة لغويّة دلاليّة وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام" [111]

ويتحقّق الحجاج حسبهما من خلال تتابع (ق1) و(ق2) تتابعا صريحّا أو ضمنيّا (أي الحجّة والنتيجة) لغويّا، أي من بنية هذه الأقوال وليس من مضمونها الإخباري "إنّه من أجل أن يكون (ق1) حجّة تفضي إلى(ق2). لا يكفي في (ق1) من الحجّج – في مستوى المضمون – ما يفضي إلى التسليم بـــ (ق2). إذ ينبغي أن تشتمل البنية اللّغويّة على بعض الشّروط التّي من شأنها أن تؤهّل(ق1)هذا لكيّ يمثّل في خطاب م حجّة تفضي إلى (ق2)[112]، فترابط الأقوال" لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنّما هو ترابط حجاجي لأنّه مسجّل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون أخرى .فموضوع الحجاج في اللّغة هو بيان ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجيّة تمثل مكونا أساسيّا لا ينفصل عن معناه و يجعل المتكلّم في اللّحظة التّي يتكلّم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجيّة معيّنة[113]الباحثان يركّزان على ما في اللّغة من أبنية تؤدي إلى حجاجيّة القول.

107- شكري المبخوت: أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو اليوم، ص351
108- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، ص36
109- نفس المرجع، ص36، 37.
110- شكري المبخوت: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص361
111-مرجع سابق، ص362
112- عبد الله صوله : الحجاج في القران ص 37
113- شكري المبخوت :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 352

وهو ما "ينقله القول Acte présupposéومن المفاهيم المهمّة في هذه النّظريّة الاقتضاء[114] أو عمل مقتضى إلى المخاطب بصفة ضمنيّة، أي أنّه يعيد معلومات قديمة، مثلا " **كدت تصل متأخرا**" نجد الاقتضاء مفاده أن المخاطب "**لم يصل متأخرا**" وهذا يعرفه المخاطب ولا خلاف فيه ، ولكن للاقتضاء مظاهر أخرى [115]:

أ–إذا كان المقتضى يقدمه المتكلّم على أنّه يعبّر عن موقفه الشّخصي لغويّا فهذا يجعل الاقتضاء يقدّم على أنّه جانب مشترك بينه وبين المخاطب، وبما أنّه مشترك فإنّه لا يمكن إلاّ قبوله، وهنا يبرز الجانب الخطابي الأساسي للاقتضاء
ب–في الجدل ييّسر الاقتضاء إدخال المخاطب ضمن عالم اعتقادات المتكلم فهو يجعل المتكلم يأسّر المخاطب في عالمه يقبل مستلزماته على نحو يمنعه من رفضه، أو التساؤل عنه.
وهو على مستويّين على مستوى السامع "بالتأثير فيه، orientation'وأما هدف الحجاج عندهما فهو التّوجيه أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك وعلى مستوى الخطاب حيث إن الحاجة من أجل الحصول على النّتيجة (ن) بواسطة(أ) إنمّا هي في نظرنا ضرب من تقديم (أ)على أنها ينبغي أن تؤدي بالمتلقي إلى استنتاج(ن) وجعل (أ) تعلّة لاعتقاد(ن)[116]

عموما إنّ الحجاج عند ديكرو وأوسكمبر

- قائم في جوهر اللّغة
- واسع جدّا، فكلّ قول حجاجي، وهذا فيه مبالغة كبيرة لأنّ للغة وظائف أخرى لا تقل أهميّة عن الحجاج.

يمكن القول إن أعمال هذيّن الباحثيّن أعمال بنيويّة تغلق النّص أو الخطاب ولا تتعامل مع خارجه، وضمن هذا الدّاخل اللّغوي تحيل اللّغة على ذاتها، لأنّها تعكس عمليّة قولها بحيث يكون معنى القول هو "ما ينقله من وصف وتمثيل لعمليّة قول ذلك القول.[117]

<u>الخلاصـــــــــة:</u>

اهتم الغربيّون المحدثون بالحجاج مع تطوّر الدّراسات اللّسانية والتّداولية، حيث ظهرت عدّة نظريّات، وإن اختلفت مشاربها النّظريّة ومنطقاتها المنهجيّة أو الأصولية فإنّها تكشف لنا بوضوح قيمة الموقف من الحجاج باعتباره عنوان بلاغتنا الجديدة وتجسيدا صريحا لفلسفة الرّجة حسب بول ريكور التّي نبهتنا إلى أن كلّ خطاب آثم وأن لا وجود لخطاب بريء وهذا ما يجعل الحجاج نمطا للخطاب ونوعا يتعالى على مقولات الجنس لأنّه قادر على ابتلاع سائر الأجناس.

---

[114]- عرف أبو حامد الغزالي (ت 505) الاقتضاء بقوله :"هو الذي لا يدل عليه اللفظ و لا يكون منطوقا به، و لكنه من ضرورة اللفظ ..." وحده الشريف الجرجاني :"المقتضى هو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق، مثاله فتحرير رقبة و هو مقت شرعا لكنه مملوكة إذ لا عتق فيها لا يملكه ابن ادم فيزداد عليه ليكون تقدير الكلام فحرير رقبه مملوكة " عبد الله صوله: الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص 91.

[115]- شكري المبخوت: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص372 -357

[116]- عبد الله صوله: الحجاج في القران ص 39

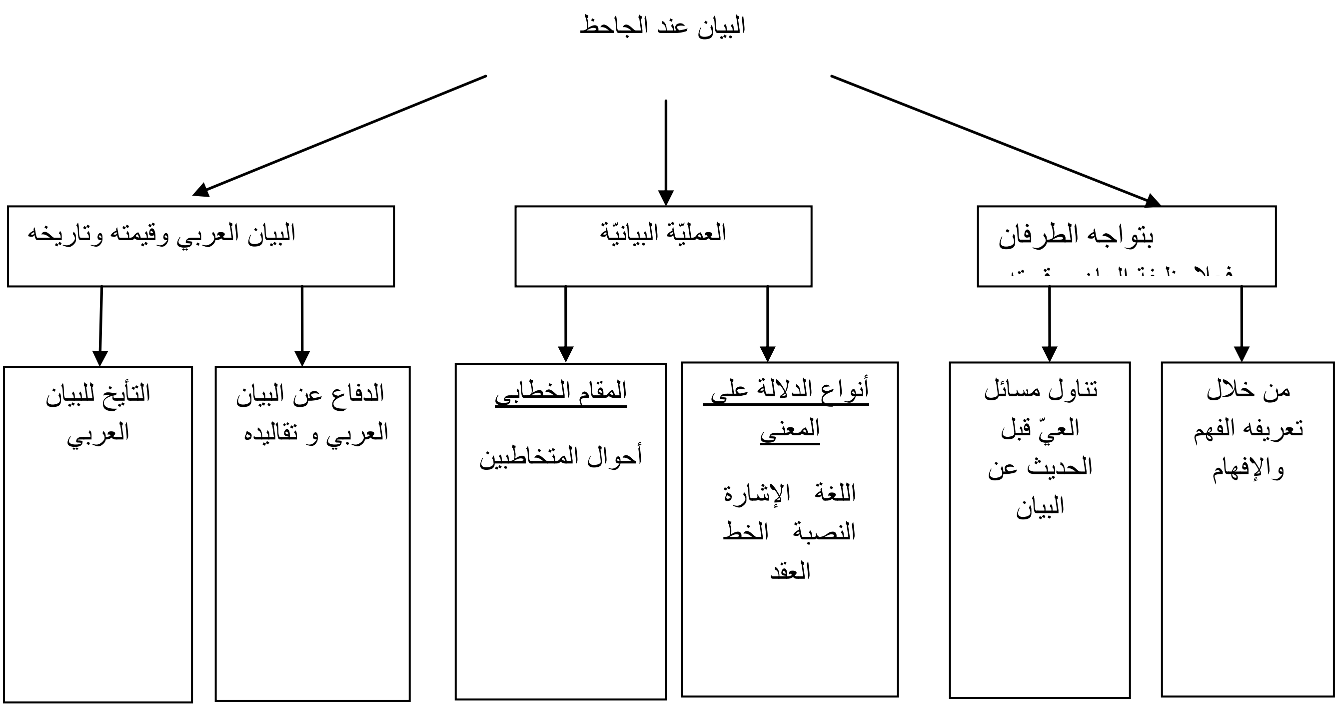
[117]- شكري المبخوت: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص352

الحجاج والبلاغة والبيان والخطابة بين التراث والبلاغة الحديثة

توطئـــــــــــــة:

كان الجاحظ أستاذ الثّقافة الإسلاميّة في النّصف الأوّل من القرن الثّالث الهجري، "وكان مجده الأدبي الذّائع يعصف بمجد كلّ أديب، ويدوي في كلّ أفق، ويرنّ صداه في سمع كلّ شاعر وخطيب، وعاش النّاس في عصره وبعد عصره ينهلون منه في البلاغة والفصاحة واللّسن، والعارضة،كما يقول ابن العميد. وعدّوا التّلمذة عليه شرفا لا يعدّ له شرف، ومجدا يدنيهم من بلاط الملوك، وتعصّب له كثيرا من رجال الثقافة الإسلاميّة في شتىّ عصورها، فألّفوا الكتب في الإشادة به ..."[118]

ألّف الجاحظ كتاب **البيان والتّبيين** لأحمد بن أبي داود وجعل بين دفتيّه الكثير من بلاغة العرب وسحرهم وقد لخّص محمد العمري موضوع البيان والتّبيين في الخطاطة التّالية :[119]



---

[118] عبد المنعم خفاجي:- البحوث الأدبية مصادرها و مناهجها،ص 147

[119] محمد العمري :- البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص 272

1 – مفهوم البيان عند الجاحظ:

أولى الجاحظ أهميّة قصوى للبيان ولهذا أفرد له حيّزا معتبرا في مؤلّفه حيث يقول"البيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضّمير، حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته... لأنّ مدار الأمر والغاية التّي يجري إليها القائل والسّامع إنمّا هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الإفهاموأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ..." (120)

البيان هنا مفهوم عامّ لغويّ هدفه تحقيق الفهم والإفهام، مع ملاحظة تركيزه على فكرة التّواصل حيث هناك طرفان يشتركان في عمل لغوي ما الغاية منه البيان والإفهام عن كليهما وحسب تقسيم رومان جاكبسون لوظائف اللّغة يقوم البيان بالوظيفة الأولى الإخبارية.وفي هذه الفكرة نلحظ تساوي البيان والبلاغة في الوظيفة يقول الجاحظ "وكان عبد الرحمن بن إسحاق القاضي يروي عن جده إبراهيم بن سلمه، قال: سمعت أبا مسلم يقول: سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق، ولا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع، قال أبو عثمان: أمّا أنا فأستحسن هذا القول جدا ..." (121)

وفيما يلي جملة من الأقوال نستخلصها من البيان والتبيين تفيدنا في فكرتنا العامة:

"... وليس حفظك الله، مضرّة سلاطة اللّسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة بأعظم مما يحدث عن العيّ من خلال الحجّة وعن الحصر من فوت درك الحاجة "(122) وكأني به يقول: إن الأثر الذي يتركه العيّ يماثل الأثر الذي ينتجه غياب الحجّة، أو أن التّأثير العملي العقلي ولذلك فمفهوم العيّ عند الجاحظ ليس ثابتا أو لنقل ليس في مستوى واحد وهذا بيان ذلك.

"...ومع ما أعطى الله تبارك وتعالى موسى عليه السّلام من الحجّة البالغة ومن العلامات الظّاهرة والبرهانات الواضحة، إلى أن حلّ الله تلك العقدة وأطلق تلك الحبسة وأسقط تلك المحنة... أو... ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة إسقاط الرّاء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه حتى انتظر له ما حاول واتّسق له ما أمل ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتّى صار لغرابته مثلا... لما استتجزنا الإقرار به والتأكيد له، ولست أعني خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة، لأن ذلك يحتمل الصّنعة، وإنمّا عنيت محاجّة الخصوم ومناقلة الأكفّاء ومفاوضة الإخوان "(123)

فإذا فهمنا من هذيّن القوليّن أن العيّ يمثّل عائقا يحيل بين البيان وبين هدفه الذي هوعدم القدرة على الكلام بالشّكل المطلوب، فالكلام هنا بوصفه إنجازا فإنه في أقوال أخرى يتصاعد ليصل إلى الفكر والعقل، وهذا من خلال عقد

120- الجاحظ: البيان والتبيين، 1- 76.
121- نفس المرجع ،ج 1، ص86 - 87
122- نفس المرجع ،ج 1 ،ص12.
123- الجاحظ: البيان والتبيين ص 1- 15.

الجاحظ لمقارنات بين البيان والعيّ يقول "... البيان بصر والعيّ عمى، كما أن العلم بصر والجهل عيّ، والبيان من نتاج العلم، والعيّ من نتائج الجهل"[124]فالبيان هنا هو الغاية،ومن ميادينه :

أ- الاحتجاج ← مقارعة الخصوم

ب-الدعوة إلى مذهب ← الخطب الطّوال

ولتمامه لابدّ من التحام "المعنى أو الفكر واللّفظ" فالمعاني قائمة في صدور النّاس متصوّرة في أذهانهم مختلجة في نفوسهم ومتّصلة بخواطرهم... وإنّمايحي تلك ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها" [125] في مقابل هذا الطّرح نجد التّوحيدي يقول "أعلم أن البليغ مستمّد بلاغته من العقل، ومأخذه فيها من التميّيز الصحيح"[126]

ج- يتطوّر هدف البيان عند الجاحظ من مجرد الفهم والإفهام إلى:

- "... وإن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق "[127]
- "وكان أبو بشير إذا نازع لم يحرك يديّه، ولا منكبيه، ولم يقلب عينيّه حتّى كأنّ كلامه إنمّا يخرج من صدع صخرة، وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك، وبالعجز عن بلوغ إرادته، وكان يقول: وليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتّى كلمة إبراهيم بن سيّار النّظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجّة وبالزّيادة في المسألة حتّى حرّك يديه، وحلّ حبوّته ..."[128]فإذن:
  - الإقناع الذّي يكون عن طريق الاستمالة، استمالة القلوب، وانثناء الأعناق...
  - الإكراه والإلزام، مع ما يحوي ذلك من إنشاء حجج لا تردّ ويرى محمد العمري أن المفهوم الثّاني يدخل ضمن الهموم الشّخصية والمذهبيّة للجاحظ، باعتباره علما من أعلام المعتزلةحاول من خلال جهود شيوخهم المذكورين في البيان، وغير المذكورين تقنين الخطاب الإقناعي.[129]

نلاحظ أن الجاحظ خصّص فصلا للمقال عن البيان إلى غاية الصّفحة 87 من الجزء الأول وابتدءا من الصّفحة 88 يبدأ فصل جديد عن البلاغة، أورد فيه تعار يف عدّة للبلاغة، كالتّعريف الفارسي واليوناني "تصحيح الأقسام، واختيار الكلام"[130] والرّومي والهندي... وتعريف بعض أهل الهند: "جماع البلاغة البصر بالحجّة والمعرفة بمواضع الفرصة"[131] فالبلاغة عند الأقوام غير العربيّة تعتمد المنطق ويمكن استنتاج أن البلاغة (العربيّة) تقابل الخطابة (اليونانيّة) من التعريف اليوناني. ولكن الشّيء الواضح هو أن الجاحظ عندما عرّف البيان وتحدّث عنه، كان ذلك من نتاج أفكاره، أما عندما انتقل إلى الحديث على البلاغة، فإنّه أورد تعريفا للأممّ الأخرى (اليونانيّة، الفارسيّة...) وحتّى لبعض الشّخصيات غير عربيّة الأصل مثل سهل بن هارون وابن المقفع.

---

124 نفس المرجع :- 77 ص ج1

125- المرجع نفسه ج1، ص 75.

126- حسين الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ص 375 نقلا عن الامتناع والمؤانسة ج1، ص 96.

127- الجاحظ: البيان والتبيين ج1 ص 17.

128- المرجع نفسه ص 91.

129- محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ،ص 200

130- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج1 ، ص 96.

131- نفس المرجع ،ج1 ،ص 106.

ومع ذلك فإن الجاحظ حينما انتقل إلى الحديث عن البلاغة، لم يفصل بينهما وبين البيان، بشكل يشعرك أنّك بإزاء مفهوميّن مختلفيّن، على العكس من ذلك كثير من الأقوال يقايض- المصطلح لمحمد العمري- فيها البيان بالبلاغة قال مثلا: "وقال ثمامة: قلت لجعفر بن يحي ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم محيط بمعناك ويجلى عن مغزاك، وتخرجه عن الشّركة، ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بدّ منه، أن يكون سليما من التّكلف، بعيدا عن الصّنعة، بريئا من التّعقد، غنيا عن التّأويل وهذا هو تأويل قول الأصمعي: "البليغ من طبّق المفصل، وأغناك من المفسّر" (132)لكن البلاغة التّي تساوي البيان هنا ليست مشابهة لبلاغة الأقوام غير العربيّة التّي تعتمد المنطق والعقل.

يدخل مصطلح آخر ويدور مع المصطلحيّن الأوليين، الخطابة، فكثيرة هي الأقوال التي تلمح فيها البعد التّرادفي بين البلاغة والخطابة مثلا: قال ابن الأعرابي: قال بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدي: ما هذه البلاغة التّي فيكم؟... قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه ألسنتنا. فقال رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين هؤلاء باليّسر والرّطب أبصر منهم بالخطب، فقال له صحار: "أجل والله، إنا لنعلم أن الرّيح لتلحقه، وإن البرد ليقعده، وإن القمر ليصبحه، وإن الحّر لينصحه"(133)ولم يعلق أحد من الحاضرين أو حتىّ الجاحظ بعد ذلك الحديث إلى الخطابة بعد أن بدأ بالبلاغة وكأنّهم لا يرون فرقا بينهما ولكن في عرض الخطابة والبلاغة بعض النقاط نشير إليها على عجل:

يربط الجاحظ البلاغة بالكتابة "... فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، بلاغة قلمك... فأنت البليغ التاّم"(134)
ولذلك فهو معجب كثيرا بطريقة الكتّاب" قال أبو عثمان: أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتّاب فإنهّم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعّرا و حشيّا فالبلاغة كما تفهم هنا تختلف عن بلاغة اليوناني أو الفارسي في المرتكزات المعتمدة، وأما الخطابة ففيها جانبان هما:

- **الجانب المكتوب:** تتمثّل في" خطب محفوظة، رسائل ... تحتمل الصّنعة
- **المشافهة:** تعتمد الإلقاء الفوري، وبالتّالي ضرورة اتّقاء البديهة، وحسن التّخلص من المواقف المحرجة ومعرفة ما يناسب كلّ مقام من المقال قال: "نظر معاوية إلى النخار بن أوس العذري الخطيب الناسب في عباءة في ناحية من مجلسه، فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه فقال: من هذا؟ فقال النّخار: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلّمك، وإنّما يكلّمك من فيها" (135)

ترتكز البلاغة عند الجاحظ بالإضافة إلى الكفاءة اللّسانية على مساعدات خارجيّة "... جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول..." ثم قال:"وزين ذلك كلّه، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدّلة، واللّهجة نقيّة، فإن جامع ذلك السّن والسّمت والجمال وطول الصّمت فقد تمّ كلّ التّمام، وكمل كلّ الكمال ..."(136) وأما أبوبشر مثلا وهو أحد أئمة القدريّة المرجئة فكان يقول "ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره، وكذلك يظهر من عديد الأقوال أن سهل بن هارون ومع ما توفر من الشّروط اللّغويّة والخارجيّة في شخصه لم يكن من رأي الجاحظ. والخطابة ولا شك، ولكي تحقّق هدفها لابدّ من توفرها على جملة من الشّروط هي التيّ ذكرها الجاحظ

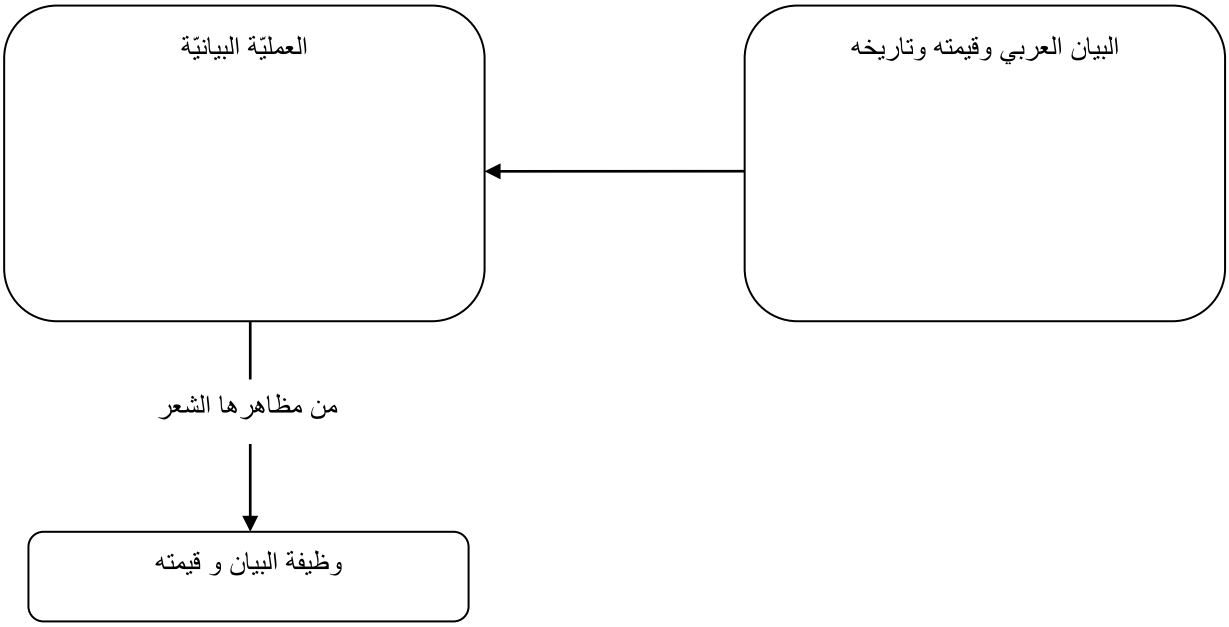
132- نفس المرجع ص 106، 107.
133- الجاحظ : البيان و التبيين، ج1 ، ص 96.
134- نفس المرجع :ج1 ، ص 136
135- نفس المرجع: ج1، ص 137.
136- نفس المرجع: ج1، ص 137، 238.

في البلاغة، لأنّ شخصيّة البليغ تؤثّر كما تؤثر مقدرته اللّغويّة كما أن البلاغة تكون في الخطابة، كما تكون في السّجع أو... (حسب تعريف ابن المقفع لها)[137].

- يذكر محمد الصّغير بناني مفهوما للبلاغة، يقوم على المساواة بينهما وبين التّقية[138] وهذا استخلاصا من أقوال الجاحظ والتّي أوردها على لسان الأجانب "آلة البلاغة"[139] سهل بن هارون يقول: "إنّ سياسة البلاغة أشدّ من البلاغة"[140] ويضيف بناني أن طغيان هذا الجانب التقني هو الذي أدى فيما بعد إلى تغلب جانب الصّناعة على البلاغة، على يد شخصيّات هامّة مثل العسكري في الصّناعتين والسّكاكي في مفتاح العلوم، وهو المسؤول عمّا آلت إليه البلاغة من اعتبارات شكليّة تنتهي في صياغات لفظيّة، وقوالب جافة لا طائل منها[141]

وفي موضع آخر نرى الجاحظ وكأنّه يستدرك ما أورده في البداية، أن هدف البيان إنّما هو الفهم والإفهام، بصيغة الإطلاق لنراه في هذا القول يقيّد الهدف يقول: "والعتّابي حين زعم أن كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أن كلّ من أفهمنا من معاشر المولّدين والبلديّين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقّه، أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه ونحن قد فهمنا معنى كلام النبطي الذي قيل له: لم اشتريت هذه الأتان؟ قال:"أركبها وتلد لي وقد علمنا أن معناه صحيحا، فمن زعم أن البلاغة أن يكون السّامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللّكنة والخطأ والصّواب والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب كلّه سواء، وكلّه بيانا... وإنمّا عني العتّابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء"[142]

ويمكن أن نستنتج من خلال ما سبق:



137- نفس المرجع: ج1، ص 116.
138- محمد الصغير بناني، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 237.
139- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ص 09.
140- المرجع نفسه ج1 ص 197.
141- محمد الصغير بناني: النظرية اللسانية والبلاغة الأدبية عند الجاحظ، ص 238.
142- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ص 161، 162.

2- الدراسات اللسانية العربية الحديثة:

أتاحت العلوم اللّسانية الجديدة للدّارسين آفاقا أوسع في تناول التّراث العربي القديم، فكانت هناك أعمال مميّزة، جمعت بين المادة الثريّة الأصلية والمناهج الدّقيقة والشاملة، ومن المحاولات الجادّة لقراءة التّراث البلاغي العربي محاولة مصطفى ناصف في كتابه "بين بلاغتيْن" والذي انتهى إلى أن البلاغة العربيّة بلاغتان "بلاغة الدّعاية وكسب المخاطب واسترضاؤه واستمالته، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن[143] وهي البلاغة التّي لها علاقة بالخطابة والحجاج، ويمكن أيضا أن نستنتج أن البلاغة التّي وردت في البيان والتبّيّن للجاحظ هي من هذا القبيل، يقول مصطفى ناصف: "كان نظام البلاغة هو نظام إدراك المنافع ودفع المضار وإحراز النّجاح... فلا غرابة إذا رأينا نظام البلاغة يقوم منذ البدء على مخاصمة الفكر الفلسفي، والبحث الحرّ النزيه، وإعلاء نظام آخر ذي طابع عملي[144] ويضيف أنّها بلاغة لا تهتم بحقائق الأشياء، ولكنّها تهتم بالإقناع، وضمّ الجمهور إلى جانب دون آخر، والجمهور ليسوا فلاسفة ولا أشباه فلاسفة وإنّما هم قوم من عامّة النّاس، تؤثر فيهم الكلمة المنتقاة والأصوات الرّنانة فلا يتعمّقون في الأشياء كما يفعل الفلاسفة[145] وأمّا البلاغة الثانيّة فهي تميل إلى التّفلسف بحيث تتعمّق دراسة اللغة، كما اهتمت أيضا بالإعجاز في القرآن الكريم بدراسة لغته، ونظام عباراته وطريقة تركيبها[146] وبالتّالي فهي بلاغة من الدّرجة الأولى.

أما جابر عصفور فيورد تصنيفا آخرا للبلاغة العربيّة يختلف عن الأوّل "هناك بلاغتان في التّراث العربي لا بلاغة واحدة...البلاغة الرّسميّة التّي تعرفنا عليها في كتب البلاغة السّائدة، وهي البلاغة التّي أنتجها البلغاء والمنظّرون الذين كانوا على وفاق مع الدّولة... وبلاغة أخرى مقموعة في كتب البلاغة الرّسمية مسكوت عنها" [147]

Laكان الجاحظ يضع البلاغة والخطابة[148] والبيان ثلاثية –نقول تجوزا–ترادفيّة تقابل المصطلح الأجنبي rhétorique وللتذكير نورد تعريف أرسطو لها"الرّيطوريا قوّة تتكلّف الإقناع الممّكن في كلّ واحد من الأمور المفردة"[149] وفي التّقاليد الغربيّة لها علاقة دائمّا بالتّفكير الحجاجي ويذهب بن الأثير إلى القول: "مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم والإذعان والتّسليم، لأنّه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرّائقة ولا المعاني اللّطيفة الدّقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب لها "[150]

ويظهر هنا أن البلاغة مفهوم عام يندرج تحتها كلّ من الخطابة (غرض المخاطب بها الإذعان) والجدل (الغرض من الخصم الغلبة والتّسليم) وبالتّالي فهي تحمل ملامح حجاجية بشكل عام .

143- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن ج24/1 نقلا عن مصطفى ناصف بين بلاغتين ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي ص 192.

144- عبد السلام المسدي، التوحيدي وسؤال اللغة ص 152 نقلا عن مصطفى ناصف بين بلاغتين ص 382.

145- المرجع نفسه ص 152.

146- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن ج29/1 نقلا عن مصطفى ناصف بين بلاغتين ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي ص 192.

147- المسدي: التوحيدي وسؤال اللغة، ص 16.

148- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي ص 18.

149- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي ص 8.

150- ابن الأثير، المثل السائر، ج2 ص 64.

استمر عدم التّفريق بين المصطلحات الكبرى فتعريف الخطابة بحسب الترجمة العربية لكتاب النقد الأدبي لويليام ومزات وكليت بروكس"البلاغة يمكن أن تعرّف إذن بأنّها ملكة اكتشاف وسائل الإقناع الممّكنة بالرّجوع إلى الموضوع أيّا كان"[151] وبالنّسبة لحسين الصّديق فإنه يقابل La rhétorique بالبيان الذّي يعرّفه معجم Le grand robert بأنّه فنّ الكلام l'art de parler [152] بينما صلاح فضل يعرّف البلاغة القديمة بأنّها فنّ الكلام والكتابة الجيّديّن.

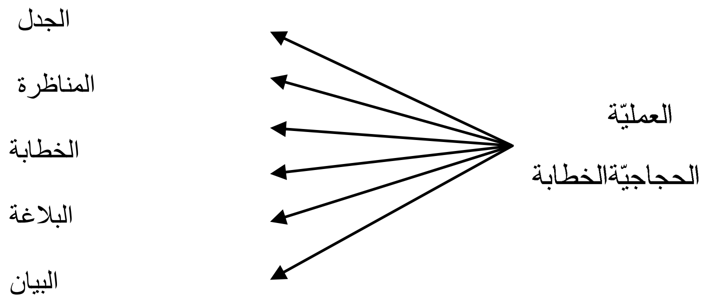
يمكن أن نستنتج في النّهاية أن محاولة إعطاء قول حاسم في مصطلحات البيان والبلاغة والخطابة، وأيّها يقابل المصطلحات الأجنبية L'ARGUMENTATION, LA RHETORIQUE: أمر نسبي، ولن نستطيع تحديده بدّقة لأنّ:

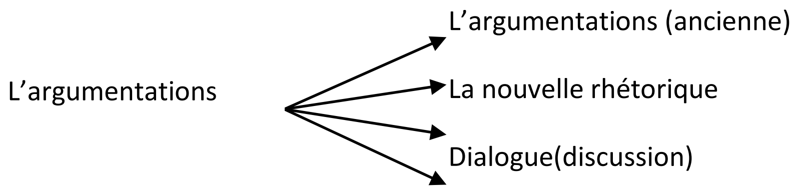
1-التّراث العربي الإسلامي متنوّع متداخل، فعلوم العربيّة حتّى وقت طويل من نزول القرآن الكريم كانت تدّرس مجتمعة، لا منفصلة، هذه الدّراسات كانت لأعلام لكلّ واحد منهم مذهب خاص، فكري أو لغوي أوحتىّ ديني[153] ومعلوم أن مادّة الدّارسين المحدثين هي التّراث في أغلب الأحيان، فمن المنطقي أن يتأثر كلّ دارس بالاتجاه أو بالأعلام التّي يرضاها، ويقبلها لأسباب موضوعيّة أو شخصيّة. أضف إلى ذلك عدم توفّر العربيّة على معاجم تاريخيّة ترصد هذه المفاهيم الرئيسيّة، وتطوراتها الدّلاليّة.

وحتى الغربيّون، لايتّفقون على تعريف واضح محدّد للمصطلح المهم "الحجاج" L'ARGUMENTATION أو غاياته أو ميادينه. وهذه سمة بارزة في الدّراسات الإنسانيّة عموما.

2-تعود إشكاليّة ترجمة المصطلحات لتطرح ظلالها هنا، فحتىّ لو عقدت مؤتمرات عربيّة لتوحيد وتحديد المصطلحات. سيكون هناك من يخالف تلك الاتفاقيات، ولعلّ قضيّة مصطلح LINGUISTICS اللسانيات خير دليل على ذلك. ولكن في كلّ المصطلحات الواردة سابقا سمات الخطاب الحجاجي، وإن كان مصطلح الحجاج مغمورا نوعا ما، فإن العمليّة الحجاجيّة كانت السّمة المميّزة للجهود العربيّة عموما، وهذان التقسيمات يوضحان الممارسات الحجاجيّة العربية ومقابلاتها الأجنبيّة:

151- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 19.
152- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 97.
153- محمد الكتاني: جدل العقل والنقل، ص 450.





وعلى كلّ فالحجاج وظيفة من أهمّ وظائف اللّغة، وإذا كان التّواصل هو المهمّة الأساسيّة في اللّغة فإنّي أقول أن الحجاج هو التّواصل الفعّال والنّاجح، باعتباره يحدث في الأطراف المتحاججة ضربا من التّغيير سواء على المستوى الفكري أو العمل أو السلوك.

ويمكن في الختام أن نجمع أشكال الحجاج في المخطط التّالي وهو شبه استنتاج لكلّ ما تقدّم.

الحجاج

L'argumentation

يفترض طرفين، ولكن ليس مهما عدد المقول إليهم قد يكون فردا واحدا، أو جماعة محددة العدد أو غير محددة

الطرف (أ)

يأخذ صفته من العمل الحجاجي الذي

- حوار
- إيجابيا
  - هادئا
    - مناقشة
    - discussion-
    - محاورة
    - مقابسة
    - الكريم
    - أماكنهم
    - الخ
  - حادا غايته الغلبة
    - المماحكة
    - المجادلة المذمومة
    - المساجلة
    - المماراة
    - المجادلة المذمومة
    - المنازعة
    - المناظرة عمليا
    - dé batre-
    - الخ
  - حادا غايته إظهار الصواب
    - المجادلة المحمودة (مثل مجادل الباقلاني لمسيحيين، أو مناظرة علماء الدين الإسلامي للملحدين...)
    - المناظرة لغة واصطلاحا
    - الخ
- سلبيا كما يقول سيريل المتلقي لا يشارك فعلا
  - خير ما تمثله:
  - الخطابة / البلاغة
  - la rhétorique-
  - الخطابة الجديدة أي la nouvelle la rhétorique L'argumentation لبيرلمان
  - الخ

الطرف (ب) قد يكون

- حقيقيا
- مفترضا
  - من أهم مظاهره
  - الصحافة
    - المرئية -
    - المسموعة -
  - الدعاية
  - الإشهار
  - ويبقى القرآن الدعوة الخالدة والأزلية لكل الناس على اختلاف وأزمانهم

يختلف الهدف بين تحقيق

- الاستمالة والتلاعب بالمشاعر
- الإقناع
- الإقناع
- اليقين= يحققه البرهان: وهو أعلى درجات الحجاج

عرف أحد المتخصصين الدعاية فقال: نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار أو السلوك أو على كليهما معا، طه عبد الله محمد السبعاوي، الإقناع في المنظور الإسلامي، ص 71.

الخلاصـــــــــــة:

نشأ التّفكير الحجاجي الإسلامي نشأة أصيلة، نابعة من القرآن، ومن خصوصيات الدّين الإسلامي الحنيف، في خطابه للنّاس على قدر عقولهم ومختلف عقائدهم، فلم تكن الكتب الفلسفيّة قد ترجمت إلى اللّغة العربيّة في البيئة الإسلاميّة، ومع ذلك فإن المشكلات الخلافيّة الخاصّة بالكبيرة والقضاء والقدر، وكيف النّعيم، وكيف الجحيم كانت قد أثيرت، ونوقشت وأبدى فيها زعماء الفكر الإسلامي آرائهم المختلفة التّي تستند في كلّ منها إلى أدلّة عقليّة مدعومة بأخرى نقليّة، موظّفة على أحسن ما يكون التّوظيف، ويذكر بن الأثير "أن الشّعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بثقافة اليونان البيانيّة، فهذا شيء لم يكن ولا علم أبو نواس منه، ولا مسلم، ولا أبو تمام، ولا البحتري ولا المتنبي، ولا غيرهم، وكذلك جرى الحكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد وهو نفسه ينفي أن يكون قد تأثر بذلك ويذكر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشّعر فلم يوافق ذوقه واستهجنه ورأى أن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا"[154]

بعد نشاط حركة التّرجمة، وتأثر عدد كبير من الشخصيّات الفاعلة في التّاريخ الإسلامي بالفلسفة والمنطق اليونانييّن، لم تذب الشّخصيّة العربيّة تماما ولم تنصهر في هذه الوافدات الأجنبيّة في "لئن نفذت إلى الثقافة الإسلاميّة تيارات مختلفة اجتمعت فيها وتفاعلت، إلا ّأنها أنبتت جديدا طبيبا... كيفما كانت الأفكار الأجنبيّة التّي تسربت إلى المسلمين استطاعوا أن يخلقوا بيئة عقليّة خاصة بهم، وينشئوا لأنفسهم حياة فكريّة مستقلّة"[155]لأنّ العرب وإن كانوا أخذوا التّنظير، فهذا أمر موجود لدى كلّالأمم.

إنّ أخذ حضارة من أخرى أمورا علميّة وثقافيّة وفكريّة لا ينقص من قدرتها لأنّه من سنّن الكون والحياة أن تخدم كلّ حضارة الحضارة الأخرى فحتىّ وإن استفاد العرب من التّفكير الفلسفي اليوناني فلهم الفضل في حماية هذا التّراث الإنساني من الضّياع، ولولا فلاسفتنا الكبار ما عرف فكر أرسطو وأفلاطون على هذا النّحو الرّائع من الوضوح والشّرح والصّدق.

ارتبط باب الحجاج عند العرب بالتّفكير فيما هو كائن وما ينبغي بقاؤه وما يجب حذفه، بالنّسبة إلى كلّ طرف من الأطراف المتحاججة في هذا التّاريخ العريق.

154- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ج1 ص 25 نقلا عن ابن الأثير المثل السائر ص 10.
155- محمد عبد الرحمان محمد: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص 352.

الفصل الثاني

الحجاج مفهومه وآلياته وخصائصه اللسانية والعقلية

مفهوم

الحجاج

توطئـــــــــــــة:

يستدعي التّأّثير والإقناع في التّخاطب "آليّات فاعلة لتحقيقه ولذا نجد الحجاج ميزة من مميّزات هذا التّخاطب بمواقفه المتعددّة وأشكاله المتنوّعة بين الشّفويّة والكتابيّة، لذا يعدّ ركيزة النّصوص الموجهّة المتضمّنة للمقصديّة والنّقاش والنّقد والتّي منها النّصوص القرآنيّة والفلسفيّة والفقهيّة والأدبيّة ..." (156)

تعود دراسة النّص الحجاجي إلى أزمنة بعيدة ابتداء من مؤلّفات أرسطو في الخطابة وانتهاء إلى أعمال كبار المفكرين "كبير لمان " و " مايير" و ديكرو التّي أحاطت بكلّ ما يمكن أن يطرأ على هذا النّص من خلال عدّة نظريّات سبق ذكرها.

والحجاج الذّي نتناوله بالدّراسة يتمثّل في معرفة ما "تشمل عليه اللّغات البشريّة عامة واللّغة العربيّة خاصة من وسائل لغويّة ومن إمكانيّات صرفيّة ومعجميّة وتركيبيّة ودلاليّة يوظّفها المتكلّم لتحقيق أهدافه وغايته الحجاجيّة والاقناعيّة " (157)

156- نعمان بوقرة، مباحث في اللسانيات ، ص 95

157- أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ص13.

1- الحجـــــــاج:

أ- **الحجاج لغة:** تجمع المعاجم اللّغوية الأساسيّة في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لـــ "ابن منظور" "يقال حاججّته أحاجّه حجاجّا حتىّ حاججته أي غلبّته بالحجج التّي أدليت بها [....] و الحجّة البرهان و قيل الحجّة ما دافع به الخصم وقال الأزهري الحجّة و الوجه الذّي يكون به الظّفر عند الخصومة وهو رجل محجّاج أي جدل، وحجّه يحجّه حجّا: غلبه على حجّته، وفي الحديث فحجّ أدم موسى أي غلبه بالحجّة»[158] ويقابل هذه اللّفظة في الفرنسيّة لفظة Argumentation والتّي تدلّ على معاني متقاربة أبرزها حسب قاموس "روبير" Petit robert- القيام باستعمال الحججّ

- مجموعة من الحجّج التّي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة[159]

«أما في الانجليزيّة فشير لفظ « Argue » إلى وجود اختلاف بين طرفيّن ومحاولة كلّ منهما إقناع الأخر بوجهة نظره، بتقديم الأسباب أو العلّل « Reasons » التّي تكون الحجّة« Argument » مع أو ضدّ فكرة أو رأي أ وسلوك ما "» [160]

ب- **الحجاج اصطلاحّا:** هو مجال غنّي من مجالات التّداوليّة "يشترك مع العديد من العلوم الأخرى يعدّ ضمن الحقل التّداولي، لكنّه انبثق من حقل المنطق و البلاغة الفلسفيّة[161] يرتبط مفهومه بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممّكنة بهدف دفع فاعلين معينيّن في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذّي كان قائما[162] يقوم في مفهومه على صناعة الجدل والخطابة، بل إن من الدّارسين حديثا من عدّة خطابة جديدة لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة[163] ولتوضيح مفهوم الحجاج argumentation ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة Démonstration أو الاستدلال المنطقي "فالخطاب الطبيعي ليس خطابا

158- ابن منظور: لسان العرب،مادة (ح ج ج) ج ص 223.

159 - petit robert dictionnaire de la longue française p 99

160 - Longman dictionary OF contemporary English p 104

161- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج و تطوره في البلاغة المعاصرة ص 58

162- المرجع نفسه ص 57

163- عبد الله صوله: الحجاج في القران ص 36/1

ت–برهاني بالمعنى الدّقيق للكلمة فهو لا يمدّ براهين وأدلّة منطق ولا يتبع مبادئ الاستنتاج المنطقي"[164]

ويقدّم أبو بكر العزاوي المثال التّالي ليبيّن الفرق بين البرهنة و الحجاج:

1- كلّ اللغويّين علماء
زيد لغـــــويّ

إذن زيد عـــالم

2- انخفض ميزان الحرارة
إذن سينزل المطر[165]

يتعلّق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقيّ (Syllogisme)، أمّا في المثال الثّاني فانّه لا يعد وحجاجّا أو استدلالا طبيعيّا غير برهانيّ واستنتاج أنّ زيدا عالم، في المثال الأول حتميّ وضروريّ لأسباب منطقيّة أما استنتاج نزول المطر في المثال الأخر يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشّطر الأول من الجملة وهو استنتاج احتماليّ .

- إنّ الحجاج هو « تقديم الحجّج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة وهو يتمثّل في انجاز تسلسلات استنتاجيّه داخل الخطاب »[166] وبعبارة أخرى يتمثّل في انجاز متواليّات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغويّة وبعضها الأخر هو بمثابة النّتائج التّي تستنتج منها ..." [167]

[164] - O Ducrot: dire et ne pas dire p 286
[165]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 20
[166]- حبيب أعراب: الحجاج و الاستبدال الحجاجي، ص 97
[167]- نعمان بوقره: مباحث في اللسانيات، ص 109

إنّ كون اللّغة "لها وظيفة حجاجيّة يعني أن التّسلسلات الخطابيّة محددّة، بواسطة الوقائع les faits المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنّها محددّة أيضا وأساسا بواسطة بنيّة هذه الأقوال فقط، وبواسطة المواد اللّغوية التّي تمّ توظيفها وتشغيلها" [168] وحتّى يتّضح مفهوم

الحجاج أكثر وجب التّفريق بين الاستدلال raisonnement
والحجاج Argumentation "لأنّهما ينتميان إلى نظاميّن جدّ مختلفيّن نظام نسميه "المنطق" ونظام الخطاب" [169] فالأقوال التّي يتّكون منها استدلال ما مستقلّة بعضها عن بعض، يعني أن كلّ "قول منها يعبّر عن قضيّة ما أي يصف حالة ما أوضعا باعتباره وضعا واقعيّا أو متخيّلا، ولهذا "فإنّ تسلسل الأقوال في الاستبدال ليس مؤسّسا على الأقوال نفسها، ولكنّه مؤسّس على القضايا المتضمّنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم"[170] أمّا الحجاج "فهو مؤسّس على بنيّة الأقوال اللّغويّة وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"[171]

والأمثلة التّالية توضّح ذلك :

1- أنا جائع إذن أنا بحاجة إلى الطّعام
2- الجوّ بارد لنشغل المدفأة.
3- السّاعة تشير إلى الواحدة لنسرع.
4- عليك أن تصبر ليقوى إيمانك.

هذه الأمثلة تتكون من حجّج ونتائج، والحجّة تمّ تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معيّنة، فالجوع مثلا في الجملة الأولى يستدعي الأكل، فالجوع دليل وحجة على أن الشّخص المعني بالأمر عليه أن يتناول بعض الأغذية ليسكت جوعه. وكذلك في المثال الثّاني فبرودة الجوّ تدعو إلى تشغيل المدفأة، فالمتكلّم يقدّم الحجج والأدلّة ليصل إلى النّتيجة المقصودة أو التّي يبغي الوصول إليها "والحجّة قد ترد على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيّا أو

---

[168]- أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج ص 22
[169]- حبيب أعراب: الحجاج و الاستدلال الحجاجي ص 103
[170] - Ducrot: les échelles argumentatives p11-10
[171]- أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج، ص 23

سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك (...) والحجّة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السّياق. والشّيء نفسه بالنّسبة للنّتيجة والرّابط لحجاجي الذي يربط بينهما ... " (172)

ونوضح ذلك بالمثال التّالي :

- أنا جائع، إذن أنا بحاجة إلى الطّعام
- أنا جائع، أنا بحاجة إلى الطعام .
- أنا جائع
- أنا بحاجة إلى الطعام

نلاحظ أنه تمّ التّصريح بالحجّة أو الرّابط والنّتيجة ففي المثال الأول:

[أنا جائع إذن أنا بحاجة إلى الطعام]

حجّة رابط نتيجة

وفي المثال الثّاني صرّح بالحجّة والنّتيجة وأضمر الرّابط

[أنا جائع ، أنا بحاجة إلى الطّعام]

حجّة نتيـــجــــة

أما المثال الثّالث فلم يصرّح إلاّ بالحجّة والنّتيجة مضمّرة تستخلص من السّياق:

[أنا جائع]

حجـــّـــة

ونجد عكس ذلك في المثال الرّابع حيث ذكرت النّتيجة وأضمرت الحجّة:

[أنا بحاجة إلى الطعام]

نتيجـــة

172- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 24.

– سمات الحجج اللّغويّة :

يذكر العزاوي أن الحجّج اللغويّة تتسم بعدّة سمات ومنها على سبيل التّمثيل لا الحصر[173]

أ– **سياقيّة:** فالعنصر الدّلالي الذّي يقدّمه المتكلّم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر فإنّ السّياق هو الذّي يصيّره حجّة، وهو الذّي يمنحه طبيعته الحجاجيّة، ثمّ إنّ العبارة الواحدة قد تكون حجّة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السّياق.

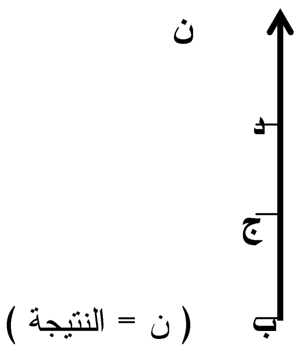
ب– **نسبيّة:** لكلّ حجّة قوّة حجاجيّة معيّنة ،فقد يقدّم المتكلّم حجّة ما لصالح نتيجة معيّنة، ويقدّم خصمه حجّة أقوى وبعبارة أخرى هناك الحجّج القويّة والحجّج الضّعيفة.

ج– **قابلة للإبطال:** الحجاج اللّغوي نسبي وتدريجي وسياقي بخلاف لبرهان المنطقي والرّياضي الّذي هو مطلق وحتميّ.

أما العلاقة التّي تربط الحجّة والنّتيجة تدعى "العلاقة الحجاجيّة" وهي تختلف بشكل جذريّ عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي ويمكن أن نرمز لها كالتّالي : **ح ---] ن**

3– السّلم الحجاجي:

هو علاقة ترتيبيّة للحجّج نبّينه بالرّسم الموالي[174]



"ب، ج، د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"

1- أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، ص 25 .

174- طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 293 .

4- المبادئ الحجاجيّة:

إنّ سلامة العمليّة الحجاجيّة مرهونة "برابط يضمن الرّبط بين الحّجة والنّتيجة وهو ما يعرف بالمبادئ الحجاجيّة (les topos) وهي تقابل مسلّمات الاستنتاج في المنطق الصّوري أو الرّياضي" [175] ولها خصائص عديدة نذكر منها ما يلي : [176]

أ- أنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشريّة معيّنة.

ب- العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السّياقات المختلفة والمتنوّعة

ج- التّدريجية : تقيم علاقة بين محمولَيّن تدريجيّين أو بين سلميّن حجاجيّن .

د- النسبية: فإلى جانب السّياقات التي يتمّ فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما ،هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسّياق المقصود أو يتمّ إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له .

وبالرّجوع إلى المثال الأول:

[أنا جائع إذن أنا بحاجة إلى الطّعام]

نقول أن المبدأ topos الحجاجي الموظف في الجملة هو :

- بقدر جوع الإنسان تكون حاجته إلى الطعام
- كلما كان الإنسان جائعا، كان بحاجة إلى الطعام .

فالمبادئ الحجاجية هي: "مجموعة من المسلّمات و الأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغويّة معيّنة، والكلّ يسلّم بصدقها وصحتها" [177]

---

[175]- طه عبد الرحمان : أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 171 .
[176]- أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ص 38 .
[177]- طه عبد الرحمان : أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 176 .

فالكلّ يعلم أن الجوع يسكت بأكل الطّعام، وان الصّدق والكرم والأمانة من الأخلاق التّي يحببها المجتمع.

إذا كانت المبادئ الحجاجيّة: "ترتبط بالإيديولوجيّات الجماعيّة فإنّه من الممكن أن ينطلق استدلالان من نفس المقدّمات وأن يعتمد نفس الرّوابط والعوامل، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة (...) لكن إلى جانب هذه المبادئ المحليّة topos locaux المرتبطة بإيديولوجيات الأفراد داخل المجموعة البشريّة الواحدة، هناك مبادئ أهم وهي مشتركة بين جميع أفراد المجموعة اللّغويّة، ومؤشّر لها داخل اللّغة ... " [178] .

وهذا الجانب سنلمسه بوضوح عند تحليلنا لنص المدونة.

---

[178] - أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 39 .

الوسائل

اللّسانيـــــة

توطئـــــــــة:

إذا كانت اللّغة وسيلة تواصل بين البشر، فإنّها كذلك أداة لنقل المعنى أو النّتيجة في كلّ قياس منطقيّ، وهي في الحجاج وسيلة لفرض سلطة على الآخرين من نوع استمالتهم، وإقناعهم بمصداقيّة الدّعوى المعبّر عنها فما هي الآليّات اللّسانيّة التي بواسطتها تصل إلى الغاية المنشودة .

وكيف يحلّ اللّفظ المحدّد مكانا معينّا ليقود إلى غاية ما، ويعتمد تركيبا دون آخر ليقنع سامعيه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كلّيته .

إنّ النّص الحجاجي يقوم على الاختيار الدّقيق والواعي لدقائق الخطاب كالحرص على الانتقاء الجيّد للألفاظ ليبلغ مقاصده بيّسر وفعاليّة بالإضافة إلى قوة السّبك بين التّراكيب وما يلزمها من أدوات ترسّخ المعني وتقويّه، دون أن نهمل أنواع الصّيغ التّي من شأنها أن تحوّل أبنية الكلمات إلى رافد إقناعي هام مع مراعاة الوسائل البلاغيّة التّي تمثّل عامل مهمّا يرفد عملية الحجاج و ينمي قدرة الإقناع .

سنتعرف على الآليّات اللّسانيّة التّي من شأنها أن تخدم النّص الحجاجي .

-1- الإحالـــــــة la réference

هذا النّوع قائم على تحقيق "الوصل بين البني النّصية المتباعدة داخل النّص الواحد، مما يجعل من مهام الرّبط بهذا النّوع من الأدوات تحقيق الانسجام الدّلالي بين البني الصغرى للخطاب[179] وأمّا ضمير الإشارة فتنزّل قيمته الإحاليّة في تحقيق التّرابط بين أجزاء الخطاب المتباعدة ،عبر تسلسل محكم يحيل إلى مرجع واحد وثابت يمثّل موضوع الخطاب [180].

والإحالة عنصر ضروريّ "لأنها تعبّر عن العلاقة بين العبارات والكلمات والأحداث وحتّى المواقف فهي واسعة، من صورها المترادفات والألفاظ الشّارحة، والكنايات والزمن... وعنصر الإحالة لا يملك في اللّغة دلالة مستقلة وإنّما يتضمّنها من خلال عودته إلى عنصر نصي مذكور في الخطاب[181] ونجد الباحثيّن هاليداي وحسن رقية يجعلانها "من خصائص اللّغة الطّبيعيّة، فالأدوات المحيلة لا تكفي بذاتها من حيث التّأويل بل لابدّ من العودة إلى ما يشير إليه من أجل تأويلها، فهي ذات طبيعة معنويّة توجب تطابق السّمات الدّلاليّة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه وهي: الضّمائر، أسماء الإشارة وأدوات المقارنة [182] .

أما ديبوجراند فيجعلها: "العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات "[183].

وهذا المفهوم يقودنا إلى أن هناك أنواعا للإحالة فمنها النّصية و المقاميّة و تتفرع الأولى إلى إحالة قبليّة و إحالة بعديّة وفق المخطط التالــي :

- الإحالـــــة
  - إحالـــــة داخلية (نصية)
    - إلى لاحق
    - إلى سابق
  - إحالـــــة خارجية (مقامية)

179- نعمان بوقره ، تفاعل البنية و الدلالة في فلسفة الثعبان المقدس ، ص 04 .
180- المرجع نفسه ، ص 04 .
181- نعمان بوقره: مباحث في اللسانيات النصية ، ص 50 .
182- محمد خطابي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 72 .
183- روبرت دي بوجران : النص والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسان ، ص 174.

أ- الإحالة النصيّة (داخل النّص) Endaufera وتنقسم إلى قسميّن :

- الإحالة إلى سابق(قبلية) Anaphara فهنا الضّمير يأتي بعد مرجعه في النص.
- الإحالة إلى لاحق(بعدية) Cataphara الضّمير يأتي فيها قبل مرجعه في النص.

ب- الإحالة الخارجيّة (مقاميّة) Exophara: الضّمير يأتي فيها ليدلّ على أمر غير مذكور في النّص مطلقا يعرف من السّياق[184]

1.1- وسائل الاتّساق الإحاليّة :

أ- الضمائر : هي نوعان: الضّمائر الوجوديّة مثل : أنا ، أنت ، نحن ، هو ، هم ، هي

الضمائر الملكية : مثل كتابي – كتابك – كتابه – كتابنا[185]

ب- أسماء الإشارة : الوسيلة الثّانيّة من وسائل الاتساق الدّاخليّة وهي إمّا تصنف حسب:

- الظّرفيّة : الزّمان(الآن، غدا...) والمكان (هنا، هناك ...) أو الحياد أو الانتقاء (هذا،هؤلاء) أو حسب البعد(ذلك،هناك...) والقريب(هذا، هؤلاء) وأسماء الإشارة تقوم بالرّبط القبلي والبعدي وفي الغالب تحيل قبليا فتسهم في الاتّساق.

ج- المقارنة: و تنقسم إلى [186]:

- عامة يتفرع منها:

- التّطابق (نستعمل فيه عناصر مثل Same)
- التّشابه (نستعمل فيه عناصر مثل Similair)
- الاختلاف (نستعمل فيه عناصر مثل Other –Otherurise)

- خاصة تتفرع إلى: كميّة (تتم بعناصر مثل :Mare)
- وكيفيّة (أجمل من، جميل من، جميل مثل)

184- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 301.
185- محمد الخطابي: لسانيات النص مدخل إلى الخطاب ص 86.
186- المرجع نفسه،ص 19.

2- دراسة الازدواج (التّوازن) :

عني العرب بالمزدوج في صياغة أشعارهم حرصا منهم على الإيقاع الذي يطبع به القصيدة ويرى أرسطو أن: شكل المقالة ينبغي أن يكون غير ذي وزن، ولا عدد فإنّ ذلك النّحو غير مقنع لأنّه يظنّ أنّه مختلف أو يراد به التّعجب... ويضيف: "فأمّا الاسم اللّاموزون أي السّخيف [187] فإنّه لا متناه... فقد ينبغي لذلك أن يكون للكلام نبرات (أي إيقاع) وأمّا وزن فلا ..." [188]

فلكلّ أمّة اهتمام خاص بعنصر على حساب آخر "فالمنطلق الأول عند اليونان، الاهتمام بالحجّة والشّعر بجماله الأول عند العرب، وبالتّالي ما يفرضه من احترام للوزن، و تّقيد بخصائص لغويّة... وكلّ ما يحدثه من عجب يعتبر عندنا انتصارا ونجاحا كبيريّن للقائل، وهذا رفضه أرسطو، لكن جعل له موضوعا خاصّا، ليس في هذا المقام ويفضل أرسطو العبارة المقسّمة عل تلك الطويلة غير المنتهية فحسبه "الكلّ يسرّون إذا رأوا النّهاية" [189]

ومن أكبر المصطلحات الدّالة في بلاغتنا على تقسيمات العبارة إلى أجزاء بينها وزن كامل أو ناقص الازدواج [190] الذّي له حضور حتّى في النّثر، فهو يحقّق أغراضا جماليّة وتأثيريّة، بحكم أنّه بنيّة إيقاعيّة جوهريّة في الشّعر وكذلك النّثر وكما قيل في التّكرار أنّه مشروط، فكذلك الازدواج فليحقّق الغاية ينبغي تجنب التّكلف بكثرة الجناس والسّجع... وغيرهما من المحسّنات اللّفظية بطريقة معوّقة للإقناع وقد نال اهتمام الدارسين القدامى، فأبو هلال العسكري يقول: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتّى يكون مزدوجا ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج " [191]

ومن جملة مميّزات الازدواج :

---

[187]- السخيف أي الذي بدون إيقاع .

[188]- أرسطو ، الخطابة ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، ص 205 .

[189]- العمري : في بلاغة الخطاب الاقناعي ، ص 112 .

[190]- المزدوج في علم العروض هو الزحاف المركب ، أي الزحاف يدخل على سببين في تفعيلة واحدة كما أنه من أقسام الشعر ،وهو ما أتى على قافيتين إلى آخر القصيدة .

[191]- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 113 .

أ–أنّه تكوينات كلاميّة متوازنة الأجزاء في عدد وحداتها وهيأتها ،وترتيبها، وفواصلها .

ب– كما يقع في تلك الاعتبارات الأربعة السّابقة قد يقع أيضا رغم الاختلافات بين الأجزاء في أحد هذه الاعتبارات أو بعضها.

ج– إذا لم يقع بين الأجزاء في الطّول، فالأفضل أن يكون الجزء الأخير هو الأطول[(192)]

د– يبيّن القلقشندي أهميّة مراعاة الوزن بقوله: "الأولى أن يراعي الوزن في جميع الكلمات أو في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزنا ويسمى التّوازن، وهو أحسنها وأعلاها كالآية: ﴿وأتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم﴾[(193)]توازن الأجزاء توازنا كليّا أجمل وجوه الازدواج وقد جمع محمد العبد أنواع التّوازن في ثمانية أنواع تفصيليّة دقيقة هي [(194)]

النّوع الأول: التّوازن بين الأجزاء بالاتفاق التّام في وزن الوحدات، وعددها وهيئة ترتيبها (المرصّع).

النّوع الثّاني : التّوازن بين الأجزاء بالاتفاق في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا والاتفاق في التّرتيب والفاصلة (المطرّف)

النّوع الثّالث: التّوازن بين الأجزاء بالاتفاق في التّرتيب، والفاصلة دون زنة الوحدات

النّوع الّرابع: التّوازن في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا، والاتفاق في الفاصلة دون التّرتيب.

النّوع الخّامس: التّوازن بالاتفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى.

النّوع السّادس: التّوازن بالاتفاق في وزن الوحدات اتفاقا تامّا، وفي التّرتيب دون فاصلة.

النّوع السّابع: التّوازن بالاتفاق النّاقص في الوحدات، والاتفاق في التّرتيب دون الفاصلة.

النّوع الثّامن: التّوازن بالاتفاق في ترتيب الوحدات فقط.

---

[192]- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الاقناعي ، ص 113، 114
[193]- محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ص 78 .
[194]- المرجع نفسه ص 271-272

يمكن القول إن التّوازن بنيّة تركيبيّة "تربط بين عنصريّها علاقات دلاليّة منطقيّة، كما أن الازدواج بنيّة تركيبيّة تربط بين عناصر علاقات سمعيّة[195] من طول، ووزن، وفاصلة تعكس فكرّا معيناّ.

3- دراسة التّكرار:

يستدعي التأكيد والتذكير تكرار الألفاظ التي تخدم الموضوع وفي هذا المجال قال ابن الأثير: "اعلم أن في القرآن مكرّرا لا فائدة في تكّريره، فإن رأيت شيئا منه تكرّر من حيث الظّاهر، فأنعم نظرك فيه، فأنظر على سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه" [196]

تحظى دراسة التّكرار[197] باهتمام كبير في الدّراسات اللّسانيّة النّصيّة الحاليّة، حيث يقوم بوصفه ظاهرة بيانيّة بوظيفة الرّبط على مستوى البّنية الظّاهرة للنّص المؤدّية إلى الانسجام (الداخلي) فهو ليس مجرد إعادة لألفاظ وعبارات داخل النّص وقد أوضح صبحي إبراهيم الفقيّ العلاقة بين مفاهيم التّكرار –لغويا– وظائفها داخل النّص –نصيا– والتّكرار في النّص يشتمل على إحالة قبليّة أو سابقة(...) ومن معانيه الكرّ وهو ما ضمّ ظلفتيّ الرّحل وجمع بينهما وفي هذا تحقيق للتّماسك بين هاتيّن الظلفتيّن... [198] والتّكرار ظاهرة من ظواهر التّماسك النّصي اهتم به الأقدمون كثيرا، فها هو الجاحظ يسميّه التّرداد ويرى أنّه مشروط وليس بجائز في كلّ ظرف يقول: "وجعل ابن السّماك يوما يتكلّم، وجارية له تسمع كلامه، فلمّا انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت:"ما أحسنه لولا أنّك تكثر ترداده، قال: أردّده حتّى يفهمه من لم يفهمه، قالت :"إلى أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد ملّه من فهمه" ويقول: "وجملة القول في التّرداد أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه ولا يؤّتي على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص ... " [199]

195- محمد العبد، النص الحجاجي العربي ص 68 نقلا عن والترونج، الشفاهية و الكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، والفنون، ص 94

196- أبن الأثير : المثل السائر ، ج3، ص 27 .

197- جاء في لسان العرب عن مادة كرر " الكرّ الرجوع... وكرّر الشيء و كرّره، أعاده مرة بعد أخرى وكرّرت عليه الحديث: رددته عليه... والكرّ : الرجوع على الشيء ، ومنه التّكرار و الكرّة : البعث و تجديد الخلق بعد الفناء ، و الكرّ بالحبل الغليظ : المجلد 05 ، ص 135 ، 136 .

198- الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، ج2 ، ص 135 / 136

199- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 104 ، 105 .

القول الثّاني يشرح الأول حيث أنّ التّكرار يرتبط بالسّامع الملتقّي وقدره (قد يكون ضروريّا مملاّ) كما أنّ كلام الجاحظ فيه إشارة إلى اللّغة الشّفاهيّة ولكن يمكن سحب الحكم على اللّغة المكتوبة كما تبدو وظيفة التّكرار ممثّلة في الإفهام والتّوضيح والشّرح وهنا نجد ابن الأثير يضيف إلى ما سبق "توكيد الكلام وتشيّيده، وتقريرا لمعنى وإثباته [200] والتّكرار قسمان "أحدهما يوجد في اللّفظ والمعني والآخر في المعنى دون اللّفظ [201] أسالت دراسة التّكرار في النّصوص العربيّة حبر كثير من المستشرقين نذكر منهم بربرا جنستون كوتش" التّي ترى أن الخطاب الحجاجي العربي يعتمد في الإقناع على الغرض اللّغوي للدّعاوي الحجاجيّة، بتكّريرها وصياغتها، صياغة موازية وإلباسها إيقاعات نغميّة متكرّرة [202] وهذا أمر يمكن نفيّه بالتأّكيد، فالعرب لم يعتمدوا هذه الوسيلة فحسب بل أخذوا بكلّ وسائل الإقناع والحجاج التّي ضبطها العلماء حديثا في ضوء النّظريات الحجاجيّة وإن لم تضبط قديما ضبطّا دقيقا تنظيريّا فهذا لا يعني غيابها.

حتّى وإن كانت ظاهرة التّكرار لغويّة، فهذا لا ينفي عنها البعد العقلي والمنطقي في التّأثير لتتأكد أهميّة علاقة اللّغة والحجاج فها هو أبو هلال العسكري(394ه) يؤكد على أهميّة التّكرار ويقرنه بتأكيد الحجّة، ويجعله مدّا للقول، ومن ثمّ يربط بين مدّ القول، وبلوغه الشّفاء والإقناع [203] وتجدر الإشارة أنّه ليس أي تكّرار يهدف دائما إلى الإقناع وهنا نخصّ تكّرار "الشّكل" فقد يكون في حالات يطول فيها الفصل في الكلام حتّى يفتقر أولّه إلى تمام لا يفهم إلّا به، كما قال ابن الأثّير، أو لأنّ السّبك والتّركيب يقتضيان ذلك.

ويقسّم العلماء –حاليّا– ببغية التّفصيل التّكرار إلى أنواع عدّة، بعضها يهتّم بالشّكل والآخر بالمضمون ونأخذ بالتّقسيم الذّي أورده محمد العبد في عمله المذكور.

[200]- الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 19 .
[201]- ابن الأثير : المثل السائر ، ج 2 ، ص 146 .
[202]- محمد العيد: النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 192 .
[203]- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين تحقيق على محمد بجاوي ،ومحمد أبي الفضل إبراهيم ص 156

1.3تكرار الشّكل: وفيه أنواع ثلاثة

أ- تكرار المكرّر بذاته.

ب- تكرار في هيئة عنصريّن من مادة واحدة.

ج- تكرار بتغييّر التّركيب .

2.3 تكرار المضمون :

أ- تكرار مفردتيّن متواليتيّن أو أكثر في جملة أو فقرة أو نص .

ب- تكرار المضمون المبني على مفردتيّن في جملتيّن .

ج- تكرار مفردتيّن في ثنائيّة .

د- تكرار المضمون على مستوى الجمل والعبارات .

4- عامليّة أدوات التّوكيد الحجاجيّة:

يندرج أسلوب التّوكيد عموما ضمن "سياق استدلالي يمكن اعتباره حجّة تقود إلى نتيجة يريد المتكلّم من المخاطب التسليم بها وسائل التوكيد الداخلة على الجملة الاسميّة، والجملة الفعليّة كثيرة"[204] إن قولنا "عبد الله قائم" يمثّل جملة قائمة بذاتها (...) فقد توّفر فيها شرطا الإفادة والاستقلال وحصل منها معنى: "قيام عبد الله" فإذا أدخلنا عليها الزّيادة، بتوكيدها فقلنا "إنّ عبد الله قائم" أو " نّ عبد الله القائم" أو "إنّما عبد الله قائم" كان ذلك التّوكيد مفيدا من زاوية بلاغيّة ودلاليّة (...) إنّ قولنا "عبد الله قائم" وسائر الأقوال السّابقة أقوال يصحّ أن نقول عن كلّ منها من زاوية شكليّة محضة، إنّها جمل لكنّها من النّاحية الدّلاليّة مختلف بعضها عن بعض فجملة "عبد الله قائم" هي في سلم الدّلالات التّي تفيدها شبكة الجمل تقع في الدّرجة الصّفر من الدّلالة[205] في حين تقع جملة "إنّ عبد الله قائم" في الدّرجة الأولى من السّلم وتقع

---

[204]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 237 .

[205]- من القدماء من يذهب إلى الجملة الاسمية المجردة من التوكيد تمثل في حد ذاتها درجة أولى من الدلالة دونها في الدرجة الصفر لجملة الفعلية نفس المرجع ، ص 239 .

جملة "إنّ عبد الله لقائم" وجملة" إنمّا عبد الله قائم" في الدّرجة الثّانيّة إنّ هذا المقياس الدّلالي، هو المقياس الذّي عزب عن ذهن يعقوب الكندي (ت 252ه) حيث جاء أبا العباس يقول "إنّي لأجد في كلام العرب حشوا (...) يقولون: "عبد الله قائم" ثمّ يقولون "إنّ عبد الله قائم" ثمّ يقولون "إنّ عبد الله لقائم" فالألفاظ متكرّرة والمعنى واحد، وهو المقياس الدّلالي نفسه الذي استخدمه أبو العباس في الرّد عليه بالقول: "بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم" "عبد الله قائم أخبر عن قيامه، وقولهم "إنّ عبد الله قائم" جواب عن سؤال سائل وقولهم "إنّ عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّار المعنى [206]

الجملة هي نفسها في كل الحالات من الناحية الاسنادية	يزداد معنى الجملة بزيادة اللفظ في كل مرة
1- عبد الله قائم	- قيام عبد الله
2- (إن) عبد الله قائم	- قام عبد الله + دفع الشك
3- (إن) عبد الله (ل) قائم	- قيام عبد الله + دفع الإنكار
4- (والله) (إن) عبد الله (ل) قائم	- قيام عبد الله + تأكيد دفع الإنكار

ليعتبر دخول إنّ على الجملة الاسميّة تكرّير لهذه الجملة وإذا دخلت اللّام على الخبر صارت ثلاث جمل [207] وضروب التّوكيد كثيرة نذكر منها:

1.4 القســــــــم: إذا كان للتأكيد فاعلية حجاجية فان القسم يدخل في نفس المضمار يقول الزركشي في البرهان "ولماّ كانوا قد عدّوا القسم مما يجيء به المتكلّم عند

206- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن ، ص 240 .

207- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 408 .

الحاجة إلى تأكيد كلامه بأكثر من "إن" مع لام الابتداء (...) فإدخال جملة القسم على "إن" مع "اللام" لهو بمثابة أن تكرّر جملة الخبر الابتدائي أربع مرّات أو أكثر" [208]

2.4 الصّفـــــة: تعتبر ضربا من التّوكيد، يقول السّكاكي "إنّ قصر الصّفة على الموصوف ليس إلاّ تأكيدا للحكم على تأكيد" [209] ويبيّن ابن يعيش أن الصّفة قد تجيء للتأكيد فيقول "تجيء الصّفة للتأكيد نحو قولهم "أمسى الدّابر وأمسى لا يكون إلاّ دابرا (...) ومعنى التأكيد هنا مدلول الصّفة استفيد ممّا في الموصوف فصار في الصّفة كالتّكرار" [210] .

وعموما وسائل التّوكيد كثيرة كالمفعول المطلق إذ يأتي المصدر مؤكدا لعامله سواء كان عامله هذا مصدرا مثله أو فعلا، أو صفة... وكذلك يعتبر العطف من المؤكدات والعطف المقصود هنا ما يقع بواسطة الواو، فمن الكلمات والمركبات المعطوف بعضها على بعض ما يكرر بعضه بعضا من جهة المعنى بشكل يقترب من الترادف وفي كتاب "إعراب القرآن" للزجاج (ت 326 هـ) باب خاص بعنوان "باب ماجاء في التنزيل معطوفا وليس المعطوف مغاير للمعطوف عليه وإنّما هو أو بعضه" [211]

وعليه يمكن القول أن ضروب التّوكيد على الجملة تزوّدها بإشارات حجاجية marqueurs argumentatifsتستدعي الضّمني وتفتح عليه ،وتومئ إلى النتيجة وتدفع إلى استنتاجها.

5- عامليّة ادوات القصر والاستثناء الحجاجيّة:

1.5 عاملية " إنّما + ضمير الفصل " + " ال الموصولية:

يندرج أسلوب القصر ضمن سياق استدلالي، يمكن اعتباره حجة تقود إلى نتيجة يريد المتكلّم من المخاطب التّسليم بها و يقتضي استعمال الأسلوب وجود سياق تواصل، وقصد من المتكلّم إلى الحجاج والإقناع. تعتبر "إنّما" هي أمّ طرق القصر وهي بعبارة النحاة القدامى

2-الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 409 .
3- السكاكي : مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق نعيم زرزور ، ص 291 .
4- ابن يعيش: شرح المفصل ، ج 8 ، ص 130 .
[211]- أبو إسحاق الزجاج: إعراب القرآن، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، ج3 ص 88، 89.

متمحّضة له وحكر عليه خصّها الجرجاني في الدّلائل بالذّكر أكثر من مرّة إذ يقول "اعلم أنّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت إنّما جاءني زيد، عقل منه منك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمر[212] ولو أخضعنا هذه الجملة لمقولة التّوجيه في الحجاج مع ديكرو ولاحظنا كيف أنّ "إنمّا" بإدخالها على الجملة وجّهت الملفوظ نحو ّنّتيجة محدّدة ضيّقة فالجائي كما قال الجرجاني ليس إلاّ زيد وهذه هي النّتيجة التّي يروم الباث، إيصالها للمتلقي الذّي يتوهم أنّ الذي جاء ،قد يكون عمر، أو صالح وهذا ما قصده السّكاكي عندما قال "وكذلك قدّر"إنّما هذا لك" تقدير" "ما هذا إلاّ لك" تقدير "ما لك الاّ هذا" [213] فقوله تعالى ﴿إنّما نحن مصلحون﴾ [214] وهذا الكلام على لسان إسرائيل له نتيجة واحدة لا ثانية لها من جهة البنيّة اللغويّة، وهي أنّنا لسنا مفسدين. وممّا قاله ابن عاشور في تفسيره " أفادت إنّما قصر الموصوف على الصّفة، ردّ على قول من قال لهم لا تفسدوا (...) فردّوا عليهم بقصر القلب وليس هو قصرا حقيقيّا لانّ قصر الموصوف على الصّفة لا يكون حقيقيّا (...) واختير في كلامهم حرف "إنّما" لأنّه يخاطب به مخاطبا مصرّا على الخطأ، كما في دلائل الإعجاز، وجعلت جملة القصر اسميّة لتفيد أنّهم جعلوا اتّصافهم بالإصلاح أمرا ثابتا دائما إذ من خصوصيات الجملة الاسميّة إفادة الدّوام [215]

"فإنّما" بدخولها على الجملة "نحن مصلحون" جعلت الجملة جملتيّن هما:

1- نحن مصلحون .
2- لسنا مفسدين كما تدّعون .

وهو ما يجعل الكلام ذا طابع حجاجي واضح في حين أنّ غياب " إنّما" يجعله لمجرد الإبلاغ والإعلام وتكتفي اللغة بوظيفتها الإعلاميّة fonction informative لا تتعدّاها إلى الحجاجيّة L'argumentativité غير أن مفهوم المخالفة النّاجم عن بنيّة القصر إذ تفيده "إنّما" على المشهور يفيده كذلك ضمير الفصل نحو قولنا:

---

[212]- الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد ص 258.
[213]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص 300.
[214]- سورة البقرة الآية 11.
[215]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1 ص 283.

- علي هو الذّكي .
- الله هو المستعان .

فالمفهوم الذّي يقود إليه الملفوظ ، في كلا المثاليّن وقد اشتمل على ضمير الفصل "هو" [غير علي ليس ذكيا] و [لا يستعان بغير الله] على أنّه لو جاء القولان عارييّن من العامل الحجاجي هو في قولنا على سبيل المثال:

- علي ذكيّ
- الله مستعان .

لتعددّت المفاهيم النّاجمة عن كلّ منهما، ولفقد الملفوظ بذلك بعده الحجاجي على أنّ مفهوم المخالفة في كلا المثاليّن يمكن أن تؤدي إليه "ال الموصولة " وهي كما يقول السّيوطي: "بمعنى الذّي إذا اتّصلت باسم الفاعل أو اسم المفعول " (216)

2.5 عاملية إن/ ما / ليس ... إلاّ (الحجاجية) :

هذا ضرب ثان يحقق العامليّة الحجاجيّة وهو ضرب خاصّ، لأنّه يتركّب من صرفميّن الأوّل يفيد النّفي و الثّاني يفيد الاستثناء ، ولقد أجمع النّحاة وأهل المعاني على أنّ هذا الضرب من العوامل يفيد معنى ***"إنّما"*** وقد صرح بذلك الجرجاني في الدّلائل عندما اعتبر أن جملة **[إنّما هو درهم]** مساوية لجملة **[إن هو إلّا درهم]** (217)

فالملفوظ الذّي يقوم على عامليّن (إن... إلّا) والملفوظ الذّي لا يحتوي على هذيّن العاملين غير متساوييّن لذلك قال الجرجاني "وأمّا الخبر بالنفّي والإثبات نحو ما هذا إلّا كذا، وإن هو إلّا كذا فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشكّ فيه، فإذا رأيت شخصّا من بعيد فقلت ما هو إلّا زيد لم تقله إلّا وصاحبك يتوهّم أنّه ليس زيدا وأنّه إنسان آخر ويجّد في الإنكار أن يكون زيدا " (218).

216- جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو ، ج 2 ، ص 58 .
217- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تصحيح محمد رشيد رضا ، ص 256 .
218- المرجع نفسه ، ص 257 ، 256 .

إنّ دخول عوامل من قبيل (ما ... إلّا) أو (إن هو ... إلّا) أو (ليس ... إلّا) على جملة مثل [زيد كاتب] من شانها آن تخرجها من الابلاغيّة أي من مستوى الوصف والإبلاغ إلى الحجاجيّة حيث تكون العوامل المذكورة موجّهة لبقيّة الخطاب نحو نتيجة بعيّنها.

ويمكن القول أن مثل هذه الأساليب التّي تحمل طاقة حجاجيّة موجّهة وكما قال ديكرو وانسكومبر "تربط بين الضمني والصّريح وتقضي على تعدّد النّتائج والاستلزامات (...) وهو الذّي جعل الباحثيّن ينعتان اللّغة بكونها مؤسّسة على الحجاج" (219)

6- عاملية أدوات النّفي الحجاجيّة :

مثّل النّفي مبحثا مشتركا بين البلاغييّن والنّحاة، اعتبره البلاغيّون وتحديدّا أهل المعاني شقّا للإثبات في الخبر، فعالجوا علاقته بالإثبات، أما النحاة قد عالجوه من منطلق في الدرس مغاير، ذي أصول بنيويّة فاعتنوا به وأحصوا حروفه، ومقولاته وها نحن نستعين بكلا الدّرسين، لنبيّن عامليّة النفّي الحجاجيّة يحقق به المخاطب وظيفة اللّغة الحجاجيّة المتمثّلة في إذعان المتلّقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة "ن"، ولقد حصرت اللّغة العربيّة في لغتها حروف متمحّضة للنّفي من قبيل (لا، لن، ما) يصدق عليها قول أنسكومبر "يوجد في اللّغة صرافم، عوامل حجاجية، تشد الملفوظ وتبدل أقسام النّتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته " (220)

وإذا كان النّفي في عرف المناطقة "هو العامل الذّي يحوّل القضيّة الصّحيحة إلى قضيّة خاطئة والخاطئة إلى صحيحة عامل أحادي opérateur unaire " (221) فإنّه في الدّرس اللّغوي غير بعيد عن معناه، ووظيفته في الدّرس المنطقي فهذا ابن يعيش يعرّف النفّي بأنّه

1-la pragmatique intégrée considère que l'argumentation traverse l'ensemble des discours, Massy Roth , l'argumentation dans le discoure , page 25

220-« Il y a en langue des morphèmes , opérateurs argumentatifs , qui combinés avec un énoncé modifient la classe des conclusions liée la phrase attachée à l'énoncé de départ , cette modification est souvent une réduction ‹ Anscombre dynamique du sens et scalarité , page 134 . ‹

221 - A. Ben Nasar : logique symbolique et élémentaire , page 25

اكذاب إذ يقول: "اعلم أن النّفي إنّما يكون على حسب الاتّجاه لأنّه اكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلّا أنّ أحدهما نفي الآخر إيجاب" [(222)]

ولقد خصّص ديكرو نصيب الأسد لعامل النّفي، في تحديد وجهة الخطاب الحجاجيّة معتبرا إيّاه أدّق العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السّلم الحجاجي منطلقا من مثاليّن طالما وقف عندهما وهما:

1- لم يقرأ زيد جميع روايات بلزاك [(223)]
2- قرأ زيد بعض روايات بلزاك .

ويعلّق ديكرو على المثاليّن مصرّحا بأطروحته قائلا "إنّ أطروحتنا... أنّ المثال الأوّل موجّه نحو نتيجة سالبة، من صنف أنّ زيد لا يعرف بلزاك جيّد في حين أنّ المثال الثّاني عكس ذلك، حسب رأيي، إذ انّه موجّه نحو نتيجة ايجابيّة من صنف أنّ زيدا يعرف بلزاك [(224)] موجه نحو نتيجة إيجابية من صنف على تلفظ فهو توجيه على توجيه لذلك بمجرّد إدماج عامل النّفي والنّفي فيما نرى تلفّظ على تلفّظ فهو توجيه على توجيه لذلك بمجرّد إدماج عامل النّفي تتحدّد النّتيجة "ن" بسرعة ولا يجد المتقبّل حرجا أو كدّ ذهنيّ في إدراك المفهوم، بل إنّ عامل النّفي كمفهوم علاوة على وظيفته التّوجيهية في الخطاب الحجاجي فإنّ له قيمة مضافة وهي على حدّ عبارة ديكرو " أنّه ضروريّ لوصف البنيّة العميقة للملفوظ الذّي يبدو غير منفيّ " [(225)] وبهذا يتبيّن الدّور الفعّال الذّي يلعبه النّفي في توجيهه الخطاب الوجهة التّي يبتغيها المخاطب وجعل المتلقّي يذعن ويسلّم بالنّتيجة .

---

[222]- مرفق الدين ابن يعيش شرح المفصل ، 92 ج 8 ، ص 107 .

[223]-O. Ducrot : Les échelles argumentatives , page 17 , les exemples sont
* Il n’a pas lu tous les romans de Balzac
* Il a lu quelque romans de Balzac

[224]- المرجع نفسه ص 07

[225] - car la nation de négation est nécessaire pour décrire structure métique profonde onde d’énoncés superficilegatifllement non négatifs : les échelles argumentatives p 46–47

7- التّقديم والتّأخيـــــر:

وهو عند لجرجاني على ضربّين "تقديم على نيّة التأّخير كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل، مع اقرار كلا العنصريّن على حكمه الّذّي كان عليه وفي جنسه، الّذي كان فيه كقولك **منطلق زيد وضرب عمرا زيد** "فقد بقيت كلمتا" منطق" و "عمرا" على الحكم الّذي كان لهما، قبل التّقديم والتّأخير،لم يزل عنهما، فالأولى ظلّت خبرا مرفوعا دائما والثّانيّة مفعولا به منصوبا دائما، وتقديم لا على نيّة التّأخير، ولكن أن تنقل الشّيء من حكم إلى حكم و تجعله بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه، ومثاله ما تصنعه "بزيد" والمنطّق نقول مرة: "زيد المنطلّق وأخرى: المنطلّق زيد "[226] وهذان الضّربان من التّقديم والتأخير آيلان في الحقيقة إلى واحد معتّمد فيهما مقياس واحد هو المقياس النّحوي غير أنّنا نجد في كتب علوم القرآن، مقياسّا آخر إلى جانب هذا المقياس وهو المقياس الدّلالي كتقديم المعطوف عليه على المعطوف [227] الأبعاد الحجاجيّة للتّقديم والتّأخير أمثلتها كثيرة ومتنوعة.

مثال 01 :﴿ قل الله أعبد مخلصّا له ديني﴾ [228]

مثال 02 : ﴿ إيّاك نعبد و إيّاك نستعين ﴾ [229]

نلاحظ تقديم " إيّاك" في المثال الثّاني تعظيما لله، و الاهتّمام بذكره مع إفادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى ‘و ليصير الكلام حسنا متناسقا جاء تقديم المفعول لإظهار أحقيّته بالعبادة وأنّه سبحانه هو المعبود ولا أحد سواه, فالتّقديم لعب دورا حجاجيّا بارزا وجّه الخطاب الوجّهة.

المثال : " **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى و ربي لتبعثن**" [230]

ماذا زعم الكافرون ؟ ←——————— **الاّ يبعثوا** [231]

226- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 38، 48.
227- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ج1 ص 207.
228- سورة الزمر: الآية 14.
229- الفاتحة الآية 05 .
230- التغابن الآية 64.
231- عبد الله صولي : الحجاج في القرآن ، ص 01/ 373 .

(المعلوم أنّهم زعموا شيئا) ←——————— (مركز الاهتمام)

فماذا قيل لهم ؟ ——————← **لتبعثــــــــن**

(المعلوم أن شيئا ما ردّ به عليهم) ←——— (المعلومة الجديدة)

هذا المثال يبرز طيّ الفاعل و التّركيز على الحدث أيّ أنّ الأهميّة في الكلام انتقلت بواسطة البناء للمجهول من الفاعليّة إلى الحدثيّة [232]

8- الوصـــــل والفصــــل:

يتم ربط الجمل بأدوات عدّة، ذكر العلماء الغايات منها يقول الجرجاني: "و الفصل يكون إمّا للاتّصال إلى الغايّة أو الانفصال إلى الغايّة والعطف لما هو واسطة بين الأمريّن، وكان له حال بين حاليّن" [233] والوصل يتمّ عن طريق أدوات وحروف لغويّة كالواو حيث... الخ وهذه الأدوات لا تقوم بالربّط فقط بل تؤدّي وظائف أخرى فالفاء مثلا تقوم بالّربط و التّرتيب في نفس الوقت ويكون "العطف في المفرد والجملة" [234]. ففي المفرد يتمّ إشراك الثّاني في إعراب وحكم الأول أمّا في الجملة فيكون على ضربيّن [235].

الأول: أن يكون للمعطوف على الجملة موضع من الإعراب، ويكون حكم المفرد مثل (مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح).

الثّاني: أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى مثل (الله زيد قائم وعمر قاعد الله)

232- عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 80 .
233- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص 243 .
234- عبد السلام عتير: عندما نتواصل نغير ، ص 81 .
235- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص 244.

فالواو هنا رابطة، غير أنّها لا تشرك الثانيّة في إعراب وحكم الأولى ويكون المغزى من هذا الرّبط في الغالب الزّيادة في الاشتراك والاقتران ويعتبر أيضا الفصل وجه آخر للوصل دن حرف أو أداة وقد أجمله الجرجاني في ثلاثة أضرب بخصوص الجمل وهي: (236)

أولا: جملة لها مع التّي قبلها حال الصّفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكّد "**جاءني زيد الظريف**".

ثانيّا: جملة حالها مع التّي قبلها حال الاسم يكون غير الذّي قبله، إلاّ انه يشاركه في الحكم ويدخل معه في المعنى.

ثالثّا: جملة ليست في جملة الحالين، بل سبيلها مع التّي قبلها سبيل الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إيّاه ولا مشاركا له في معنى.

أضحت الآليات اللّسانيّة (كالفصل والوصل، و التّقديم والتّأخير والتّعريف والتّنكير، والتّأكيد والشّرط والاستفهام) تأخذ أبعادا غير التّي كانت عليها قديما، فلم يعد التقديم والــتّأخير مثلا للعناية ولكنّه أخذ يلعب وظيفة حجاجيّة توجّه المسّتمع إلى ما يصبو إليه المخاطب. حاولت الدّراسات المعاصرة الكشف عن وظيفة هذه الآليّات بدراسة مكونات اللّغة بطرق جديدة تجاوزت بها البحث عن المعني إلى افتراض معاني أخرى مرتبطة بسياق مفترض ومرتقب وبسامع ليس المطلوب منه قبول المعنى أو رفضه ولكن بسامع مسؤول ومتسائل في نفس الوقت .

للتّقديم والتّأخير وظيفة حجاجيّة أقوى إذا دخل عليهما الاستفهام، فالقولان أفعلت وأنت فعلت يختلفان من حيث المعنى ومن حيث الوظيفة التّداوليّة ففي أفعلت كان الاستفهام على الفعل وهو يؤدّي معنى الشّك في الفعل نفسه وليس الفاعل (237) أما في أأنت فعلت فهناك

---

[236]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 243-244

[237]- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 74

تقرير بالفعل من غير توهّم بأنّ الحدث غير موجود بدلالة إن الفعل واقع وهو بذلك قول انجازي يؤدّي معاني جديدة غير الاستفهام [238] يقول الجرجاني: "وأعلم أن الهمزة فيما

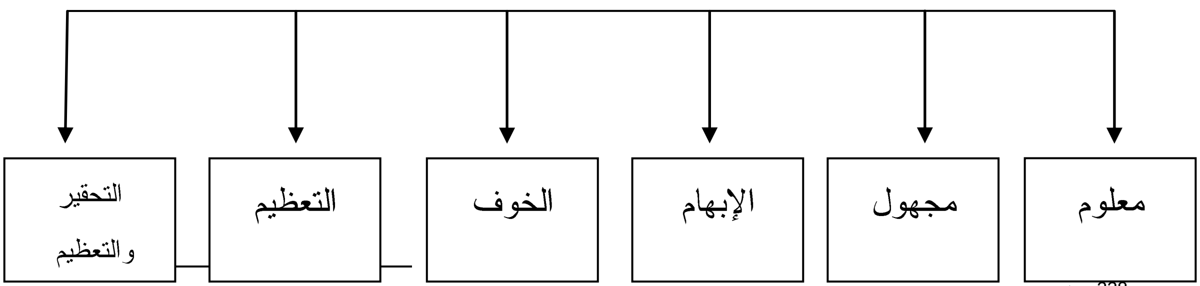
ذكرناه أأنت فعلت تقرير بفعل قد كان وإنكار لما كان وتوبيخ لفاعله عليه" [239] ويأخذ الاستفهام بالهمزة في التّقديم معاني أخرى منها [240]:

- الإنكار: أأنت قلت الشّعر ؟ تنكر على المخاطب قول الشّعر.
- النّفي: أهو قال ذلك .... ؟ نفي القول على الفعل .
- التّسليم بالخبر ومطالبة المستمع بالدليل على خبره (متى كان هذا)

9- الحـــــــــذف: يكثر الحذف في النّصوص المطوّلة ولهذا يلجا المؤلفون إلى الحذف ويعتمدون على ما يسمى بالتّبعية النّحويّة وعليه يمكن تعريف الاختزال بأنّه "حذف كلمة أو أكثر [241] فأمّا حذف كلمة فيكون على سبيل المثال بحذف المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو المفعول وغير ذلك، وأمّا ما زاد على الكلمة فيكون على سبيل حذف جملة القسم وجملة جواب الشّرط [242].

وقد تحدّث محمود سليمان ياقوت، عن أسباب الحذف ولخّصها على النّحو التّالـــي:

أسباب حذف الفاعل [243]



238- المرجع نفسه ص 75

239- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ،ص114

240- المرجع نفسه ص 118

241- الزركشي: البرهان في علوم القران، ج3، ص 134

242- ابن الأثير: المثل السائر، ج2 ، ص 68

243- محمود سليمان ياقوت: المبني للمجهول في الدرس النحوي، ص 114

أما عبد الله صوله فيرى أن لأسباب حذف الفاعل "غايات حجاجية" تجمعها غاية كبرى هي التّبئيــــر la focalisation (...) ويفيد من النّاحية الاصطلاحيّة في علم اللّسان انحصار الكلام في معنى معيّن، بإلقاء الأضواء على العنصر الأساسي فيه باعتباره مدار الكلام في الجملة، فهو يمثّل المعلومة الجديدة فيها[244]، ومنه يمكن القول أنّنا بحذف الفاعل ننقل مركز الاهتمام في الجملة من موقع إلى موقع آخر، وهذا ما ذهب إليه ابن جني حين قال: "أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا: "ضرب عمرا زيد، فإن ازدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل النّاصبة، فقالوا: "عمرا ضرب زيد، فإن تضافرت العناية به عدّوه على أنه ربّ الجملة وتجاوزوا به حدّ كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرّتبة فقالوا: **عمرو ضرب زيد** فحذفوا ضميره ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميّا لنصبه الدّال على كون غيره صاحب الجملة ثم إنّهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتّى صاغوا الفعل له وبنوه عل أنّه مخصوص به وألغوا ذكر الفاعل البتّة و أسندوا بعض الأفعال دون الفاعل البتّة [245] الدّراسات المعاصرة أولت ظاهرة الحذف اهتماما كبيرا لما لها علاقة بالجانب الحجاجي في اللّغة.

10- الربط الحكمي:

هو ارتباط بنيتيّن متتاليتّين، للوصول إلى حكم ما، و من أهّم أشكال ارتباط جزئيتيّن، واعتماد إحديهما على الأخرى في أساليب اللّغة العربيّة نجد الشّرط [246]

أ-آلية الشّرط الحجاجيّة: يعرّف الشّرط على أنّه "مجازاة تنعقد بين جملتيّن، أولاهما فعليّة، لتلاءم الشّرط مثل قوله تعالى﴿ يريد الله أن يهديه﴾ -سورة الأنعام 125-، و ثانيهما قد تكون اسميّة.

244- عبد الله صوله: الحجاج في القران، ص370

245- ابن جني: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص 95

246- نعمان بوقره: النظرية البيانية عند ابن حازم الأندلسي، ص 123

ب-وقد تكون فعليّة جازمة، وغير جازمة أو ظرفيّة أو شرطيّة مثل قوله تعالى: ﴿ فأولئك يدخلون الجنّة ﴾ -**سورة مريم** 60- فإذا جمع بينهما وبين الشّرط اتّحدتا جملة واحدة نحو قوله تعالى: ﴿ فإما يأتينّكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولا يشّقى﴾ الزمر 22.

ويعرّفه الآمدي بقوله "...الحقّ في ذلك أن يقال الشّرط هو ما يلزم من نفسه نفي أمرا ما على كلّ وجه لا يكون سببا لوجوده ولا داخلا في السّبب "[247] والشّرط يؤدّي وظيفة حجاجيّة قويّة، خاصّة إذا كانت جملة الشّرط ممّا يقبل به السّائل، فهذا يسهّل قبول جملة جواب الشّرط وهو وسيلة جذابة للآخر لأنّه يضمن بقاءه معك فمن الشّرط يستطيع معرفة جواب الشّرط فيكون مشاركًا لك في عمليّة البناء المنطقي لما تريد، و قد لا يتوقّع (الجهل أو عدم التّركيز) فيكون حينئذ تحت سيطرتك لأنّه من النّاحية النّفسيّة يبعث على الثّقة.

وإذا كان الشّرط أسلوبا لغويّا ، فإنّه لا ينفي عنه اعتماده المنطق أو العلاقة المنطقيّة بين جزأيه " فأصل الشّرط و الجزاء أن يتوقّف الثّاني على الأوّل " [248] كقولك :" إن زرتني أحسنت إليك " فالإحسان إنّما استحق بالزّيارة، وقد تحدّث السّكاكي عن الشّرط في باب الاستدلال، و تكلّم عن أحوال الاستدلالات، في الشّرط فقال :"اعلم إن الإثبات في الشّرط هو كون الاتصال أو الانفصال قائما فالاتصال كقولك" إن أكرمتني أكرمتك ... والانفصال كقولك إمّا أن يقوم زيد وإمّا أن يقوم عمر وأمّا النّفي فيه، فهو سلب الاتصال كقولك :" ليس إن أكرمتني أهنك أو ليس إمّا أن يقوم زيد وإمّا أن يقوم عمرو"[249]

وقد وقف ديكرو عند علاقة الشّرط، فبيّن أنّ هذه العلاقة تدخل في نطاق الحجاج المضمر لأنّنا إن عقدنا علاقة شرطيّة بين طرفيّن فإنّنا أضمرنا أن الشّرط يستوجب الجواب أي يكون الشّرط سببا لنتيجة هي الجواب، واشترط أن ينتمي الشّرط في خدمة الجزاء متساويا معه [250] إنّ هذا الطّرح قد نتج عنه إعادة دراسة وظائف اللّغة دراسة جذريّة ونعني بذلك تقديم "ديكرو وأنسكومبر" الوظيفة الحجاجيّة على الوظيفة الإبلاغيّة في اللّغة وبديهي منذ

247- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج2 ص 352.

248- نفس المرجع، ج2 ص 354.

249- السكاكي: مفتاح العلوم، شرح نعيم زرزور، ص 491

250 - O. Ducrot: le dire et le dit , p 31

أرسطو أن كلّ دارس تعرض لدراسة وظائف اللغة قدّم الوظيفة الابلاغيّة على الحجاجيّة، ليأتي ديكرو فيقدّم على هذه الوظيفة الإبلاغية الوظيفة الحجاجيّة وقد كان كلامه كلّه مبنيّا على هذا الافتراض العلمي وهو أن اللّغة في جوهرها حجاج إذ البنيّة الحجاجيّة سابقة للمضمون ولذلك كان التّسلسل والتّرابط في الخطاب قائما على الرّهان الحجاجي وهذا ما أشار إليه ديكرو في بداية كتابه **(القول و المقول)** [251]

[251] - O. Ducrot : « les echelles argumentatives p 51-52.

الوسائل

المنطقيّـــة

تـــــوطئـــة :

يشترك الجنس البشري فطريّا في استعمال عدّة آليّات منطقيّة وغير منطقيّة في إنشاء الكلام وتأويله انطلاقا من تجارب الأفراد وتفاعلهم مع محيطهم الخارجي من خلال اللّغة التّي يستعملها وإذا صحّ أنّ "اللّغة هي مادة الحجاج، صحّ معها أن الفكر هو الآلة التّي تقوم بتحديد المبادئ والقواعد داخل أنساق تصوريّة، تعبّر عن العلاقات التّي تنظّم تلك المبادئ والقواعد كما نجدها في تحليل الخطاب"[252] و مهما كانت الآراء التي تصاغ باللّغة ، فإنّها جميعا تخضع لنفس قوانين الفكر ونفس مبادئ المنطق وكلما افلح الفرد في الاختيار المناسب لهذه الآليّات كان لخطابه وقع على مخاطبيه وضع اللّغويون عدّة آليات نقوم عليها العمليّة الحجاجيّة نذكر أهمّها:

[252]- عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 88 .

1- القياس la Syllogisme:

أرجع أرسطو العمليتّين الأساسيتيّن في العلوم، الاسّتقراء والاستنباط إلى "الخطوات القياسيّة التّي أنتجت البرهان وأنتجت بطريقة معكوسة الاستقراء"[253]. ومن هنا كان المنشغلون اليونان في الحقل العلمي يتحدّثون عن البرهان لا عن القياس، لانّ البرهان هو قياس الضّرورة، و الاستقراء هو عكس ذلك، وما لبث أن تمّ الاعتراف بالقياس لكن خارج الميدان العلمي، أي في الاستدلال الجدلي والاسّتكشافي حيث استعيرت صورة القياس من البرهان، لكي تكون أداة استدلال بواسطة عناصر اللّغة الطبيعيّة"[254] وبهذا حصر المنطق اليوناني الاستدلال في القياس الحملي ممّا جعل العلاقة المنطقيّة تقوم فيه على مبدأ التّداخل الذّي يقضي باندراج أجزائه بعضها في بعض، ويجعل العناصر التّي تدخل فيها لا تتجاوز ثلاثة، الشّيء الذّي يجعل النّتيجة في القياس ترجع إلى ما وضع في المقدمتيّن [255].

وقد تنبّه أرسطو في هذا الإطار إلى أنّ هناك ضرورة منطقيّة تربط المبادئ (أو المقدمات) بالنّتائج، فترغم السّامع إذا ما اعترف بمقدمات معيّنة على قبول النّتيجة إلى درجة لا يكون في حاجة إلى طلبها [256] بناء عل ذلك يمكن القول بأنّ لقياس آليّة أساسيّة من آليّات الذّهن البشري، تقوم بالرّبط بين شيئين على أساس جملة من القواسم المشّتركة، للوصول إلى استنتاج ما بألفاظ فيها شيّء من الالتباس والاشتراك [257].

2.1 وظيفة القياس :

يستعمل متكلّم اللّغة بنيّة استدلاليّة مغايّرة نوعا ما لتلك المستعمّلة في بنيّة القياس الصّوري لأنّ مستعملي اللّغة لا يستدلون بالمعنى الشّكلي بل يستدلون بمقدمات يختارون إظهارها حسب ما

---

[253]- كورنفورنت موريس : مدخل إلى المادية الجدلية ، نظرية المعرفة ، ترجمة محمد مصطفى ، ص 137 .

[254]- الفدى محمد ثابت : أصول المنطق الرياضي ، ص 349

[255]- نفس المرجع : ص 351 .

[256]- طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 325 .

[257]- طه عبد الرحمان : أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 95 .

تقتضيه مقامات القول أو عدم إظهارها، اعتمادا على ذكاء القارئ أو لاعتبارات تداوليّة أخرى [258] فالمتكلّم حين يقول مثلا: "الإنسان فانّ" لا يستحضر مقدمتيّن وقياسا، لأنّ ذلك ممّا هو

معلوم كنتيجة للتّجربة، فالخطاب عادة لا يهدف إلى الوقوف فقط على هذه النتيجة، إنّه يعرضها ويقدّمها من أجل هدف تداولي حسب مقام القول الذّي قد يكون وعظّا أو إرشادا أو تنبيهّا [259] ومنه يمكن القول أن الذّهن البشري قادر على المزاوجة بين القياس و الاسّتنباط دون صعوبة أو تعارض.

3.1 أنواع الأقيّسة:

تعدّدت أنواع الأقّيسة بحسب تنوّع النّصوص الحجاجيّة و نجد ما يلي:

1.3.1 القياس المنطقي: يعتبر "بنيّة أساسيّة في كلّ خطاب حجابي" و لا يجب القياس إلاّ عن قول متقّدم فيكون القياس نتيجة ذلك، ربمّا كان هذا القول في اللّسان العربي مقدّمة أو مقدمتيّن لإحداهما بالأخرى تعلّق[260] ومن أمثلة القياس المنطقي المثال الذي أورده محمد العبد في كتابه **النّص والخطاب والاتّصال** وهو **(المال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه، وانفاقه هو إتلافه، وإن حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللّقب)**. يمكن تصّور القياس المنطقي على النّحو التّالي:

-[المقدمة الكبرى]: ———— ← الحسرة لمن أتلف المال

-[المقدمة الصّغرى]:———— ← إنفاق المال هو إتلافه .

-[النّتيجة] : ———— ← الحسرة لمن أنفق المال .[261]

2.3.1 القياس المضمّر: هو أحد أنواع القياس المنطقيّ، محذوف المقدمة وهي عادة المقدمة الكبرى[262] فعندما نقول "**الوطن جدير بالولاء، لأنّه يساعد على تربية المرء**" يستلزم القياس المنطقي الكلّي القياس المضمّر.

258- عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 39

259- عبد الرحمان بدو ي: المنطق الصوري و الرياضي ، ص 500 .

260- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال ص 218.

261- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 227.

– المقدمة الكبرى (مضمرة): كلّ شيء يساعد على تربية المرء جدير بالولاء .

– المقدمة الصّغرى (مذكورة): وطن المرء يساعد على تربيّته .

– النتيجة : وطن المرء جدير بالولاء (263).

في القياس المنطقي لابدّ من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى وإلاّ كان الحجاج عبثّا، وفي القياس المضّمر يسلّم المخاطّب جدلا بتلك المقدمة، فالقياس المنطقي والقياس المضمّر هما الشّكلان المنطقيّان الأعّم في الخطاب الحجاجي العربي (264).

3.3.1 القياس المتدّرج:

يعدّ القياس المتدرّج امتدادّا معقّدا للتّعليل القائم على القياس المنطقيّ، ذلك أنّه تتّصل بعض مجموعات القياسات المنطقيّة ببعض حتّى تؤدّي إلى نتيجة هي المقدّمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة(4)، ويمكن أن نوضّح ذلك بالمثال التّالي:

- كلّ المسايّرين للموضة متحرّرون من القيود.
- كلّ المتحرّرين من القيود مزعزعون.
- كلّ المزعزعين مرضى عقليّا.
- كلّ المرضى عقليّا في حاجة إلى التّعاطف.
- كلّ المسايّرين للموضة في حاجة إلى التّعاطف.

نلاحظ فيما سبق أنّ المقدمتيّن (1) (2) تقودان إلى النّتيجة : [كلّ المزعّزعين مرضى عقليّا] وذلك أنّ التّعبير "متحرّرون من القيود" موزّع على المقدمة الصّغرى: "كل المسايّرين للموضة مزعّزعون" وهذه هي المقدمة الكبرى غير المعبّر عنها، والتّي تقود مع القول الثّالث "كلّ المزعّزعين مرضى عقليّا "إلى نتيجة أخرى جديدة" كلّ المسايّرين للموضة مرضى عقلياّ

1- مليكة غبار ، أحمد أمزيل، محمد رويض، علي أعور : الحجاج في درس الفلسفة، ص 17 .
2- محمد العيد : النص و الخطاب و الاتصال، ص 230 .
3- المرجع نفسه ص 231 .
4- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص"371

"وهي نتيجة ترجع بدورها إلى المقدمة الكبرى التّي كان القول الرّابع مقدّمتها الصّغرى، وكان القول الخامس نتيجة القياس المنطقي الضّمني والاستنتاج المتدرّج الكلّي [265] .

ويمكن القول أنّ القياس الذّي نقصده، هو القياس الطّبيعي "لأنّه أغنى وأكثر إجرائيّة في اللّغة من المقياس الصّوري البر هاني، وأنّه لا يوجد في الخطاب الّطبيعي للاستنباط المنطقي والاستقراء التّجريبي الّذي تحدّده المعرفة العلميّة، ولذلك فالقياس الطّبيعي يصبح أكثر ملائمة للاسّتدلال اللّغوي، إذ به يتماسك الخطاب و تترّكب القضايا فيما بينهما لتنشئ قطعا خطابيّة موحّدة[266].

2- مرتكزات الحجاج:

يرتكز الخطاب الحجاجي على عناصر أوّلها المقدّمات des prémisses، تؤخذ عل أنّها مسلّمات يقبلها الجمهور ومنها الوقائع والحقائق والافتّراضات والقّيم، والمواضع les lieux وسنفصّل القولّ في كلّ منها.

1.1 – الوقائع : les faits

تمثّل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع النّاس، إنّ الوقائع لا تكون عرضة للدّحض أو الشّك وهي تشكّل نقطة انطلاق ممّكنة للحجاج، و تنقسم الوقائع إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية ووقائع مفترضة والتّسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلاّ تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيّا[267] وبهذا نرى أنّ الوقائع تعتبر من ركائز الحجاج الهامّة، التّي يستغلّها المحاجّ للإقناع والتّأثير في متلقي.

2.1 الحقائـــــــــق:

هي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع، وتقوم على الرّبط بين الوقائع والحقائق وقد يعمد الخطيب إلى الرّبط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متّفق عليها لتحدث موافقة

---

[265]- محمد العبد: النّص والخطاب والاتصال، ص228
[266]- طه عبد الرّحمن: اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ص290
[267]- عبد الله صوله: أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص308

الجمهور على واقعة معيّنة غير معلومة والمثال الذي ضربه أرسطو من كتاب (الخطابة المقالة1 الفصل 2) الواقعة (أ) (واقعة جزئيّة) وهي أنّ بايستراتوس وقبله ثياجنيس الميغارى كان قد طلبا حرسّا خاصّا وحين حصلا على ذلك تحوّلا إلى طاغيتّين. القضيّة(ب) وهو الرّأي الّذي يريد الخطيب حمل السّامعين على التّصديق به وديونوسيوس طاغية لأنّه يطلب حرسا خاصا، فقد تضافرت على تأييد القضية(ب) الواقعة (أ) ةالنّظرية (س)[268] فالحقائق إذا ما زكّيت بوقائع كانت أكثر إقناعا.

3.1 الافتراضات Les présomptions

شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، ولكنّ الإذعان لها والتّسليم بها لا يكونان قويين حتّى تأتي مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما. والافتراضات إنمّا تحدّد بالقياس إلى العادي أو المحتمّل... ولكنّ هذا العادي وهذا المحتّمل يتغيّران بتغيّر الحالات [269] فهّي وإن كانت من مرّتكزات الحجاج إلاّ أنّها تتطلّب فكّرا واعيّا للنجاح في توصيلها للسّامع.

4.1 القيّم Les valeurs

إنّ القيّم عليها مدار الحجاج بكلّ ضروبه... فهي التّي يعوّل عليها في جعل السّامع يذعن لما يطرح عليه من آراء [270]، والقيّم نوعان مجرّدة كالعدل، والحق، ومحسوسة مثل البلد. والإنسان لا يخلو من قيم يؤمن بها و يذعن لها

5.1 الهرميات Les niera dies :

القيّم متفاوتّة الدّرجات [271] وهي بذلك تخضع لهرم معيّن لأنّ لّلعاطفة مثلا درجات و للكره كذلك درجات " إن هرميّة القيّم في البنيّة الحجاجيّة أهمّ من القيّم نفسها، فالقيّم وإن كانت تسلّم بها الجماهير فإنّ درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور إلى آخر"[272] فالإيمان بالجزاء والعقاب يقع في أعلى الدّرجات بالنّسبة للمسلم عن غيره من الذين ينتمون إلى ديانات أخرئ.

268- نفس المرجع ص 309.
269- عبد الله صوله: أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص 309.
270- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص284
271- نفس المرجع ص 285.

6·1 المواضع les lieux:

لا يمكن الحديث عن المنطق **دون** حديث عن ضروب الأقيّسة التّي يقوم عليها، فكذلك الأمر بالنّسبة للحجاج، لا يمكن الحديث عنه دونما حديث عن المواضع، كيف لا وقد عرّفها شيسترون بكونها "مخازن الحجاج" وألّح أرسطو على أنّها "ما يجب حسن امتلاكه" حتّى يصلح الحجاج ويحقّق الملفوظ وظيفته الحجاجيّة فهي ليست حججًا في حدّ ذاتها بل كما سّماها بيرلمان ما يشبه الأقسام les Rubriques التّي يقع تحتها ما يؤيّد الحجج [(273)] وهي أنواع :

3- التقنيات الحجاجيّة:

الأشكال الحجاجيّة Shemes argumentatif التّي يمكن اعتبارها مواضع حجاجيّة lieux argumentatifs على نوعين[(274)]:

- طرائق الوصل أو الاتصال Procédés de liaison
- طرائق الفصل أو الانفصال Procédés de dissociation

1- الطّرائق الاتّصاليّة :

وهي الطّرائق" التي تقرّب بين العناصر المتبايّنة وتتيح إقامة ضرب من التّضامن لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيّا أو سلبيّا "[(275)] ومن بين الطّرائق الاتّصاليّة .

1.1 الحجج شبه المنطقيّة:

تسمد قوّتها الاقناعيّة من مشابهتها للطرائق الشّكليّة والمنطقيّة والرّياضيّة في البرهنة وإذ كانت تشبهها فلا يعني أنّها هي وعليه وجب التّدقيق بأن يبذل جهدا كبيرا في بناء استدلالها ومنها:

---

[272]- عبد الله صوله: أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص310

[273] - Amassy Ruth : l'argumentation dans le discoure, p102

[274]- عبد الله صولة: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص324.

[275]- طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان ، ص 260.

1.1.1 التّناقض وعدم الاتّفاق incompatibilité [276]:

والمقصود بالتّناقض Contradiction هو أن تكون هناك قضيّتان في نطاق مشكلتّين إحداهما نفي للأخرى... كأن يقال (المطر ينزل ولا ينزل) في حين أنّ عدم الاتّفاق أو التّعارض بين ملفوظيّن يتمثّل في وضع الملفوظيّن على محكّ الواقع والظّروف أو المقام، لاختيار إحدى الأطروحتيّن و إقصاء الأخرى.

2.1.1 التّماثل والحدّ في الحجاج: [277]

التّماثل التّام مداره على التّعريف définition من حيث هو تعبير عن التّماثل بين المعرّف والمعرّف وليس المعرّف تمام المعرّف على الحقيقة لهذا سميّ الحجاج من هذا القبيل حجاجًا شبه منطقيّ.

فقولنا الرّجل وجلّ، والأب يبقى أبا.

هو من قبيل تحصيل الحاصل، لاتجد فيه معنى المعرّف وهو رجلاً أو أبّا هو نفسه معنى المعرّف وهو الرّجل والأب، ولهذا قيل عن مثل هذه القضايا أنّ أحد ركنيّها أو لفظيّها ورد على الحقيقة، والآخر على وجه المجاز.

3·1·1 الحجج القائمة على العلاقة التبادلية:

تتمثّل هذه الحجج" في معالجة وضعيتيّن إحداهما بسبيل الآخر معالجة واحدة وهذا يعني أنّهما متشابهتان بطريقة أو بأخرى[278] ومن أمثلة ذلك "ضع نفسك مكان لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبه لنفسه" .

4.1.1 حجج التعدية Arguments de transitivité [279]

276- عبد الله صوله ، ضمن أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 325

277- عبد الله صوله ، ضمن أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 327 .

278- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص264

إنّ التّعدية خاصة شكليّة تتّصف بها ضروب من العلاقات التّي تتيح لنا أن نمرّ من إثبات أنّ العلاقة الموجودة بين "أ" و "ب" من ناحيّة و "ب" و "ج" من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أنّ العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين "أ" و"ج" مثال ذلك :

(علي أخو محمد) و (علي أخو عمر) ⟸ (عمر أخو محمد)

نلاحظ أنّ التّعدية مبنيّة على علاقة التّضمن وهذا ما نلمسه في المثال الذي ضربه "ببرلمان" "قضى سقراط نحبه لأنّه إنسان" النّتيجة المسكوت عنها "كلّ إنسان فان"

2.1 الحجج المؤسسة على بنية الواقع :

تقوم "بربط الأحكام المسلّم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة ومسلّما بها وذلك بجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي إلى كلّ يجمع بينها ولا يمكن التّسليم بأحدهما دون أن يسلّم بالآخر[280].

1.2.1 الوصل السّببي: وله ثلاثة ضروب [281] وهي :

- حجاج يرمي إلى الرّبط بين حدثيّن متتابعيّن بواسطة رابط سببي مثال ذلك "اجتهد فتنجح ".
- حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما ،وقع سبب أحدثه وأدى إليه ومثال ذلك" نجح لأنّه اجتهد ".
- حجاج يرمي إلى التّكهن بما سينجرّ عن حدث ما من نتائج، مثال "هو يجتهد فسينجح".

ولهذا النّوع من الوصل " تأثير مباشر في توجيه السّلوك وعدّه من أهمّ وسائل الحجاج "[282].

---

[279]- عبد الله صوله: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص330

[280]- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص253.

[281]- عبد الله صوله: أهم نظريات الحجاج غي التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 329.

[282]- نفس المرجع، ص 334

2.2.1 حجة التبذير:

حجّة تقوم على التّتابع، وإن لم تكن ليعتمد فيها على السّببية وتتمثّل في أن نقول حسب برلمان "بما أنّنا شرعنا في العمل وضحيّنا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضّيعة للمال والجهد فإنّه علينا أن نواصل إنجازه" (283)

3.2.1 حجة الاتجاه :

وتتمثّل أساسا في التحذير من مغبة إتباع سياسية المراحل التنازلية كقولنا إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة و الله أعلم ا ين ستقف بك سياسة التنازل هذه؟

3.1 وجوه الاتّصال التّواجدي:

1.3.1 الشّخص وأعماله: إن الإنسان كل لا يتجزأ ينظر إليه من زوايا عدّة "فعلم الأخلاق والقضاء يعتمدان مفهوميّ الإنسان وأعماله من حيث هما مفهومان مترابطان... لا فكاك لأحدهما عن الآخر فعلم الأخلاق والقضاء يحكمان على العمل وعلى صاحبه في الوقت نفسه... فعلاقة الوصل التّواجديّة لا يتبع الحجاج فيها مسار- عمل شخص- وإنّما يتبع فيها أيضا مسار- شخص عمل- وهو ما أسماه برلمان "التّداخل بين العمل والشّخص" (284) وهكذا يتبيّن أنّ للشّخص وأعماله دور في استمالة المتلقيّن.

2.3.1 حجة السلطة: تختلف السّلطة في هذا المجال وتتعدّد تعددّا كبيرا فقد تكون "الإجماع، أو الرأي العام، أو العلماء... أو الأنبياء وقد تكون غير شخصيّة مثل الفيزياء أو العقيد أو الدين... وقد يعتمد الحجاج بالسّلطة على ذكر أشخاص معينيّن على أن تكون سلطة هؤلاء معترفًا بها من قبل جمهور السّامعين... والعادة في الحجاج ألاّ تكون الحجة بالسّلطة الحجّة الوحيدة فيه وإنمّا تأتي هذه الحجّة مكمّلة لحجاج يكون غنيّا بحججّ أخرى" (285)

2-meyer (Michel) : logique , langage e et argumentation , p 113
3-Meyer (Michel) : page 114

285- عبد الله صولي ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 355 .

4.1 الاتّصال المؤسّس لبنيّة الواقع : يوجد بنيّات مستمّدة من الواقع الماضي، بما تختزنه من تجارب إنسانيّة وأحداث تاريخيّة أو شخصيّة تترجمها الحكم والأمثال والحكايات وغيرها، تكون معروفة من قبل، وذات قيّم مجتمعيّة، تحظى باحترام واهتمام الأفراد والجماعات، تستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع وتختلف وفق الضّرورة السّياقية أو المقاميّة ومن بين هذه البيانات نذكر ما يلي:

1.4.1 المثل Exemple : هو نوع من الاستدلال "يقوم بنقلة نوعية من خلال الجمع ين الاستقرار والمشابهة عن طريق الحدس، وقد وجد هذا التّوظيف كقيمة رمزيّة أو بمثابة مسلّمات قيميّة تستجيب للقضايا المطروحة [(286)]، وقد وجد هذا التّوظيف امتدادا واسعا داخل الخطابة العربيّة حيث يرجع الخفاجي أساس المثل إلى كونه: "ماثل في خاطر الإنسان أبدّا وشاخص، وأعون شيّء عل البيان" وفي نفس السّياق يؤكّد الزّمخشري: "أن الأمثال هي زيادة في الكشف و تنتمي للبيان وتضرب العرب الأمثال لإبراز جليّات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيّل في صورة المحقّق، والمتوهّم في صورة المتيقّن ،والغائب كأنّه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم، وقمع لسورة الجامح الأبي"[(287)]. فالمثل يصوّر المعاني بصورة الأشخاص مع ترسّخه في الذّهن وتقريب المعنى للمتلقي.

2.4.1 النموذج le modèle والنموذج المضاد Anti modèle

وسيلة تعبيريّة "مؤسّسة على حجة السّلوك باعتبار السّلوك قدوة تستوحي من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار... تؤكّدها قيمة الأفعال وذلك كميل طبيعي في النّاس نحو الاقتداء بنماذج معيّنة حيث تعتبر في القول الحجاجي مقدمات تستخلص منها نتائج معيّنة تؤدّي إلى امتداح سلوك خاص"[(288)] لذلك تعتبر النّماذج الجيّدة وراء تشكيل سلوك وثقافة الأفراد والجماعات كما يعتبر" النّموذج المضاد نموذجا يستعمل أيضا كتقنيّة في الخطاب الحجاجي ويكون أكثر فعاليّة حيث يفقد النموذج الأصلي قيمته وفعاليّته ويحوّله في مجالات مقاميّة معيّنة

---

[286]- عبدالسلام عشير: عندما نتواصل نغير,ص 218

[287]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 417 .

4-Ibid. page 425

إلى الهزأ أو الهزل أو السخريّة كما في المثال الذي أورده برلمان [289] حين قال الأب لابنه الكسول: في **مثل سنّك كان نابليون على رأس الفصل الذي يدرس فيه.**

فردّ الابن : **وفي مثل سنّك كان نابليون إمبراطورا .**

3.4.1 الشّاهد Illustration :

طريقة تدور حول تقويّة وتأكيد الأطروحة "فالغاية منه لا تكمن فقط في تعويض المجرد بالملموس وتبديل أو نقل الأطروحات من مجال إلى مجال آخر كما هو الشأن في المثل أو التّمثيل وإنّما تكمن أساّسا في تقويّة الفكرة وتأكّيد حضورها في الذّهن [290] ولهذا فإن اختيار الشّاهد يخضع" لمعايير تقتضيها الشّروط المقاميّة التّي تجد لها صدى شعوريّا وعاطفّيا لدى المخاطّب، فتقوم بدور المحرّك لخياله وتفرض عليه الانتباه وتسهّل عليه عمليّة الفهم [291] والشّاهد حسب الجاحظ يستمّد طاقته من العيان والمشاهدة" وهو استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مرويّ بهدف ثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك" [292]

1.4.4 التمثيل :Analogie

طريقة حجاجيّة "تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة حيث لا يرتبط التّمثيل بعلاقة المشابهة دائمّا، وإنّما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة" [293] وينطلق الحجاج بالتّمثيل من التّجربة "بهدف إفهام الفكرة أو العمل، على أن تكون الفكرة مقبولة وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغايّر، جريّا على مبدأ الاستعارة ويرتكز التّمثيل على استدعاء صورة تحكي أحداثّا من أجل نقل أفكار مرجعيّة ذات قيمة رمزيّة "[294]

1-IBID page 425

290- Miescher (Jaques) : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle page 38

3-IBID page 484

292- الجاحظ : البيان و التبيين، ج 1 ص 86

5- عبد السلام عشير:عندما نتواصل نغير، ص 301

6 - Robrieurj .j : Eléments de rhétorique et d’argumentation page 45 .

2-الطرائق الانفصالية في الحجاج:

تحدثنا عن ثلاثة مظاهر من الاتّصال الحجاجي هي الحجج شبه المنطقيّة والحجج المؤسّسة على بني الواقع، والحجج المؤسّسة لبني الواقع وهي طرائق تربط بين عناصر غير مترابطة في أصل وجودها، أما الطرائق الانّفصاليّة أو الفصل "فإن الانّفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي وجود وحدة بينها، ومفهوم واحد لها فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد... وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج ومردّ ذلك إلى زوج (الظاهر/الواقع). بمعنى أن الأشياء أو المعطيات قد تكون حدان ظاهر زائف وواقع حقيقي [295] ويرى "برلمان وتيتكاه "أنّ الظاهر هو ما يخاطر بالذّهن ويدركه الفكر منذ الوهلة الأولى فهو المعطى الرّاهن المباشر في حين أن الحقيقي لمّا كان تمييّزه لا يكون إلاّ في علاقته بالّظاهر ومقارنة به فإنّه لا يمكن أن يكون إلاّ نتيجة فصل تحدثه داخل الحدّ الأول –في الظّاهر– سعيّا منا إلى القضاء على ما يمكن أن نلمحه في مظاهر الحدّ الأول هذا من تناقضات بينها توقظ فكرنا من غفلته عنها وانخداعه بها [296] وتتجلى طرق الفصل في الأقوال والخطابات بما يعبّر عن حضور أزواج من قبيل [297]

- ظاهري /حقيقي Apparent /Réel
- هو شبه كذا .
- غير كذا، غير صحيح.
- بعض الجمل الاعتراضيّة: إنّ هذا البطل إن صحّ أنّه بطل.
- بعض الأفعال مثل: يزعم، يتوهّم.
- وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجتين وبالتّالي نلاحظ أن الفصل يكون داخل المفهوم الواحد بين ما هو ظاهري وما هو حقيقي كأن يقال: "**إنّ ملكا يفعل هذه الأفاعيل ليس ملكا**" **!**

295- عبد الله صولي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 344.

296- المرجع نفسه ، ص 345 .

3-Amossy Ruth : l'argumentation dans le discours page 99/10**0-**

الخلاصـــــــــــة:

إنّ بناء القول الحجاجي يتشكّل عن طريق تفاعل بنيته اللّسانيّة (ربط ،تكرار، توكيد.... الخ) وبني المنطقية (قياس وقائع، شواهد، أمثلة) وهي عناصر ضروريّة لنجاح العملية الحجاجية. وبتحليلنا لنص الخطبة تبيّن انّها توفرت على أهم هذه البنى اللسانيّة والمنطقيّة التّي عملت على الرّفع من قيمتها الحجاجية.

الفصل

الثالث

التحليل النصي الحجاجي للخطبة طارق ابن زياد

يعدّ طارق بن زياد من أشهر زعماء المقاومة في المغرب العربي في العصر العربي الوسيط، وقد استطاع بفضل عقيدة الإسلام وسماحة الدين ويسر الشّريعة الربّانية أن يتعلّم القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وبفضلهما فتح طارق الأندلس ونش الدين الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبرية، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى وصلت الفتوحات الإسلامية لابواتييه بفرنسا فمن هو هذا الفاتح؟

أورد ابن عذارى المراكشي في كتابه "المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب" أن نسب طارق بن زياد هو طارق بن زياد بن عبد الله بن لغو بن ورقجوم بن الأثير بن ولهاص بن يوطف بن نفزاوي... فهو نضري[298] وقد اختلف المؤرخ ونفي نسبه فهناك من يعتبره فارسيا همذانيا، وهناك من يدافع عن بربريته بأنه من مواليد قبيلة نفرة البربرية، وقد قيل إن طارق طويل القامة، ضخم الهامة، أشقر اللون، وتنطبق هذه الصفات على عنصر البربر[299]

ومن المعروف أن طارق مولى مغربي لموسى بن نصير، وهو أيضا من البربر الزناتييّن وقد أسلم طارق منذ أيام عقبة بن نافع الفهري، وكان طارق حسب الروايات الأدبية والنقدية شاعرا مفلقا إذ أورد له المقري في كتابه "نفح الطيب" بعض الأدبيات الشعرية نقلا عن الحجاري في المسهب وابن اليسع في المغرب وهي[300]:

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا

عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفوسا وأموالا وأهلا بجنـــــــــــة

إذاما اشتهينا الشيء فيها تيسيـــــــــرا

إذا نحن أدركنا الذي كان أجـــــــــــدر

298- ابن عذارى: بيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج1 ص43.
299- علي محمد محمد الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي. المجلد1، ص 311.
300- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، محمد محي الدين عبد الحميد، ج1 ص 248.

توجه طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة 92هـ في اثني عشر ألف جندي فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب الذين كانوا قوادا مؤطرون للفرق العسكرية وعبر طارق في سفن يوليان ونزل بمنطقة تحمل إلى يومنا هذا اسمه (جبل طارق) وفتح الجزيرة الخضراء ودخل جيشه بعد أن أحرق السفن، في معركة حاميه الوطيس مع جيش لذرين استمرت ثمانية أياما حسوما انتهت بهزيمة القوط شر هزيمة وفتحت هذه المعركة أبواب الأندلس على مصراعها أمام الفتوحات الإسلامية، ثم وصلت جيوش طارق طليطلة سنة 93هـ دون مقاومة تذكر[301] وهكذا استطاع رجال طارق بن زياد أن يفتحوا مدن الأندلس زهاء ثمانية قرون في ظل التسامح والتعايش والتقدم والازدهار حتى تبدلت أحوال المسلمين...[302].

طارق بن زياد خطيبا:

قال طارق بن زياد خطبة رائعة أثناء فتحه الأندلس بعد أن أحرق السفن التي حملتهم إلى الجبل المسمى باسمه (جبل طارق) قطعا لأملهم في الهروب والرجوع والفرار، وتحفيزا لهم على المواجهة والمقاتلة ومحاربة العدو. وبذلك تكون خطبة طارق أقدم نص أدبي نثري وصل إلينا في الأدب المغربي[303]. وهذا نص الخطبة التي ألقاها طارق على مسامع جنوده فبعثت فيهم الحماسة والشجاعة.

[301]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص 89.
[302]- نفس المرجع ص 90.
[303]- عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ج1، ص 53.

تحليل الخطبة لسانيا

1- الإحـــــــــــّالة:

تمثل الإحالة في اللسانيات العلاقة الدلالية التي تربط العناصر اللسانية ببعضها في المستوى التركيبي، وهي أيضا شكل من أشكال التكرار النحوي، لما يصلح أن يستبدل به كالضمائر[304] والمتفحص نص الخطبة يجد أن الإحالة قد تنوعت فمنها:

1.1 الإحّالة الضميريّة:

نلاحظ حضور ضمير المتكلم المفرد المحيل إلى طارق بن زياد كما في قوله:

"... واعلموا أني أول مجيب ..."[305].

"... وإني عند ملتقى الجمعين ..."[306].

"... واحملوا معي ..."[307].

"... وإن هلكت قبل وصولي ..."[308].

"... فاخلفوني في عزيمتي ..."[309].

"... فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر من حظي ..."[310].

عمل الضمير المتصل (الياء) المحيل إلى طارق بن زياد على أغناء الخطبة من الناحية المعنوية، وأعطى حضورا متميزا للقائد المتواجد بين صفوف جيشه، كما عمل الضمير على تماسك الملفوظات وتفادي التكرار، وكما نعلم فالإحالة الذاتية تؤثر في الملتقى وتشده إلى الموضوع المطروح. لم يغفل الخطيب استعمال الضمير المخاطب الذي يحيل إلى الجند فقال:

---

[304]- Dubois et autres dictionnaire de linguistique p 36.

[305]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.

[306]- نفس المرجع.

[307]-نفس المرجع.

[308]-نفس المرجع.

[309]-نفس المرجع.

[310]-نفس المرجع.

"... **البحر من ورائكم والعدو أمامكم**" فالضمير المتصل (الكاف) أحال إحّالة قريبة، وربط بين أجزاء العبارة دون حاجة للتكرار الاسمي.

ويبين المثال الموالي تنوع الإحالة مما ساهمت في اتساق البني النصية قال: "**...وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ...**"(311) راوح بين الإحالة المنفصلة والإحالة المتصلة فالمنفصلة "أنتم" عملت على التشخيص بالإضافة إلى الربط، فقد شخصت المعني بالأمر –وهو جيش المسلمين– أما الضمائر المتصلة "الكاف والهاء" فقد أحالت مرة على العدو ومرة على المسلمين.

وبصفة عامة كانت ضمائر الاتصال المفردة (الهاء) و(الياء) غالبة على نص الخطبة، دون أن نتغافل على حضور الضمائر المنفصلة (أنا) (أنتم) ولهذه الإحالة وظيفة برهانية، فالملاحظ أن الخطبة حافلة بهذا النوع من الإحالة سواء البعدية أو القبلية. ولقد تمكن الخطيب من توظيف هذه الإحالات حتى يتجنب التكرار من جهة ويسجل حضور الجند وحضور شخصه من جهة أخرى.

ويمكن القول أن الإحالة الضميرية أبررت معالم الخطيب اللغوية والبيانية وعملت على تماسك نص الخطبة.

2.1 الإحّالة الإشاريّة:

اعتمد الخطيب الإحّالة الإشاريّة القريبة، فالمسح يسجل حضور "الأداة الإحالية المتمثلة في هذه" بشكل بارز لأنه يكثر من الجمل الشارحة والاحتمالات ويذكر المقدمات ويعيدها وهذا لا شك يجعله يستعين بأسماء الإشارة للربط دون تكرار. كما أن الإحالة الإشارية القريبة تدل على التحام طارق ابن زياد بعناصر جيشه. ووجوه في ساحة الحرب، نذكر بعض الأمثلة:

"... واعلموا أنكم في هذه الجزيرة ..."(312).

"... فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة، من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ..."(313).

---

311 - طارق بن زياد من نص الخطبة.

312-طارق بن زياد، من نص الخطبة.

نلاحظ أن اسمالإشارة "هذه" زيادة على الربط تجسيدا للوضع الذي هم فيه. أماالإشارة "هذا" فقد عمل على تقريب الصورة وتوضيحها في ذهن جيش المسلمين.

وقوله كذلك: "وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة ..."[314]

"ورضيكم لملوك هذه الجزيرة"[315]

"وإظهار دينه بهذه الجزيرة"[316]

"واكتفوا المهم منفتح هذه الجزيرة بقتله ..."[317]

فاسم الإشارة "هذه" عمل على تعيين المكان "هذه الجزيرة" وليس غيرها فالاهتمام منصب على هذه الجزيرة وكأنه أعطى المكان نوعا من الأسبقية، فكأني به يريد القول إن تمكنتم من هذه الجزيرة فقد فتحت لكم بقية الجزر أو الأراضي الواقعة وراء البحر، فهذه الجزيرة هي مفتاح كل البقاع الباقية.

2- دراسة الازدواج:

إن الازدواج من أقسام الشعر، "وهو ما أتى على قافيتين إلى آخر القصيدة، رغم هذا فيمكن النظر إلى المزدوج في النثر على أنه من باب حكايته بنية إيقاعيّة جوهرية في الشعر، ذات تأثير سمعي، وعاطفي في المستمع. ولكنا نحسبه أصيلا في نثر لغة ذات أصول شفاهيّة"[318].

عولج المزدوج عند البيانيين مظهرا من مظاهر الجودة في صناعة الكلام. ويستخلص من جملة ما ذكره القدماء عن الازدواج ما يلي:

313-نفس المرجع.
314-طارق بن زياد من نص الخطبة .
315-نفس المرجع.
316-نفس المرجع.
317-نفس المرجع.
318- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 267.

1. إن الازدواج يقع أيضا على رغم الاختلاف بين الأجزاء في أحد الاعتبارات السابقة، يقع في اعتبارين اثنين منها أحيانا.
2. إذ لم يقع التوازن بين الأجزاء في القول، فالأفضل أن يكون الجزء الأخير أطول، وإن كان ورد في كلام العرب الفصحاء ما كان فيه الجزء الأخير أقصر.
3. توازن الأجزاء توازنا كليا أجمل وجوه التوازن.
4. فضلا عما للتوازن من أثر سمعي، ايجابي في رونق الكلام. فأن له بتمكين معناه[319].

وقد كان الازدواج في نص الخطبة على النحو التالي:

الترتيب	النّوع
المرتبة -1-	النّوع الرابع
المرتبة -2-	النّوع الخامس
المرتبة -3-	النّوع الأول

أول ما يلاحظ اعتماد الخطيب النوع الرابع بكثرة، لطبيعة الخطاب، فالإقناع والاستحالة ليس مسألة هينة، لذلك كان تركيزه على شد انتباه السامع طوال مدة الخطبة حتى يضمن موالاته وتأييده. وهذا ما يجعل أغلب نماذج هذا النوع تتقاطع تقاطعا صريحا مع تكرارالمضمون نذكر بعض الأمثلة: "إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا"[320]وأيضا: "ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فيما حظكم فيه أوفر من حظي"[321] وكذلك: "وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة، من الحور الحسان من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقبان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان"[322] وقوله: "وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا" فالنوع الرابع احتل مساحة كبيرة كما سبق الذكر.

319- الجاحظ: البيان والتبيين، ج2،ص 116.
320- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
321- طارق بن زياد من نص الخطبة.
322- نفس المرجع.

أما من النّوع الخامس "لا وزركم غير سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما سيخلصونه من أيدي أعدائكم"وأيضا: "وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجرادة عليكم"[323]فالخطيب اعتمد هذا النوع لأنه يحاول الشرح والتفصيل ليصل بالجند إلى تبني دعواه، وهذا المستوى الأساسي الذي تتفاعل فيه البنية والدلالة وتشتغلان معا سواء في النص ألحجاجي أم غيره من النصوص.

ومن النّوع الأول (أعلى المراتب عند القلقشندي) نجد له حضورا مثلا "يكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه"[324] وكذلك "البحر من ورائكم والعدو أمامكم"[1].

لم يكثر الازدواج لدرجة التصنع، بل كان بما يكفي لإحداث الجمال في نفس وسمع المتلقي، فقد قدم خطبته بطريقة تشعر معها أن الرجل لا يقصد اختيار الكلمات وأنها ترد بكل عفوية قال الجاحظ: "قبل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرفاشي: لم تؤثر السّجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والأذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد، وبقلة التلفت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره"[325] وهنا إضافةإلى الوظيفة الجمالية التأثيرية أشار إلى فكرة مهمة هي الوظيفة التذكرية وقد لاحظ هذه الفكرة بالذات WALTERONGفي قوله: "ويميل التفكير المطول ذو الأساس الشفاهي حتى عندما يكون في شكل شعري إلى أن يكون إيقاعيا بشكل ملحوظ لأن الإيقاع حتى من الناحية الفسيولوجية يساعد على التذكر"[326].

يمكن القول: "أن الازدواج بنيّة تركيبيّة ترتبط بين عناصرها علاقات – سمعية –من طول ووزن وفاصلة تعكس فكرا واضحا، مرتبا.

---

[323]- نفس المرجع.
[324]-الجاحظ :البيان و التبيين ج 1.ص87
[325]-.نفس المرجع.ج1 ص 88
[326]- محمد العمري: النص الحجاجي العربي، ص 68.

عمل الازدواج في نص الخطبة على تناسقها من خلال الازدواج بين عبارات من جملة واحدة، أو بين جمل تامة قائمة بذاتها كما يمكننا أن نحس بالسلاسة والانتقاء غير المفضيين إلى الثقل أو التكلف. فالإضافة إلى الصبغة الجمالية أضفى الازدواج على نص الخطبة الطابع التأكيدي للغرض الذي ترمي إليه.

3- بينة التّكرار:

يعتبر من المفاهيم الأساسية في معالجة النص الأدبي، فهو وسيلة مهمة لاكتشاف أبعاد الخطبة و" يمكن أن يتمظهر العنصر المكرر في أشكال مختلفة فإما أن يكرر الدال مع المدلول واحد، وإما أن يكرر مع مدلول يتحقق من جديد في كل مرة أو يتكرر المدلول الواحد مع دالات مختلفة، مما يؤكد السمة البنيوية للتكرار في النصوص ..."[327].

إلا أن دراسة الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي، بل من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف، والتأكد، والتقرير، والإثبات، ويميز علماء اللسانيات النصية بين التكرار التام، والجزئي الذي يقوم على الاستعمال المختلف للجذر اللساني للمادة المعجمية نفسها، ويعد هذا النوع بالذات من أهم الآليات اللسانية التي تحقق الحجاجيّة ..."[328]، بالإضافة إلى تكرار الترادف في مستوى اللفظة أو العبارة، يكون التكرار في مستوى البنيات[329]

ونجد أن أشكال الروابط التكرارية قد تعددت في صور عدة[330]

أ- التّكرار التّام: " ... يستخدم بشكل عام لتأكيد رأي ما، أو واقعة ما، أو وصف ما، ويقول البلاغيون العرب: إنه يستخدم أيضا لتأكيد المدح أو التهويل أو الوعيد ..."

ب-التّكرار المرادف: ويتحقق بالنسبة للكلمات التي تظهر متقاربة جدا ولا يستطيع النص تحديد الفروق والاختلافات.

التّكرار الجزئي: يقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولمنه في أشكال مختلفة.

---

[327] M.FREDERIC, la répétition , étude linguistique, p 18.

[328] محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الحجاج، ص 65.

[329] عبد الحميد هنداوي، أسلوب التكرار بين الدرس القديم والأسلوبية الحديثة دراسة تطبيقية ص 91.

[330] صلاح حسين: مدخل الى علم الدلالة، ص 236.

د- شبه التّكرار: أقرب إلى التوهم حيث تفتقد عناصر التكرار المحض ويكون في مستوى التّشكيل الصوتي ليحقق الرابط النصي.

وسنحاول في الجداول الآتية توضيح أنواع التكرار الذي ورد في نص الخطبة.

التكرار التام	عدد تكراره	التكرار الجزئي	عدد تكراره	تكرار المرادف	تكرار
أنفسكم	3 مرات	صبرتم- الصبر	مرتان	العدو-طاغية	واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا
نفسي	3 مرات	أعدادكم-العدو	مرتان		المهم ... بقتله
اعلموا	3 مرات	الأبطال- بطل	مرتان	الجزيرة-المدينة	ثقة منه بارتياحكم للطعان استماحكم بمجالدة الأبطال
الأبطال	مرتان	أقوات- أقواته	مرتان	الأبطال-الفرسان	ثواب الله على اعلاء كلمته
الجزيرة	3 مرات	حامل- احملوا	مرة	كلمته- دينه	واظهار دينه بهذه الجزيرة
طاغية	مرتان	حظكم- حظي	3 مرات	الحور- البنات	ذهبت ريحكم وتعوضت
هلكت	مرتان	حضه	مرتان	الطعان- المجالدة	القلوب برعبها منكم ...
ملوك	مرتان	أنفسكم- نفسي	مرتان	المقصورات-الرافلات	اعلموا أني أول مجيب حامل بنفسي على طاغية قومه
لكم	7 مرات	من دون- دونه	مرتان	أصهار- أختان	
أمركم	مرتان	أمر- أمركم	مرتان		

الممعن بالنظر في الجدول يتبين له انتشار أنواع التكرار بشكل متساو تقريبا وسنحاول دراسة كل نوع.

1.3 التّكرار التّام: جاء في الخطبة لتأكيد الوقائع وتثبيتها في ذهن السامع، فمثلا في قوله:

"واعلموا أنكم في هذه الجزيرة..."[331]

"واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق..."[332]

"واعلموا أول مجيب إلى ما دعوتكم... "[333]

[331]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
[332]- نفس المرجع.
[333]- نفس المرجع

جاء التّكرار التّام سعيّا من الخطيب إلى إقناع الآخر بدعاويه، فنجده في كل مرة يعود إلى نفس اللفظة حتى يعيد نصاعة الفكرة لدى المتلقي، ولأن طبيعة السامع تنجذب لكل أمر ورد على نفس الصورة. ضف إلى ذلك أن التكرار التام ورد في الألفاظ المؤثرة التي لابد من تكرارها بالصيغة نفسها حتى تؤدي غرضها الإعلامي وكذلك التّأثيري.

2.3 التّكرار الجزئي:

يتطلب هذا النوع من التّكرار "استخدام العناصر الأساسية للكلمة مع تغيير في صيغتها حسب مقولات الكلمة المتنوعة وبهذا الشكل يساعد التكرار على تنشيط المفاهيم"[334] وهذا ما سعت خطبة طارق بن زياد إلى تثبيته.

فقوله: " ... فليس لكم والله إلا الصّبر ..."[335] .

" ... واعلموا أنكم إن صبرتم ..."[336]

فغاية هذا التّكرار إلى جانب الوظيفة الإيقاعية المؤثّرة في السّامع، الاتساق الذي يضمنه للنص من خلال تكرار المفردات على مستوى العناصر الأساسية.

3.3 تكرار المرادف:

يقول البلاغيون: " إن التّكرار بالترادف يشد الانتباه إلى أهمية هذا الشيء المكرر في عالم النص ويعتبرونه نوعا من أنواع الالتفات ..."[337].

ونجد التّكرار بالتّرادف قد ورد في نص الخطبة بنسبة لا تقل عن باقي الأنواع الأخرى وهذا يدل على أن الخطيب يمتلك من الزاد اللغوي ما يضمن له إعادة المعنى بصياغة جديدة

334- صلاح حسنين، مدخل الى علم الدلالة، ص 243.
335- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
336- نفس المرجع.
337-صلاح حسنين، مدخل الى علم الدلالة، ص 264.

فقوله: "... ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه ..."[338] فإظهار الدين، هو إعلاء كلمته ولكنه وحتى يرادف من جهة ويبرز أهمية هذه المهمة من جهة أخرى اختار الكلمة للدلالة على الدين فالترادف خدم الاتساق النّصي وعمل على توصيل المعنى الدقيق للمتلقي وهذا يعود إلى تفطن الخطيب إلى المفردات التي تخدم أهداف الخطبة والمتمثلة في جلب انتباه السّامع والتأثير عليه وتقوية عزيمته.

3.4 تكرار المضمون بين جملتيّن متواليتيّن:

إن تكرار المضمون على مستوى الجمل يبدو جليا وواضحا في نص الخطبة وهذا الأسلوب يحتفي احتفاء خاصا بإعادة صياغة المعنى وإيقاعية التوازن اللذين يعكسان تفكيرا مطولا، تغلب فيه السلاسة والهدوء على الانتقالات المفاجئة أو السريعة"[339]وقد يقول والتراونجWALTERONG" ... ويميل التفكير المطول ذو الأساس الشفاهي إلى أن يكون إيقاعيّا بشكل ملحوظ لان الإيقاع يساعد على التذكر"[340] إن طارق بن زياد اعتمد على هذا النوع عند سبك الجمل والربط بينهما والمتأمل حالات هذا النوع يجد أن الجملة الثانية تميل غالبا إلى أن تكون أعم وأقوى في دلالتها من الجمل الأولى التي تشترك معها في الدلالة العامة. ومن أمثلة ذلك قوله:

" ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحتكم بمجالدة الأبطال"[341]

نلاحظ أن هذا النّوع له أهمية خاصة في دفع المعنى إلى درجة أقوى فالخليفة اختارهم لأنه يعلم أنهم لا يخافون الحرب ولا الطعان هذا المعيار الأول الذي أساسه تم الاختيار ولكنه ليس المعيار الأساسي كونهم محاربة ومبارزة الأبطال وهذا المعنى وصل من خلال تكرار المضمون الذي زاد من فاعلية الثانية على الأولى. أما المثال الثاني فقوله:

" اعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه... ".

---

[338]-طارق بن زياد، من نص الخطبة.
[339]- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 247.
[340]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[341]- نفس المرجع

نجد أن الخطيب يشرح الجملة الأولى من خلال الثانية وهذا ما يجعل الأثر أبلغ في النفس وأكثر إقناعا للمتلقي.

فالخطيب (القائد) حامل بنفسي على طاغية القوم" وفي هذا دفع وتحفيز للجند، فالتكرار بين الجملتين أدى وظيفتين فالإضافة إلى السبك وجه طاقة حجاجيّة تخدم موضوع الخطبة.

ويمكن القول أن التكرار وفر طاقة حجاجيّة، أحدثت أثرا في المتلقي الجند، وساعدتهم على تقبل أطروحة المتكلم (القائد)، ذلك لأنه تنوع بصفة حسنة وهذا التنوع خدم أهداف الخطبة، وترك آثارا في سلوك الجند، وهذا ما تروم إليه الخطبة، التي ألقاها "طارق بن زياد" على جيشه، محفزا إياهم للتغلب على جيش "لذريق".

4- أدوات التّأكيد في دورها الحجاجّي:

وهو "معنى" مستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية وغرض تواصلي يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإماطة ما خالجها من شبهات[342] وقد حدد الاستراباذي الغرض من التأكيد وجعله في ثلاثة أشياء.

1. أن يمنع المتكلم غفلة السّامع عنه.
2. أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين فلا بد أن يكرر اللفظ غفلة السامع عنه، أو ظن أن السامع ظن به الغلط فيه.
3. أن يدفع نفسه ظن السّامع به تجوزا[343].

وقد حفلت الخطبة بأنواع كثيرة من التأكيدات نحاول أن نبينها من خلال الأمثلة التالية:

التأكيد بإن: قال الزركشي: "إذا قصدوا مجرد الخبر أتوا بالجملة الفعلية وإن أكدوا فالاسمية ثم بها وباللام"[344] وذلك مثال قوله: "...ولأني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه.. "[345]

---

[342]- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 234.
[343]- رظي الدين الاستراباذي: شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تح، رحاب عكاوي، ج2، ص 377.
[344]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 405.
[345]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

أكد بالأداة (إن) لدفع الشك أو الظن بأنه ربما يتخلف عن الركب فقد جاء بهذه الأداة ليبعد عن ذهن المستمع الشك الذي قد يراوده في قائده والأمر نفسه في قوله: "... وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة"[346]

فالخطيب يسعى من خلال هذا التأكيد أن يفهم الجيش أنهم في مركب واحد ويواجهون نفس المصير فكونه القائد لا يعصمه من مواجهة العدو وجها لوجه.

وربما جاء بالقول التالي ليؤكد القول السابق، حين يقول:

"... وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي... "[347]

ففي هذا القول رد على كل تساؤل، قد يجول بخاطر الجند، وقد عمل هذا التأكيد على رفع معنويات المجاهدين، لعلمهم أن قائدهم سيتولى القضاء على قائد جيش العدو، ولم تتوقف سلسلة التأكيدات التي راح يعطيها ففي قوله: "... فإنهم بعده يخذلون... "[348] تأكيد آخر لدفع الريبة عن سامعيه، حيث يؤكد أن جند "لذريق" سيولون الأدبار، بمصرع قائدهم وهذا القول هو في حد ذاته دفعا للقضاء على هذا الطاغية فبقتله تنتهي المعركة ويحسم الأمر لصالح المسلمين.

وإذا كانت (إن) أقوى من التأكيد باللام "فاللام تفيد تأكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقوها في باب صدر الجملة كراهية ابتداء بمؤكدين ولأنها تدل بجهة التأكيد، وإن تدل بجهتين: العمل والتأكيد (....) وإذا جاءت مع "إن" كانت بمنزله تكرار الجملة ثلاث مرات لأن "إن" أفادت التكرير مرتين. فإذا دخلت اللام صارت ثلاثا"[349] كقوله: "... وإن انتهاز الفرصة فيه ليمكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ..."[350].

نلاحظ أنه أكد بمؤكدين (إن + اللام) وفي هذا دفع لإنكار المنكرين لفكرة الانتصار على جيش "لذريق" المتفوق عدة وعتادا ويمكن توضيح ذلك بالجداول الآتية:

---

[346]- نفس المرجع.
[347]- طارق بن زياد من نص الخطبة.
[348]-نفس المرجع، من نص الخطبة.
[349]- الزركشي: في علوم القرآن، ج3، ص 396.
[350]-طارق بن زياد: من نص الخطبة.

الجملة	عمل الكلام فيها	المفهوم
وأن انتهاز الفرصة فيه ليمكن إنسمحتم ...	ألفت انتباهكم/ أبين لكم/ أعلمكم أصرح بأنه	إذن عليكم بالتفكير في خطة تمكننا منه/ عندما تتضافر الجهود تحين الفرصة
فإن هلكت بعده فقد كفيتكم...	أخبركم أن قضائي على لذريق قد يهلكني أعلمكم...	إذن فالأحرى لكم أن تثقوا في كلامي فقد أكفيكم مشقة الحرب
فإن هلكت بعده فقد كفيتكم		

نلاحظ أنه ضاعف من درجة التأكيد ليصل بهم إلى الإذعان والتسليم بفكرة النصر على العدو.

والقصر هو أيضا ضرب من التوكيد وتكرير للجملة فهو عند بعضهم "توكيد مضاعف"[351] وهذا النوع أيضا نجده في الخطبة مثل قوله: "... فليس لكم والله إلا الصدق والصّبر... "[352]

زاوج بين القسم والحصر وفي هذا تأكيد لدفع الإنكار فلا يمكن أن ينتصر الجنود على الأعداء إلا إذا تحلوا، بالصّبر وهو أعلى مراتب الإيمان والصبر هنا بمعناه الواسع كما لا يمكن التوفيق إذا غاب الصدق في نيتهم، الصدق في طلب الشهادة ولقد عطف على الصبر وعيا منه بمدلولهما، وتأثيرهما في عقلية المجاهد الذي يطلب الشهادة بل يسعى للظفر بها.

وفي قوله: "... وأنتم لا وزركم لكم إلا سيوفكم ..."[353].

"... ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم ...".

"وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي ..."[354]

351- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 323.
352- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
353-طارق بن زياد: من نص الخطبة.
354- نفس المرجع.

إذا كان القصر تأكيدا كما سبق ذكره فيظهر إيفاد أنه العامل الرئيسي في ظهور حجاجيّة هذه الأقوال فتجريد الكلام من هذا النمط من التأكد من شأنه ّأن يفقده طاقته الحجاجيّة ويرده إلى طبيعته الإخبارية ومن هنا نفهم حرص الخطيب على انتقاء الأساليب المناسبة لتعمل على إشارة المتلقي والتأثير فيه سواء من الناحية النفسية أم العقلية.

لم تخل الخطبة من تأكيدات أخرى نذكر كمها على سبيل المثال لا الحصر، التّأكيد بالصفة فقد وردت في عدة مواضع كقوله: " وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة"[355](نعت جملة).

" ... ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس" **(نعت جملة).**

" فقد ألقت إليكم مدينته المحضة" (نعت للمدينة)[356]

"وقد بلغتكم ... الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات ... والحلل المنسوجة بالعقبان، المقصورات في قصور الملوك ..."[357]

قال ابن يعيش: "تجني الصفة للتّأكيد"[358].

نلاحظ أنه في كل الأقوال السابقة، يؤكد بالصفة ففي قوله: .. فقد ألقت به إليكم مدينته المحصنة .."[359]تنبيها لعناصر الجيش أن مهمة أصبحت أسهل بخروجه إليهم لأن اقتحام المدينة يصعب من المهمة ذلك لأنها محصنة ومعروف أن المدن المحصنة يصعب على الجيش دخولها. ثم يستعمل الصفة ليغري الجند ويحفزهم للإسراع بالنصر لأن ما ينتظرهم ".. الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقبان ..."[360]

355- نفس المرجع.
356-طارق بن زياد من نص الخطبة.
357- نفس المرجع.
358- بن يعيش: شرح المفصل، ج2 ص 76.
359- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
360- نفس المرجع.

حتى إذا كانت الصفة هنا "للمدح والثناء"[361]فإنها عملت على تحريك الرغبة في الفوز بالحور الحسان، وهذه طبيعة البشر التي تسعى إلى الاستحواذ على الأجمل والأحسن فالقائد يظهر من خلال خطبته معرفة بخبايا النفوس فيحاول أن يستغل هذا الجانب للتأثير والإقناع.

بالإضافة إلى الصفة نعثر على نوع آخر والمتمثل في العطف والمقصود هنا ما يقع بواسطة "الواو" فمن الكلمات والمركبات المعطوف بعضها على بعض ما يكرر بعضه بعضا من جهة المعنى بشكل يقترب من الترادف مثل قوله:

"... استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته ..."[362].

" ... عطف الجيش على الأسلحة وما الجيش إلا سلاح"

"... لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوةولا حملتكم على خطة أرخص فيها ..."[363]

نجد أن المعنى يتكرر فالمركب الأول يحمل نفس معنى المركب الثاني، فالخطيب يفصل بعد إجمال، وهو يدفع بالمتلقي إلى فهم الغاية من الخطاب، حتى إذا كان التسليم يكون عن دراية واقتناع، وهذا النوع من التكرير يزيد من القوة الحجاجيّة التي يسعى الخطيب إلى رفعها من خلال الأساليب المستعملة.

ونفس الأمر بالنسبة للقول الموالي:

"... ثقة منه بارتياحكم للطعانواستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان"

إن عطف المركبات من شأنه أن يفصل القول وفي هذا التفصيل شارات حجاجيّة تخدم القول وتثريه، فالارتياح للطعن هو نفسه الاستراحة بالمجالدة، ويمكن القول أن هذا العطف نوع من الصيغ اللغوية وخدم الخطبة من الناحية الحجاجيّة.

ومن المؤكدات الواردة في الخطبة البدل إذا يقول ابن السيد: "ليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه، بل من البدل ما يراد به التأكيد"[364] مثل قوله:

---

[361]- عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 422.
[362]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[363]- نفس المرجع.

"... من أمركم بمناجزة هذا الطاغية" (365)

"... وإظهار دينه بهذه الجزيرة ..."(366)

"حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق ..."(367)

نلاحظ أن البدل وظف لغرض التأكيد وهذا ما تسعى إليه الخطبة، فلفظة "طاغية" عملت على التأكيد وليس التكرير ...الخ.

ويتضح من كل ما تقد أن المؤكدات المذكورة تنهض بوظيفة حجاجيّة تتمثّل في تقديم هذه المسائل للمتلقي حقيقة عليه باعتبارها مسلمات ومقتضيات غير قابلة للنقاش والمجادلة.

5- الحذف ووظائفه الحجاجيّة:

هو إسقاط جزء الكلام أو كله، يقول الجرجاني في هذا الشأن "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى ترك الذكر أفصح عن الذكر، والصمت عن الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين (...) ورب حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد(368) تنوع الحذف في خطبة "طارق بن زياد" لاعتبارات نتناولها بالشرح والتفصيل وسنركز على بعض الأقوال على سبيل المثال لا الحرص كقول الخطيب "... البحر من ورائكم، والعدو أمامكم ..."(369)

حذف الخبر المتعلق بالمبدأ، وأصل الكلام (البحر موجود من ورائكم) و (العدو موجود أمامكم) "ولا يحذف المسند إلا إذا دل عليه دليل حالي أو مقالي"(370) فقد حذف الخبر احتزازا عن العبث في ذكره ولوجود المفسر (من ورائكم) (من أمامكم) فلو قال (البحر من ورائكم، والعدو موجود أمامكم) لوقع في التكرار الذي لا يخدم تناسق التركيب، ضف إلى ذلك أن هذا الحذف يعبر عن حالة من الضيق تحاشي الإفصاح عنها، بالتخفيف من بعض أجزاء القول،

---

[364]- عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 454.
[365]- طارق بن زياد من نص الخطبة.
[366]- نفس المرجع.
[367]- نفس المرجع.
[368]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز.
[369]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[370]- عبد الفتاح لاثين: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص 154.

حتى لا يصدر هذا القلق إلى نفوس الجند، ثم إنه لجأ للطباق (أمامكم / ورائكم) لأن الذهن عادة ما يلجأ إلى المتعاكسين، لتحديد المفهوم أو ما غمض عنه، وفي هذا دفعا لجعل المتلقي لا يشرد بأفكاره، ويتابع تسلسل الخطاب وهذا المسعى يرومه النص الحجاجّي.

أما النوع الثاني فيتمثل في حذف المبتدأ "فالمسند إليه ركن في الجملة والأصل فيه أن يذكر، فلا يعذر عن ذكره إلى الحذف إلا إذا كان في سياق الكلام قرينة تدل عليه وأفاد الحذف معنى إضافيا لا يستفاد عند الذكر"[371] كقوله: "... فقاتله إن شاء الله"[372] وأصل الكلام (فأنا قاتله) وقد حذف المبتدأ كون المسند لا يصلح إلا "لطارق" وفي هذا منحى حجاجي، أراد من خلاله طمئنته جنده قبل المعركة بأنه قادر على قتل هذا الطاغية، ويكفيكم عناء ذلك وفي هذا أيضا احتقارا لقائد جيش العدو ورفعا لمعنويات الجند وتحفيزا لهم على خوض غمار المعركة بكل بسالة والنوع الثالث فيتمثل في حذف المفعول به "إن المسند إذا ورد على صورة الفعل قد يتبعه قيود، من مفعولات وغيرها، وقد يتجرد منها. وكلما زادت فوائد الإسناد لأن المفعول هو ما وقع عليه الفعل(...) إذا أريد إثبات المعنى للفاعل من غير نظر إلى تعلقه بمفعول، ويكون المتعدى حينئذ كاللازم، قد يذكر المفعول لئلا يتوهم أن الغرض إثبات الفعل للفاعل من حيث تعلقه بمفعول"[373] مثال قوله: "فاحملوا معي، فان هلكت بعده ..."[374] غيب المفعول به لإثبات الفعل للفاعل على الإطلاق، وكذلك قصد التعميم في المفعول، فقد طلب مساعدة ومساندة جنده فهذا القول طي للمفعول والتركيز على الفعل والفاعل أي أن الأهمية انتقلت من المفعولية إلى الفاعلية وبالتالي نقل مركز الاهتمام في الجملة من موقع إلى موقع آخر وهذا الحذف شحن الخطاب بطاقة حجاجيّة تبعث على بعث الثقة في القائد والجند معا بحيث ساواهم بنفسه من خلال طلب العون مما يدل على الثقة التي وضعها فيهم، وقدرتهم على فتح الجزيرة والقضاء على "لذريق" .

371- نفس المرجع، ص 152.
372- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
373- صلاح حسنين: المدخل إلى علم الدلالة، ص 255.
374- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

6- التّقديم والتّأخير ووظائفهما الحجاجيّة:

يأتي التّقديم "على وجهين، الأول على نيّة التّأخير كخبر المبتدأ، إذ أخر عن المبتدأ، والثاني تقديم لا على نيّة التّأخير، ولكن على أن ينتقل الشيء من حكم إلى حكم، كتقديم المفعول على الفعل فيصبح فاعلا، ويكون الغرض الأساسي من التّقديم لدى النحاة هو العناية (....) ذلك لأن التّقديم لا يأتي لإبراز الفائدة في الكلام أو عدم الفائدة فقط وإنما يأتي لتمييز المعاني المختلفة التي تدور في ذهن السّامع"[375] وسنقدم أمثلة على هذا النوع كقوله:

"وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا ..."[376]

"... وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة ..."[377]

"... ولن يعوزكم بطل تسندون أمركم إليه ..."[378]

ففي المثال الأول قدم المفعول به (كم) على الفاعل (الوليد) لإبراز الاهتمام بالجند لقد آثار تقديم الجند على الخليفة وفيهذا تشجيعا لهم وإعلاء لمقامهم وأيضا ليصير الكلام حسنا متناسقا، ولو قال (وقد انتخب الوليد بن عبد الملك الجند) لصار القول عاريا من التناسق وخاليا من الطاقة الحجاجيّة التي يسعى المخاطب توصيلها إلى الجند الذين جاءوا من بعيد لفتح هذه الجزيرة وإعلاء كلمة الله على هذه الأرض. وبالتالي هم الأحق بهذا التقديم.

وكذلك الأمر في القول الثاني فقد قدم المفعول به (كم) على الفاعل (ما)، وفي هذا التقديم وظائف حجاجيّة تتمثل الأولى وهي الأهم والمتمثلة في المكانة التي يحتلها المجاهدون، فقد قدمهم على الخليفة لأنهم باعوا أنفسهم لله وثانيا في حصول دلالة التضمن (ما أنشأت) عوضا من الدلالة التصريحيّة وهذا أبلغ من الحجاج بواسطة الدلالة التصريحيّة، ضف إلى ذلك حرص المخاطب على عدم تشتيت انتباه المتلقي (الجند) وربطه بموضوع الحطابة.

---

[375]- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 75.
[376]-طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[377]- نفس المرجع.
[378]- نفس المرجع.

أما في القول الثالث فقد نقل مركز الاهتمام من موقع إلى آخر أي من الفاعل (البطل) إلى المفعول به (كم) وهذا النقل لمركز الاهتمام منطقي جدا لأن المجاهدين باعوا أنفسهم لله، وفي هذا قوة اقناعيّة تؤدي بالمتلقي إلى التأثر والاقتناع وتبني أفكار الخطيب.

ثم إننا نجد نوعا آخر من التقديم نلمسه في قوله:

"... وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم بأنفسكم للموت"[379]

المعلوم أن فعل الشرط يتقدم جواب الشرط ولكننا نلاحظ في هذا القول تقدم جواب الشرط (وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن) الخطاب يهدف إلى إقناع المتلقي بوجهة نظر معينة وحمله على السير في طريق رسمها الخطيب وحتى يتسنى للخطيب استمالة المتلقي قدم جواب الشرط تحفيزا له، ومراعاة لطبيعة البشر التي تنفر من الموت. فلو قدم فعل الشرط (إن سمحتم بأنفسكم للموت) لأجهض عملية التقبل والإقناع، لأن المقام يستدعي التحفيز والتذكير بالفرص المتاحة للتغلب على العدو، وترسيخ فكرة النصر بل الإيمان بها، ولهذا قدم جواب الشرط ليكون أول ما يطرب سمع المتلقي، فيقبل على المعركة متسلحا بهذا الإيمان، ففي التقديم طاقة إقناعيّة يفرضها الخطاب.

7- الأساليب الإنشائيّة وقيمتها الحجاجيّة:

اصطلحت الأساليب الإنشائيّة بدور هام في العملية الحجاجيّة، إذ كثيرا ما تبنى الحجة بأسلوب إنشائي، وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائيّة حججا قائمة الذات بما توفره من إثارة وما يستدعيه من عواطف وأحاسيس، ذلك لأن الأساليب الإنشائيّة خلافا للخبرية لا تنقل واقعا، ولا تحكي حدثا فلا تحتمل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، وإنما تثير المشاعر، وتشحن من ثمة طاقة حجاجيّة هامة، لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم غليها الخطاب الحجاجّي وهو ما أكده "أوليرين" في قوله "الأمر والتهديد وإثارة مشاعر الخوف كلها حجج لأنها دون أن تحدد أليا الموقف توفر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف.[380] ومن أهم الأساليب الإنشائيّة.

[379]-طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[380]- محمد العمري: بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 102.

1.7الاستفهـــــــــام:

حظي السؤال منذ الفلسفة اليونانية باهتمام كبير (....) وقسما أكد سقراط أن عمليّة التفلسف لا تعدو أن تكون طرحا لأسئلة، لا تبحث عن أجوبة بل تحاول الكشف عن الجواب المتوهم لدى المخاطب (....) وقد جعله أرسطو تابعا للجدل ووجها من وجوهه المتعددة. وقد أعاد المحدثون النظر في قضية المساءلة لأسباب كثيرة، وحاولوا تقديم إضافات تنطلق من قراءة جديدة لتاريخ الفلسفة من أبرز هؤلاء "ميشال مايير(Michel Meyer)الذي قدم في كتابه الموسوم De la problématologieنظرية المسائلة (التي تعنى بدراسة المساءلة)[381].

إن السائل متى طرح سؤالا دعا المتلقي إلى اتخاذ قرار بل إن الجواب حتى وإن علم السؤال الذي هو مصدره يثير السؤال[382]زمن هنا ندرك أهمية المساءلة من الناحية الحجاجيّة إذ لما كان الكلام إثارة السؤال أو استدعاء له فإنه يولد بالضرورة نقاشا (...) على هذا النحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب، إنها وسيلة هامة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلىفعلان موقفه، إزاء مشكل مطروح[383] وهذا ما جسده السؤال الذي افتتح به الخطيب خطبته، دفع المتلقين إلى الإعلان عن موقف معين إزاء المشكل الذي يتواجد فيه الجيش، والمتمثل في كيفية التصدي لجيش العدو.

فقوله: "... أيها الناس أين المفر؟ ..."[384]

فالموقف الذي ينبغي على المتلقي إعلائه قد حددته جملة من الألفاظ و القرائن النصية. كالبحر من ورائكم – العدو أمامكم – الضياع – جيش – عدو – أسلحة الباحث يدفع المتلقي إلىالإقرار بالمأزق الذي هم فيه، فلا جدوى من محاولة العودة إلى الوراء، لأن البحر يشكل عائقا ولا يملكون وسائل العودة إلى الوراء، لأن البحر يشكل عائقا ولا يملكون وسائل العودة لأن الخطيب أو قائد الحملة قد أحرقها، ولقد اعتمد رابطا حجاجيّا ونعني به أداة الحصر إلا التي وجهت القول كله إلى ما جاء بعدها وتدفع المتلقي إلى تبني الموقف المحدد إثرها، "على

381- م علي القارصي: مقال البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لمايير ميشال، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 394.
382- نفس المرجع ص 395.
383- نفس المرجع ص 396.
384- طارق بن زياد من نص خطبته.

أن طاقة السؤال الاقناعيّة تنبي في أغلب الأحيان على الضمني لا على المصرح به وهو أمر تعرض إليه ديكرو حين بين أن الافتراضات الضمنية في بعض الأسئلة هي التي تجعل الاستفهام أسلوبا حجاجيّا لأن أية إجابة مهما كان نوعها لا بد أن تسلم بتلك الافتراضات بل تقر ضمنيا بصحتها[385] وهذا ما نلمسه في نص الخطبة فبعد السؤال قدم القائد الحل ضمنيا في قوله: "فليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام ..."[386]على هذا ندرك قدرة السؤال على الاضطلاع بدور حجاجي مع تعويل السائل على الضمني وبالتالي يوجه المتلقي إلى ما يرمي إليه ويثير عاطفته وهذا ما سعى حجاجي في الخطبة التي نحن بصدد تحليلها.

2.7الوظيفة الحجاجيّة لأسلوبي الأمر والنهي:

اهتم الدارسون "بالفعل وعلاقته في إطار الحجاج اللغوي إيمانا منهم بأن اللغة كما يقول برلمان ليست وسيلة تواصل فحسب بل إنها أيضا أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع"[387] وأبرز من بحث في الأفعال وعلاقتها بالأقوال أو ستين (AUSTIN)إذ أكد أنه لا يمكن الحديث عن قول في صورته المجردة بل إن كل قول له غاية عملية ما، وهو في ذاته عمل نقوم به، لذلك يسميه أوستين بالعمل القولي (acte locutionnaire)غير أننا نجد أقوالا كثيرة، تهدف بالأساس إلى صياغة واقع جديد، وتكون هذه الأقوال عادة بين حضور طرفي الخطاب، في المكان والزمان فبمجرد صياغة القول يحدث فعل ما، وهو ما يسميه أوستين بالعمل اللاقولي(acte illocutionnaire)ومن ثمة تنتهي إلى أنه لا يوجد قول نقوله إلا وهو يحمل عملين: عملا قوليّا وعملا لا قوليّا.[388]ومنه يمكن القول أنه لا حديث عن قول منفصل عن القول نفسه قد يكون فعلا خاصة إذا كنا بإزاء خطاب حجاجي يسعى إلى الإقناع وهذا الأمر يبينه قول طارق بن زياد: "اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام..."[389]

385- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 206.
386- طارق بن زياد من نص الخطبة.
387- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 174.
388- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ص 163.
389- طارق بن زياد من نص الخطبة.

الخطيب ينقل لنا واقعا جديدا، أصبح يعيشه رفقة جيشه وذلك عن طريق الفعل "اعلموا" فهو يبين ويشرح الوضع الذي هم فيه، لكم سرعان ما يتحول من نقل وإخبار إلى صنع وانجاز، انجاز لواقع طارئ ونلمس ذلك في قوله: "فادفعوا عنكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية"[390]بمعنى التصدي لهذا الطاغية بكل الوسائل المتوفرة حتى وإن كانت ضئيلة فالمواجهة هي الحال الوحيد، حتى لا تذهب ريحكم ويستسهلكم العدو.

والفعل "ادفعوا" يحمل طاقة حجاجيّة هامة لأنه ينجز واقعا خاصا ويبني بالكلام عالما متميزا.

وفي الإطار ذاته نجد المدح يتوجه الخطيب إلى جيشه معلنا أنهم نخبة الجيش الإسلامي ولهذا خصهم الخليفة بهذا الشرف العظيم الذي يتمناه كل مجاهد حيث يقول:

"... وقد انتخبكن الوليد بن الملك، أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ..."[391]

فالفعل "انتخبكم" يجسد واقع المدح والإقرار بأفضلية هؤلاء المجاهدين فهو يعلي من شأنهم وهذا له علاقة وطيدة بالحجاج، إذ ليس هناك أبلغ من صياغة هذا الواقع في الإقناع، بصدق المديح، والاستدلال على أحقيتهم في الفوز بمغانم الجزيرة، وبالتالي حملهم على تقبل خطاب القائد واحتضان الأفكار.

"إن توجيه الخطاب إلى المتلقي إما له بالفعل، أو نهيا لع عن ذلك يحمل طاقة حجاجيّة"[392]وفي الأسلوبين الأمر والنهي طاقة حجاجيّة لأن "الأمر والنهي أسلوبان إنشائيان ينتميان إلى صنف الأفعال التي وسمها أوستين (actes perlocutionnaires) أي الأقوال التي فيها انجاز لأفعال معينة ولكنه انجاز ضمني لأن صيغتي الأمر والنهي تحملان معنى الدعوة، ومن ثمة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك

---

[390]- نفس المرجع.
[391]- نفس المرجع.
[392]- أبو بكر العزاوي: الحجاج واللغة ص 121.

معين[393] ففي قوله: "اعلموا أنكم إذا صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه أوفى من حظي ..."[394] .

حكمت الصيغة الأمر والنهي هذا القول ومثلتا دعوة واضحة إلى تبني جملة من القيم وتحويلها إلى أفعال ومواقف وهي قيم نبيلة ومتعارف عليها كالصبر من اجل تحقيق غاية سامية ولكن الأهم من ذلك أن مجرد قيام الخطيب آمرا وناهيا، له قيمة حجاجيّة فمن أعطى نفسه حق الأمر والنهي، هو بدون شك مطلعا على خبايا الأمور، فكان بالتالي حقيقيا بالطاعة، وهو أمر يعيه "طارق بن زياد" بدليل قوله: "واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه"**[395]**والخطبة تزخر بهذا النوع من الأفعال التي صاغها بطريقة تحمل السامع على الإقرار بصدق الدعوة ومن أمثلة ذلك.

"فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ..."[396]

فالدعوة المدبرة عنها بالفعل "احملوا" تعبر عن صدق العاطفة والحاجة الماسة إلى المساعدة فقد تحول الطلب إلى طاقة اقناعيّة هامة، خاصة وانه قدم نفسه عليهم وكيف لا وهو قائد الحملة. وكذلك قوله:"... فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة ..."[397].

نلاحظ في كل مرة أن الخطاب يرتقي في درجة الإقناع والتأثير وهو ما يبينه الأفعال – أخلوني– احملوا – اكتفوا – فهو يدعو بإلحاح إلى القضاء على لذريق وفتح الجزيرة لأن هذا الأمر فيه تمكين لدين الله لإذن الخطاب يتوجه إلى قلوبهم ليؤثر في سلوكهم.

كما إن الأمر والنهي نابضات بالإثارة، قادران على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي، من انفعال كبقية الأساليب الإنشائيّة، كالتمني والدعاء، والقسم ...الخ.

---

[393]- محمد العمري: بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 67.
[394]- طارق بن زياد من نص الخطبة.
[395]- نفس المرجع.
[396]- نفس المرجع.
[397]- نفس المرجع.

8-الاستعارات المجازية والفعل الحجاجّي في الخطبة:

أولت الدراسات اللسانية المعاصرة الاستعارة، مكانة خاصة، في تحليل الخطاب، وخاصة في الخطاب الحجاجّي، باعتباره آلية تساهم كباقي الآليات في بناء القول الحجاجّي من مختلف النواحي الحجاجيّة، وذلك بغية التأثير والإيقاع.

1. انطلق الأصوليون العرب لفهم المعاني والدلالات اللغويّة، من حقل "تداولي" يقوم على الاستعمال فنظر إلى الظاهرة اللغوية من خلال حقيقتين[398]

أ- الحقيقة الوضعية وهي اللفظ المستعمل أولا فيما وضع له.

ب-الحقيقة المعرفية وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له، في عرف الاستعمال فأطلقوا المجاز وهو يعني كل انتقال من معنى إلى آخر لما بين المعنيين من تعلق. وتكون المزية إثبات وجه الشبه وهذا ما عرف عند البلاغيين أيضا بالمجاز ويقول الجرجاني: "الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكم بذلك اللفظ على معناه الذي يقضيه موضوعه، في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر الكفاية والاستعارة والتمثيل أولا ترى أنك إذا قلت في المرأة "نؤوم الضحى" فإنك تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ على المعنى الذي يوحيه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من "نؤوم الضحى" في المرآة أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، وهو تعريف دقيق يميز بين ظاهر اللفظ وخفية ..."[399]

إن الاستعارة باعتبارها مجازا، تقوم على الجمع بين شيئين أو فكرتين انطلاقا من العلاقة الشبيهة من أجل تقديم صورة جديدة، أو مخترعة تتدخل فيها عملية التّخييل والإبداع "ذلك لأن الاستعارة عند قدمائنا العرب المتنورين ليست فقط زخرفا أو نقشا لتزيين الكلام، ولكنها فن لغوي تداولي يعطي للقول قوته الدلالية، وإصابته النفسية تأثيرا، وانفعالا واستحسانا"[400]

398- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 112.
399- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص 301.
400- محمد عمران: حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي، ص 67.

وإذا كان هذا شأن الاستعارة عند العرب فإنها عند الغرب "تركيب لساني سليم، تمثل خصوصية منطقية، ليست دائما كاذبة وتتميز عن عمليات المشابهة أو المماثلة لكونها تلتزم بوجود خصوصية مشتركة للقضايا المطروحة.

كما تتميز بكونها متغيرا يختلف من شخص لآخر، ولا يمكن الإتيان بمعادل لمعناها، لأنها أصلا تستعمل في الحالات التي يستطيع قول آخر أن يؤدي نفس المعنى، ونفس التّأثير "[401]

وبين سوزل وايكو أن الاستعارة "لا تؤسس علاقة تشابه بين مرجع ومرجع ولكنها تؤسس علاقة مقارنة بين محتويات التعابير المختلفة ومن ثم فهي لا تعوض بتعابير لسانية أخرى، لكنها تضع في المقابل تعبيرين متمايزين حاضرين في التمظهرات الخطية للخطاب موضع تفاعل"[402].

انطلاقا من المفاهيم والتعريفات السابقة يمكن القول أن الاستعارة تعد آلية حجاجيّة فإذا كانت الاستعارة الشعرية تتملك السامع أكثر مما ترغمه، فإن الاستعارة الحجاجيّة تكون أكثر قهرا واقتصارا"[403] وقد بين طه عبد الرحمن بأن وظيفتها داخل الحجاج تكمن في إضافة شيء جديد، هو تكثيف القول انطلاقا من بعض الصور المجازية، لكي بشكل قوة في المعنى والبيان حتى يتسنى للمتكلم من خلال هذه القوة تمرير موافقته وأطروحته"[404] ويذهب جورج لايكوف في كتابه "الاستعارات التي نحيا بها إلي" أن الاستعارة من أكثر الوسائل الأسلوبية رواجا في كلام البشر والإنتاج الأدبي"[405] ويمكن القول أن الاستعارة المكنية احتلت حيزا لا بأس به في حقل التصوير وهي أكثر ورودا من الاستعارة التصريحيّة نظرا إلى اختفاء المشبه به وحلول شيء من لوازمه حيث نجد المتلقي في هذا اللون من التصوير فاعلا وايجابيا يعمل الذهن، ويمد النظر لتأليف الهيئة الحاملة لظلال الصورة الفنية، ذلك أن المتلقي في الاستعارة التصريحيّة يتلقى الفكرة جاهزة مكتملة العناصر، وأما في الاستعارة المكنية فغنه يحتاج أن

---

[401]- Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique. ED P 60.

[402]- I Dib p 155.

[403]- I Dib p 349.

[404]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكثر العقلي، ص 304.

[405]- جورج لايكوف: الاستعارات التي نحيا بها، تر محمد عبد الجليل العريض، ص 21.

يعمل ذهنه ليكمل العناصر الناقصة من الصورة، فكأنه يشترك مع المرسل في إكمال أجزاء الصورة.

وإذا نظرنا إلى استعارا "طارق بن زياد" وجدناه أميل إلى إخفاء المستعار وإحلال بعض لوازمه محله، حتى يجعل الخطاب أكثر عمقا، وإيحاء وتأثيرا في السامع. كما في قوله:"... وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ..."[406]شبه الأيام بشيء مادي يمتد وحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه (يمتد) ولقد اختار [الامتداد – امتدت] لما فيه من طول الوقت والانتظار، والقلق الذي ينتاب الجند مع انتظار المجهول، وفي هذا اللفظ قوة تعمل على تحريك النفس.

فالاستعارة عملت على تكثيف القول لأن القائد لم يشرح ولم يفصل بل ترك المتلقي يمعن التفكير ويقلب الأمر على جميع الأوجه حتى إذا ما وصل إلى نتيجة معينة تكون أوقع وأكثر تأثيرا من تلك الجاهزة.

وكذلك في قوله: "... فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة ..."[407]

في كل مرة يحذف المشبه به ويخفيه حتى يكون الوقع أشد لقد شبه العاقبة بأمر مادي يمكن دفعه وفي هذا الربط بين الخذلان والعاقبة تحريكا للخيال ليتصور ما مدى مأسوية هذه العاقبة. إذا لم يسعى الجند لدفعها، لقد عرف كيف يحرك مخيلة السامع، ويسمو به من حقيقة الواقع إلى فضاء الخيال، انطلاقا من عمليات ذهنية تقوم على التأويل وبهذا الأسلوب استدرج الخطيب متلقيه بشكل غير مباشر وأثار انتباههم إلى ما يقوله، وما يريد الوصول إليه.

والقول الاستعاري انتشر بطريقة مكثفة في الخطبة مما يدل على أن القائد يسعى إلى ترك المجال مفتوحا أمام التأويلات المختلفة للسامع حتى يشرك سامعيه فيما يذهب إليه وبالتالي يؤثر فيهم وهو ما نلمسه في قوله: "... وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ..."[408]حذف المشبه به وأفصح بأحد لوازمه (سمحتم) فقد شبه النفس بالشخص الذي يسمح له بالتصرف ولكن السماح للنفس لا يكون بالموت بل بأمر آخر، وهذه

406- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

407- نفس المرجع.

القاعدة يمكن أن نصفها بالحجاج الخاطئ فهو يومهم بالشيء ويقصد غيره، ويمكن أن تحدث في نفس المتلقي ثغرات في الاستقبال، سببها بنية الصياغة، وظرف الخطاب وينتج عنه:

- هل المحارب لا يسمح لنفسه بالموت.
- هل الموت كائن حي؟ أم مبتغى المقاتل المسلم/ الشهادة ...

كما نجد قوله: "... ثقة منه بارتياحكم للطعان ..."[409]

فالعادة أن لا يرتاح الإنسان للحرب ولكن القول جاء ليحدث نوعا من الصدمة قصد التأثير في المتلقي

وأيضا قوله: "... وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية ..."

وأيضا: "... ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته ..."

"... وإظهار دينه بهذه الجزيرة ..."[410].

لقد وظف الخطيب الاستعارة في خطبته بشكل ملفت للنظر فإلى الجانب البعد الجمالي الذي أضفته على الخطبة عملت على تقويه المعنى وتمكينه.

لقد أراد من وراء استخدامه للاستعارة تجسيد المعنوي وإعطائه أبعاد والمادية محسوسة حتى ليمكن رؤيته أمام ناظريك، فهو يجسد الفكرة الذهنية ليسهل على العقول إدراكها بمساعدة الشعور والخيال، فالصورة إذن لا تخاطب العقل، وإنما المشاعر والخيال، ومحاولة إشغال الشعور بإعادة تركيب الصور التي تثيرها لديه، "إنها تستخدم في الغالب للتذكير بالمشاعر العاطفية المقترنة عند المتلقي[411] وهذا كله يتوافق مع أرسطو الذي اعتبر الاستعارة بمعناها عنصر إغراب، يحدث الهيبة والعجب يقول: "وإنما كانت الألفاظ المغربة تعطي في المعنى أمرا زائدا لمواضع الغرابة فيها، فإنه كما يعرض لأهل المدينة أن يتعجبوا من الغرباء

408- نفس المرجع.
409- طارق بن زياد من نص الخطبة.
410- نفس المرجع.
411- حسني الصديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ص 295.

الواردين عليهم، وتخشع لهم أنفسكم، كذلك الأمر في الألفاظ الغريبة عند ورودها على الأسماع"[412] وإذا كانت الخطبة تزخر بالاستعارات، فإنها لم تخل من المجاز المرسل ولقد ذهب بعض اللغويين إلى أن "أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"[413] ففي قوله:"... تعوضت القلوب برعبها منكم الجرأة ..."[414]أراد بالقلب الشخص، والقلب هو أهم ما في الإنسان، فلقد أعطى الجزء، وأراد الكل فالمجاز في هذا التركيب ربط بين الجمال والإقناع لأن المعنى يحتاج إلى جمال يوشيه، ويحفظ له رونقه ويدعم فعله، كما نجد المجاز المرسل في قوله: "... ألقت إليكم مدينته المحصنة ..."[415] فالعلاقة في هذا المجاز علاقة محلية أراد الخطيب من خلالها التأثير في المتلقي، بأن المدينة نفسها ألقت بهذا الطاغية للقضاء عليه، والتخلص منه خارج أسوارها المحصنة وفي هذا دفعا معنويا للمجاهدين، فالمجاز حمل القول طاقة حجاجيّة تفقد لو كان القول مباشرا عاديا، إلى جانب المجاز المرسل نعثر على صورة بيانية ثالثة والمتمثلة في التشبيه.

يرى عبد القاهر الجرجاني أن "الشيئين إذا أشبه احدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأول، والآخر أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول[416] وهذا نلمسه في قول الخطيب "اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام"[417]شبه صورة الجيش في هذه الجزيرة البعيدة كصورة أيتام في مأدبة اللئام الذين لا يكترثون لأمره وكان مقصده في ذلك إقامة الحجة على متلقي الخطاب عبر تقريب المعاني وتجسيدها لأن ظروف الحرب تتطلب أن يبرر الخطيب الصورة في أوضح مظهر مشبعة بأبين دلالة، فلا أبلغ من صورة اليتيم عند اللئيم، أراد بهذا التشبيه التمثيلي تحريك مشاعرهم والتأثير فيهم بل ودفعهم إلى التفكير في تغيير الوضع وترجيح الكفة لصالحهم على أنه ليس التشبيه الوحيد الذي عثرنا عليه في نص الخطبة فهناك قوله: " ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ فيها بنفسي ..."[418]هذا الأسلوب بتجرده من الأداة يتميز بالمطابقة التامة بين المشبه والمشبه به وبخلوه من وجه الشبه يتميز

412- محمد العمري : في بلاغة الخطاب الاقناعي ص 124.
413- علي عمران: حجاجية الصورة الاقناعي ص 131.
414- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
415- سامية الدريدي: الحجاجفي الشعر الجاهلي ص 269.
416-.نفس المرجعص 270
417- طارق بن زياد : من نص الخطبة.
418- نفس المرجع.

بإجمال التقريب بينهما مما يسمح باعتبار التشبيه البليغ أسمى درجات التشبيه وباعتماده هذا التركيب دفع بالمتلقي إلى تقبل أطروحته وهذا مسعى حجاجي واضح في الخطبة.

التشبيه الذي اعتمده طارق بن زياد، وسيلة تأثير وإقناع مهمة غرضه التوضيح والإفهام والانتقال بالمعنى من الإجمال والعموم إلى التفصيل والتخصيص وبالتالي يهيمن على فكر المتلقي ومن بين ما استرعى انتباهنا في وضعها في المواضع الملائمة لها.

ويمكن إجمال القول في موضوع الاستعارة والذي نعني به كل أنواع التشبيه وكل أنواع الاستعارة أنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه المتلقي إلى وجهة للخطاب محددة ومن ثمة تحقيق أهدافه الحجاجيّة.

8- المحسنات البديعية ودورها الحجاجّي:

يستعمل المرسل "أشكالا لغوية بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية ولكن لها دورا حجاجيّا لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد ..."[419] والبلاغة العربية "مليئة بهذه الصور والشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها وإن كان لا يمنع المخاطب من أن يبدع كيفما شاء"[420].

وإذا أدركنا أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب، تقوم على عمليات التفريق والإثبات مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها اصطناعا للتحسين والبديع وإنما أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ... "[421]

وإذا تفحصنا نص المدونة وجدنا بعض المحسنات البديعية كقوله "...البحر من ورائكم والعدو أمامكم ..."[422] فطباق الإيجاب أعطى صورة واضحة للموضع الذي يتواجد فيه الجند، بل أكثر من ذلك فقد عمل الطباق على تجسيد صعوبة الموقف وحساسيته، فالبحر وراء

419- عبد الهادي بن ظافر الشهدي: استراتيجيات الخطاب، 307.
420- نعمان بوقرة، تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي، ص 91.
421- علي عمران، حجاجية الصور الفنية في الخطاب الحربي، ص 89.
422- طارق بن زياد، من نص الخطبة.

الجند فلا عودة لأن سفنهم أحرقت، والعدو أمامهم بأسلحته الموفورة أمام قلتهم وضعف أسلحتهم فما كان ليصل هذا الإحساس لولا الطباق الذي وظفه الخطيب للرفع من درجة الحذر والاستعداد فالصورة البلاغية ذات قيمة حجاجيّة "إذا أحدثت تغيير في الرؤية وكذا إذا بدا استعمالها طبيعيا في الموقف ..."[423].

ونجد الطباق أيضا في قوله: "... إن صبرتم على الأشق القليل استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا ..."[424] فالطباق "ليس بالضرورة ترفا لفظيا فحسب بل تعبير في أكثر الأحيان عن حركة نفسية متوهجة، وصراع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، بين الراهن والمتوقع ... فكثرة المعارضات تشف عن غليان داخلي ورفض للأمر الواقع"[425] فالخطيب حاول أن يبعث الأمل في المستقبل وما يحمله من نعيم ورغد في الحياة، فلجأ إلى الطباق الذي عمل على إقناع المتلقي، أن الشقاء مدته قصيرة، بينما النعيم سيكون أطول، والطبيعة البشرية تروم الدائم على الزائل في كثير من الأحيان.

ومن المحسنات البديعية التي نعثر عليها في نص الخطبة السجع، الذي يطالعك من بداية الخطبة إلى آخرها ورغم ذلك لا نشعر بالتكلف الذي نجده في بعض النصوص النثرية، على العكس تماما فقد أضفى على نص الخطبة نوعا من القوة والحماسة وعمل على رفع درجة التأهب والاستعداد لمواجهة العدو.

ففي قوله: "... البحر من ورائكم والعدو أمامكم ..."[426]فالسّجع وقع بين (ورائكم وأمامكم) وهو ما يسمى "بالمتوازي" وقوله أيضا "أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام..."[427] جاء السجع "مطرفا".

وأيضا "إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفة طويلا ..."[428]فنلاحظ أن تغير شكل السجع من فقرة إلى أخرى ينم عن مدى تحكم الخطيب في مثل هذا النوع من المحسن.

423- عبد الهادي بن ظافر الشهدي: استراتيجيات الخطاب، 319.
424- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
425- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ذيب، علوم البلاغة، ص 26.
426- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
427- نفس المرجع.
428- نفس المرجع.

فقد جاء مرة قصيرا ومرة أخرى متوسطا ومرة ثالثة طويلا مثل قوله: "... وقد بلغكم ما أنشأت... ذوي التيجان"[429].

وكذلك قوله: "وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان ... الفرسان ..."[430].

429- نفس المرجع.
430- نفس المرجع.

تقنيات المحاجة في الخطبة على ضوء أنواع الحجج

توطئـــــــــــــة:

إن الحديث عن بنية الحجاج في أي خطاب حجاجي يعني بالضرورة النظر في مختلف التي وظفها المحتج لغاية الإقناع أو الحمل على الإذعان، وكمعرفة البنية الحجاجيّة في خطبة "طارق بن زياد" اعتمدنا تصنيف برلمان وتيتكاه في كتابهما "الخطابة الجديدة" والذي شرحه ووضحه عبد الله صولة "في مقاله المذكور في كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" وتبين أنه يمكن رد حجة ما، إلى أكثر من تصنيف وذلك لانفتاحنا على أكثر من تأويل ولطبيعة الحجاج البعيدة عن الصرامة والدقة اللتين لا تظفر بهما إلا في مجال البرهنة العلمية.

وهذه الأصناف الكبرى هي التالية:

1. حجج شبه منطقيةArgument qusi-logiques
2. حجج تؤسس على بنية الواقع Argument fondés sur la structure du réel
3. حجج تؤسس بنية الواقعArgument fondant la structure du réel
4. حجج تستدعي القيمArgument fondés sur les valeurs
5. حجج تستدعي المشتركArgument basés sur le commun

1- الحجج شبه المنطقية:

إن الحجاج في جوهره ينبذ قانون "الكل أو لا شيء" أي يرفض الصرامة في ضبط الحدود والفروق، ويجد في المنطقة الوسطى المتسمة بالغموض تربة خصبة ... فحقيقة هذه الحجج أن كل حجة منها تستند إلى مبدأ منطقي، كالتطابق أو التعددية، أو التناقض يقول "برلمان" موضحا هذا الأمر "إنها حجج تدعي قدرا محددا من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية، أو الرياضية ومع ذلك فان من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية لأن جهدا يبذل في الاختزال، أو التدقيق يسمح بمنح هذه الحجج مظهرا برهانيّا، ولهذا السبب ننعتها بأنها شبه منطقية[431] ويذهب برلمان في هذا المجال إلى أن من يعتمد حججا شبه منطقية في خطابه الحجاجّي، قد يحاول أحيانا إظهار الاستدلال المنطقين الذي تعود إليه الحجة مفتخرا بطابعها المنطقي محاولا توظيفه للإقناع وقد يخفي أحيانا كثيرة مرجعه الاستدلالي بحيث يشكل النسيج الداخلي للحجة[432] ويمكن القول أن الحجج شبه المنطقيّة تنقسم إلى فرعين: حجج شبه منطقية تعتمد البنى المنطقيّة كالتناقض والتعددية... وحجج شبه منطقية تستند إلى العلاقات الرياضية كإدماج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له[433] .

1.1 الحجج شبه المنطقيّة التي تعتمد البنى المنطقيّة:

التّناقض وعدم الاتفاق: إن التناقض الصارخ من قبيل أبيض/أسود نادرا جدا في الحجاج، فالخطاب الحجاجّي قلما يلتجئ إلى الاستدلال بالخلف (par l’absurde) ولكنه يحتفل احتفالا واضحا بعدم الاتفاق (incompatible) إذ يدفع الحجاج أطروحة ما مبينا أنها لا تتفق مع أخرى[434] وإن لم نجد هذا النوع من التناقض وعدم الاتفاق في الخطبة بشكل صريح فإننا نلمسه من خلال المقابلة بين مبدأ أو فكرة ونتائجها ومثال ذلك قول طارق "أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس

431- محمد العمري: بلاغة الخطاب الاقناعي، ص144.
432- سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 192.
433- نفس المرجع ص 194.
434- محمد العمري: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، ص 174.

لكم والله إلا الصدق والصّبر... وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم... "[435].

فهو يبرر الحاجة إلى مواجهة العدو، وهو نقيض مبدأ السلم وحجته في ذلك مقابلة يجريها بين هذا المبدأ ونتائجه السلبية، فهم إن استسلموا ولم يقاوموا كانت نهايتهم على يدي "لذريق" وجنده ذلك لأن كل أسباب القوة هي لصالح الطرف الآخر وعلى هذا النحو لا يبدو التقابل أو عدم الاتفاق منطقيا خالصا وإنما صنعه الخطيب ليبرر موقفا أو رأيا، ولذلك يقول برلمان: "حالة عدم التوافق هذه تتوقف على قرار شخصي فتبدو أبعد ما يكون عن التناقض الصوري لأن انعدام التوافق لا بفرض نفسه بل يفرض ولذلك يظل الأمر قائما في أن ينفيه عند الإقضاء قرار جديد"[436] .

وقوله أيضا: "... ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم"[437].

يبدو هذا القول في ظاهره منطقي ولكن الأقوات هي ملك للأعداء والاستيلاء عليها يعد من باب التعدي على ممتلكات الغير ولكن الخطيب يبرر هذا الفعل لكونهم غرباء لا يملكون ما يحفظ حياتهم، وبالتالي مشروعية هذا الفعل.

الحجة القائمة على العلاقة التبادليّة: يقضي مبدأ "التماثل" قاعدة في التعامل مع المتماثلين في "العدالة" أي في التعامل مع العناصر المنتمية إلى صنف واحد بكيفية واحدة ولذا نتحدث عن المبادلة أو التبادل وهي علاقة منطقية خالصة غير أن الحجة تظل شبه منطقية فحسب لأنها إسناد للحكم ذاته إلى أمرين ندعي أنهما متماثلان"[438] فقد ماثل الخطيب بينه وبين جنده حين أكد أن ما يجري عليهم يجري عليه في قوله: "ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها

---

[435]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[436]- شكري المبخوت: الحجاج في اللغة ضمن مصنف "أهم نظريات الحجاج" ص 307.
[437]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[438]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 201.

النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي ..."[439]وهو قول في ظاهره مقنع يحتكم إلى مبدأ منطقي هو "المعاملة بالمثل" ولكن يكفي أن يشكك الجند في هذا القول لتنهار الحجة ونلاحظ أن "طارق بن

زياد" أراد من وراء هذا الخطاب أن يبين لجنده أنه لا يتميز عنهم، بل هو مقاتل في الصف الأول، ومن شأن هذا القول أن يجعل المتلقي يتقبل الفكرة، ويذعن لما يسعى إليه الخطيب، وبالتالي يقدم على الحرب بكل شجاعة وإقدام.

2.1 الحجج شبه المنطقيّة التي تعمد العلاقات الرياضيّة:

تعتمد هذه الحجج في واقع الأمر "قواعد رياضية تشكل خلفيتها العميقة، ونسيجها الداخلي بل تؤسس طاقتها الحجاجيّة، وتعد معينها الاقناعي، وهي عديدة ..."[440] ولقد عثرنا في الخطبة على:

أ- تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة لهArgument de division

ينص هذا الصنف من الحجج على "تقسيم كل إلى أجزائه المكونة له وبيان أن حكما ما ينطبق على جزء من أجزائه ينطبق تبعا لذلك على الكل، على هذا النحو يبدو هذا الصنف من الحجج مقنعا في ظاهره لصبغته الرياضية الواضحة، ولكنه في الحقيقة لا يعدو أن يكون شبه منطقي لأن الأجزاء لا تعبر في كل الحالات وبدقة عن الكل ..."[441] وهذا النمط نجده في الخطبة من بدايتها إلى غاية الخاتمة فقوله:

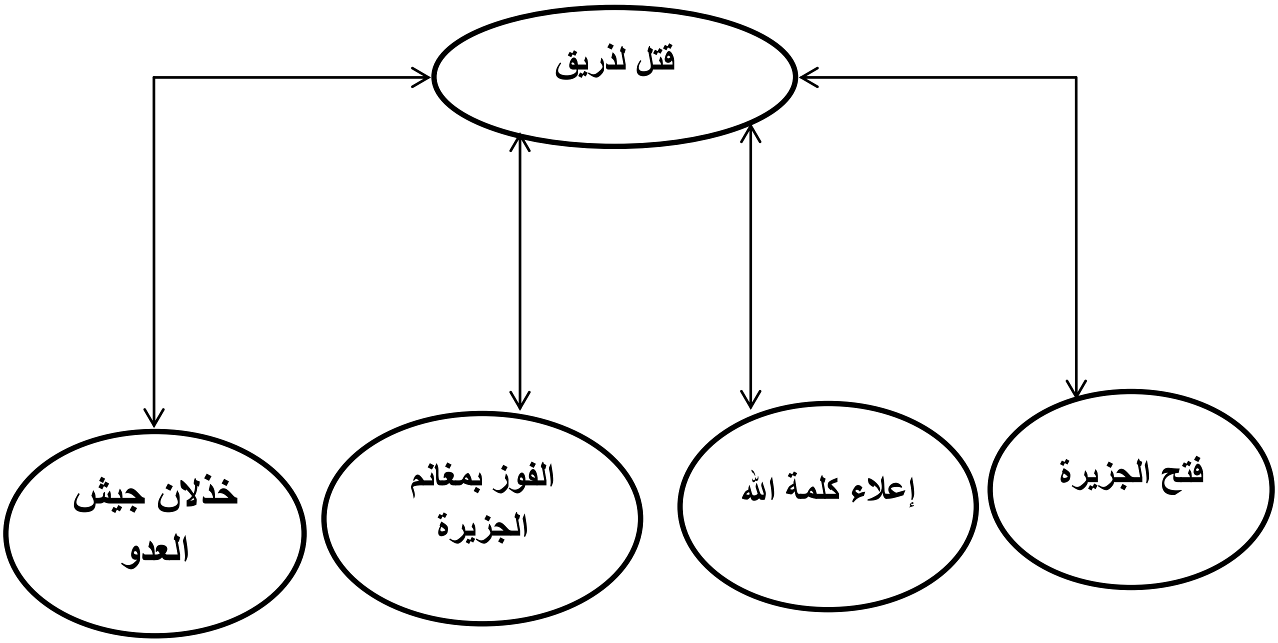
"... ادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية"[442]

فهذا القول يمثل الكل فبقتل لذريق "يكون مغنمها خالصا لكم من دونها ومن دون المسلمين سواكم" فمآل الجزيرة إليكم ومغانمها من نصيبكم ضف إلى ذلك "إعلاء كلمته... وإظهار دينه بهذه الجزيرة ..."

---

[439]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[440]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 305.
[441]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 317.
[442]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

ثم بقتل هذا الطاغية "واكتفوا المهم من فتح الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون" فجيشه سيخذل ويتراجع ويولى الأدبار وبالتالي فإن أي جزء من الأجزاء تؤدي بالضرورة إلى الكل ويمكن التمثيل لذلك هذا المخطط :



ب-الحجج القائمة على الاحتمالL'argumentation par le probable

يقول طارق بن زياد "إن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ..."[443]

وأيضا "إن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ..."[444].

هذا النوع من الحجج يؤسس على حظوظ المرء في تحقيق أمر ما، أو انجاز حدث معين أو اتخاذ موقف محدد وخليفته واضحة ...[445]

443- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
444- نفس المرجع.
445- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 213.

فهو يحتج لإمكانية التغلب على العدو، بحجة الاحتمال فيربط الواقع بالمحتمل ربطا واضحا فالسماح للنفس بالاستشهاد هو الذي يخلق فرصة النصر، وهذا المحتمل القائم مرهون بمدى قابلية الجيش.

أراد من خلال هذه الأقوال أن يؤثر في عاطفتهم وسلوكهم، فمن المحتمل أن تطول الأيام على هذه الحالة وفي هذا ذهابكم وفشلكم في المهمة التي قدمتم من أجلها بل تمكن العدو منكم... ثم يرتقي في أسلوب الخطاب ليكون الأمل قائما "إن انتهاز الفرصة فيه ..." فهذا القول يحمل طاقة حجاجيّة واضحة تبعث على التفكير في خلق هذه الفرصة التي تخلصنا من الكرب الذي نحن فيه.

إن الحجج القائمة على الاحتمال تعمل دائما لصالح المخاطب لأنه يترك المجال مفتوحا للتأويلات المتعددة وفي هذا تكمن حنكة الخطيب ولأن طبيعة البشر التي تتمسك بأي خيط نجاة مهما كانت محدوديته.

2- الحجج المؤسسّة على بنيّة الواقع Arguments fondés sur la structure du réel

لا يعتمد هذا الصنف من الحجج على المنطق و"إنما يتأسس على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم، فالحجاج هنا ما عاد افتراضا وتضمينا، بل أصبح تفسيرا وتوضيحا للأحداث والوقائع (....) فالمتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج إنما يذهب في الواقع إلىأن الأطروحة التي يعرضها تبدو وأكثر إقناعا، كلما اعتمدت أكثر على تفسير الوقائع والأحداث وأن الخطاب الحجاجّي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغرست مراجعة في الواقع"[(446)]

سنحاول فيما يلي الوقوف على الحجج التي تأسست على بنيّة الواقع.

---

[446]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 214.

1.2 التّتابع: الحجة السببيّة:

"يبنى هذا الحجاج على تتابع ثابت للأحداث محيلين على رابط سببي يصل بينهما"[447] ويوضحهما قول الخطيب.

"وقد استقبلكم عدوكم بجيشهن وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم" يقدم جملة من الأسباب التي تجعل من المواجهة أمرا حتميا على الجند .

أولا: استحالة العودة لأن الوسيلة مفقودة.

ثانيا: العدو استقبلكم بجيشه وأسلحته الموفورة فقد اعتاد الناس استعمال لفظة (استقبال) لمن كان ضيفا، تجب وفادته، وتكريمه، لكن الخطيب استعملها ليدلل أن العدو في موقف المقتدر، وأن الجيش في موضع العنصر الدخيل على الموقع، وليس له من خيار إلا إثبات الحالة، وخاصة أنه أردفها بجملة اسمية وقعت حالا (وأقواته موفورة) وهو من قبيل التعريض.

ثالثا: يقدم السبب الثالث الذي يفرض هذه المواجهة فرضا "وأنتم لا ورز لكم غير سيوفكم" فمتى علم العدو أنكم بهذا الضعف استصغر كم وأقبل عليكم كما تقبل النسور على فريستها.

أراد الخطيب أن يشرح الوضع لجنده، ويطلعهم على خبايا الأمور سعيا منه لترسيخ فكرة النصر على جيش لذريق بالرغم من قوته لأن القوة الحقيقية تكمن في الإيمان بالقضية التي قطعوا البحر من أجلها. على هذا النحو يتحلى الجانب التّأثيري في هذه الحجة لأن الشرح والتفصيل يضطلعان بدور حجاجي هام.

---

[447]- نفس المرجع ص 215.

2.2 الغائيّة ــ حجة التّجاوز:

تضطلع الغائية التي يستبعدها العلم "بدور أساسي في الأحداث الإنسانية ومنها نستطيع أن نشتق حججا كثيرة تؤسس كلها على الفكرة القائلة بأن قيمة الشيء تتصل بالغائية التي يكون لها وسيلة: حججا لم تعد تعبيرا عن قولنا "يسبب كذا وإنما من أجل كذا[448]

هذا الصنف من الحجج شملته خطبة طارق بن زياد ففي قوله: "ولقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك، أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان ... ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه ..."[449]

يؤكد الخطيب لجنده أنهم عبروا البحر وجاءوا إلى هذه الأرض البعيدة لغاية سامية، إعلاء كلمة الله وإظهار دينه فهم في حربهم ضد لذريق يرفعون من شأن الإسلام ويمكنون لدين الله على هذه الجزيرة، فالجهاد فرض على كل مسلم شرعه الله وحثه عليه بل ووعد الذين يستشهدون في سبيله نعيما لا يفنى وحياة خالدة. إذن بشهادة بالنسبة للمسلم هي أسس الغايات ولهذا الأمر هم على أرض هذه الجزيرة وبما أن الغاية نبيلة فلا خير من كل التضحيات.

وحجة الغاية لها دور كبير في التأثير على الملتقى ولهذا قلما تغيب في الخطاب الحجاجّي لأنها المحرك الأساسي للمشاعر سواء أكانت معنوية أو مادية وإن كانت الغاية المادية تعتبر ثانوية في هذه الخطبة.

ثم إن حجة الغاية تؤدي إلى نوع آخر من الحجج وهي:

---

[448]- شكري المبخوت: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 309.

[449]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.

3.2 حجة التّجاوز:

"إن حجة التّجاوز تؤكد إمكانية السير دائما نحو نقطة أبعد في اتجاه، دون أن نلمح للسير في ذاك الاتجاه حدا، وذلك بفضل تزايد مطرد في قيمة ما"[450] فهذه الحجة تقوم إذن على اعتبار ما عد عائقا مجرد وسيلة لبلوغ مستوى أعلى وهي متمثلة في قوله: "... فاحملوا معي، فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه، فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه..."[451]

جاء طارق بن زياد لهذه الجزيرة لفتحها ونشر الدين الإسلامي في ربوعها فالغاية كما سبق القول واضحة ومعلومة للجميع وحتى ينجح في مهمته لابد من الإجهاض على طاغية القوم ولقد تولى هذه المهمة بنفسه بل وأعلنها على مسمع الجيش ولكن إذا لم تسمح الظروف بذلك، فالجرب لا تتوقف، والغاية تبقى قائمة، وباقية ببقاء جنده، لأنه يعتبر نفسه نقطة عبور يجب تجاوزها وعدم التوقف عندها حيث يزيدهم صلابة وشحذا للعزائم بالإضافة إلى تحميلهم مسؤولية إتمام المهمة من بعده وفي هذا تأثير على الجند وحملهم على فتح الجزيرة بكل الوسائل المتاحة لديهم.

لقد عرف كيف يجعل من نفسه عنصرا لا يعلو على بقية العناصر بل ويتحمل أضعاف ما يتحملون، فالخطيب يقنع المتلقي (الجند) بصدق نواياه وفي هذا حمله على الإذعان والتسليم وهو جوهر الخطاب الحجاجّي.

450- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 307.

451- طارق بن زياد، من نص الخطبة.

-4-2- حجة السّلطة: Argument d'autorité

تتمثل حجة السّلطة في "الاحتجاج لفكرة أو رأي أو موقف اعتماد على قيمة صاحبها"[452] تقوم هذه الحجة في النص على فكرة الأمر، والاستجابة له. فالقائد يخترق بنصه عقل الجند ليكون له سلطان الأمر، وفرض السلطة، والسيطرة على الموقف من حيث هو ظرف لا يقبل اللين أو التراخي وفلسفة القوة لا يعدمها الحرب ولا يفقدها قائد المعركة، ونجدها في النص في أكثر من موضع فقوله:

" فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية"[453]

" وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك، أمير المؤمنين من الأبطال عربانا"[454]

"... وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم... فاحملوا معي... "[455].

لقد كان الخطيب يحمل القائد المحنك، والبطل المتمرس بأمور الحرب، وأخلاق القيادة والعلم بسيكولوجية المحارب، وحتى يكون خطابه مؤثرا لم يؤثر على نفسه عليهم ولم يكن بأفضلهم أو يدعوهم إلى ما لا يقوم به، فالسلطة تفرض عليه أن يكون حكيما في سياسة الجند مقدما نفسه في المعركة، مظهرا أحسن البلاء، ليكون لهم القدوة والمثل، وليحقق بهم ما جاء لأجله "واعلموا أني مجيب إلى ما دعوتكم إليه..."[456]فهو يبطن الغاية بالترغيب في موضع الشدة "... ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ... ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين... "

يتكلم عن المصاهرة في زمن الحرب، وعن الفوز بالمغانم زمن الموت وذلك تجسيدا للسلطة التي يتمتع بها. ويمكن الإشارة إلى أن حجة السلطة "لا تكفي عادة صاحبها حاجته إلى غيرها من الحجج، بل تأتي في أغلب الخطابات الحجاجيّة مكملة للحجج المتنوعة، تعضدها

452- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 232.
453- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
454- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
455- نفس المرجع.
456- نفس المرجع.

لكن لا تعوضها تردفها دون أن تحل محلها إنها تأتي في أغلب الأحيان لتكمل حجاجا ثريا عوض أن تكون الحجة الوحيدة فيه"[457]

وتوازيا مع حجة السلطة يظهر نوعا آخرا، لا يقل أهميته عن الحجج السابقة ونعني به حجة الرمز.

5.2 حجة الرّمز le symbole

تؤسّس هذه الحجة "على الانتماء، ولكنه انتماء اجتماعي أو ثقافي خالص لذلك تتغير الأوساط الاجتماعية والبيئات الثقافية وعديدة متنوعة فهي الوطن، واللغة والمعتقد وهي أيضا أبطال الأساطير عظماء التاريخ، وقد تكون إلى ذلك كله معلما أو راية، وعلى هذا النحو تعبر الرموز على انتماء الفرد إلى المجموعة، انتماء وجدانيا بل مقدسا في أغلب الأحيان"[458].

وفي نص الخطبة نجدها متداخلة مع حجة السلطة، وذلك مثل قوله:

" وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك، أمير المؤمنين من الأبطال ..."[459]

لقد عرف الفضاء الذي يجب أن يتحرك فيه خطابه، فربط الجند بالرموز المعبرة عن الانتماء الثقافي والاجتماعي. فقد ذكرهم بالخليفة الذي لا يعطى له أمر، وهو الذي أرسلهم في هذه المهمة وعليهم تنفيذ أوامره، ثم يسهر عن كل هذا حين يتكلم عن إعلاء كلمة الله تعالى ويتضح السياق أكثر في هذا الجدول:

المقابل	الحجة	البناء	القاعدة
ثواب الله (إغراء روحي)	سلطة الدين	إظهار دينه بهذه الجزيرة	النصر على العدو

457- عبد السلام عشير: عندما نواصل نغير، ص 221.
458- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص341.
459- نفس المرجع.

وفي السياق ذاته هذه الحجة

المقابل	الحجة	البناء	القاعدة
ذكر في الدارين (إغراء مادي)	سلطة المال	مغانمه خالصة لكم	النصر على العدو

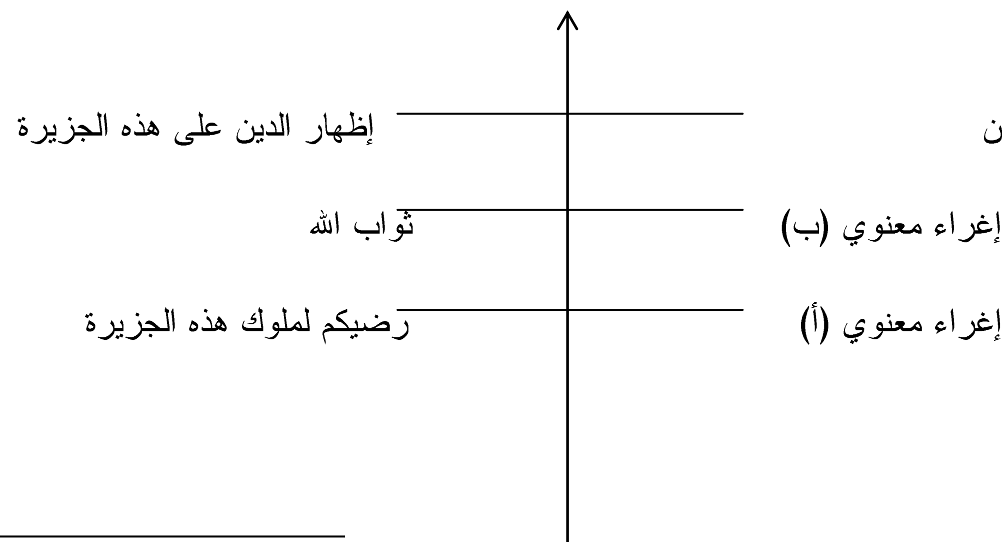
والنتيجة: دعوة إلى البلاء في المعركة ولم يفصل الخطيب حجاج السّلطة، عن حجة التبرير والتعليل ويمكن القول أن هذا النوع من الحجاج يدخل ضمن السّلم الحجاجّي، ونقصد به تبرير ما يذهب إليه الخطيب من القول من حيث هو تلازم بين قول الحجة وتبريرها وكأن هذا التبرير يجيب عن طرح أفعل / لماذا؟

أحارب / لماذا؟

أنتصر في المعركة / ماذا أستفيد

أستشهد في المعركة / ماذا يحدث.

ويمكن أن نستشهد بقوله "ورضيكم لملوك هذه الجزيرة، أصهارا وأختانا ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة"[460]



460- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

3- **الحجج المؤسّسة لبنيّة الواقع:**

هذا الصنف من الحجج "تربطها صلة وثيقة بالواقع، ولكنها لا تتأس عليه ولا تبنى على بنيته وإنما هي التي تؤسس هذا الوضع وتنبيه أو على الأقل تكمله، وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه (...) ويتأسس الواقع بواسطة الحالات الخاصة والاستدلال بواسطة التمثيل[461] والواقع يتأسس بواسطة الحالات الخاصة منها:

أ- حجة التّضحية L'argument du sacrifice

وهي حجة تتمثل في إثبات قيمة شيء، أو قضية معنية بواسطة التضحيات التي قدمت أو ستقدم من أجلها[462] فهي طريقة في الاستدلال مثيرة، ومأتى الإثارة فيها أن مفهوم التضحية ذاته مفهوم غامض مبهم، يمكن أن يفهم أكثر من فهم، دون القدرة على الحسم إذ ما يعتبره البعض تضحية في سبيل أمر أو غاية قد لا يراه آخرون كذلك[463] فقول طارق بن زياد: "... ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال، والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ..."[464]يدخل ضمن هذا النوع ذلك أن المجاهدين يضحون بحياتهم لإعلاء كلمة الله، على أرض هذه الجزيرة وهذه التضحيات تختزل في مفهوم الإيمان بالحياة الأخرى الخالدة في الجنة التي وعد الله بها شهداء فالفاتحون قدموا من بعيد، تاركين الأهل والديار متحدين كل الصعاب لا لشيء إلا لفتح هذه الأرض ونشر الدين الإسلامي.

فالخطاب موجه إلى جيش مسلم يعي جيدا أهمية هذه الحرب أو هذا الفتح في تغيير خريطة هذه المنطقة اجتماعيا، وثقافيا، ولذلك تعتبر هذه الحجة غاية في الأهمية، لأنها تعمل على تحريك العواطف وشحذ الهمم.

---

[461]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر الجاهلي ص 244.
[462]- شكري المبخوت: الحجا في اللغة ضمن مصنف "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" ص 302.
[463]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر الجاهلي ص 246.
[464]- طارق بن زياد : من نص الخطبة.

ب-الاستدلال بواسطة التّمثيلL'analogie

الاستدلال بواسطة التمثيل "هو تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات (....) فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر فندخل بذلك التشبيه والاستعارة"[465] ونلمس هذا النوع من الاستدلال في خطبة "طارق بن زياد" في قوله: " **واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام**"

جملة ثانوية ⟵ الأيتام ضائعون في مآدب اللئام

جملة أساسية ⟵ المجاهدون ضائعون في هذه الجزيرة

استنتاج ⟵ المجاهدون أيتام

" فالقياس يبنى إذن على مقدمتين، صغرى وكبرى يقودان إلى استنتاج وهو بشكله هذا يعد قياسا صريحا، فالتشبيه التمثيلي شكل طاقة حجاجيّة بالغة لأن التشبيه يمثل ضربا من القياس، فالتّسليم بالمقدمتين، الصغرى والكبرى يقودان المتلقي إلى التّسليم بالاستنتاج بل أن قوة التشبيه تتأتى من قدرته على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق[466] فالتمثيل أسلوب يتوخاه المتكلم في الاحتجاج "لأنه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة وهذه الخاصية المميزة للقول التّشبيهي هي التي تجعله فوق الأبطال لذلك أكد الدارسون أنه، يعسر على المرء أن يتصور إمكان ورود دليل مضاد بعد التشبيه ..."[467] فالخطيب أراد أن يبين الوضع الخطير الذي يتواجدون فيه في هذه الجزيرة ومدى دهاء ولؤم العدو فأتى بالتشبيه يربط العلاقة بين الوضعين "فما يميز القول التمثيلي أنه يأبى أن يجيء بعده رابط من روابط التّعاضد الحجاجّي"[468] وهذا ما يزيد من قدرته الحجاجيّة.

الحجج التي تستدعي القيمArguments basés sur les valeurs

465- محمد العمري: بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 118.

466- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر الجاهلي ص 174.

467- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر الجاهلي ص 175.

468- نفس المرجع ص 175.

يتخذ الحجاج أحيانا كثيرة أشكالا أقل موضوعية، يراها البعض ملزمة "تهدف إلى فرض الرأي وتسعى إلىإظهار الفرضيات على أنها حقيقة لا لبس فيها بحيث تجبر المتلقي على اختيار ما ولا تتورع عن استعمال الترهيب، والترغيب وحمل الجميع على الإذعان اعتمادا لتبرير الآراء واثبات المواقف، يعتمد قيما ينتقيها بدقة بحيث تلاءم أهدافه الحجاجيّة وغايات خطابه المنشودة[469] والقيم ثلاثة أضاف[470]

- قيم كونية Valeurs universelles
- قيم الالتزام المجردةValeurs abstraites d'engagement
- قيم محسوسةValeurs concrètes de l'action

وهذا النوع من القيم التي تعتمد التّرغيب والتّرهيب منتشرة في الخطبة كقوله:"... وإن افتقاركم ولم تنجزوا أمرا، ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم"[471]

ويمكن التوضيح بالجدول التالي:

المقابل	العلة / الحجة	البناء	القاعدة
الجرأة عليكم	ذهبت ريحكم	لم تنجزوا لكم أمرا	الخذلان
تعوضت القلوب من رعبها عليكم	لم تنجزوا لكم أمرا	إن امتدت بكم الأيام	تأخير النصر

والملاحظ أن العبارة الأولى في البناء، تناسبها العبارة الثانية في خانة العلة / الحجة (لم تنجزوا لكم أمرا) فكأن المهمة التي من أجلها تم قطع البحر، وقطع وسيلة الرجوع (حرق السفن) لم تنجز وبالتالي فليس لهم من ملجأ إلا البحر، أو مقارعة العدو بالقوة والحديد...

469- شكري المبخوت: الحجاج في اللغة ضمن مضف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 305.
470- نفس المرجع ص 307.
471- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

وكذلك قوله: "... وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأقواته موفورة، وأنت لا وزركم إلا سيوفكم ..."(472)

مارس الخطيب سلطة الترهيب، فليس لهم بد من الحرب، وهي قاعدة تبين بجلاء قدرة الخطيب على التأثير الفكري والعاطفي على المتلقي (الجند) ولأنه ليس من الضروري أن يكون الجند كلهم في حالة من الشدة، والمناجزة للعدو، فقد ارتقى في أسلوب الخطاب ليكون التعجيل بالنصر، وما ينجز عنه من نعيم دنيوي، والإقبال على الموت والشهادة، وما يقابله من نعيم أخروي، وهي من أسس الترغيب في المقاتلة بقوة لا تلين وعزيمة لا تفتر كقوله: "... إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالأرفة طويلا ..."(473) وكذلك قوله: "... ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه، ومن دون المسلمين سواكم"(474).

لقد استدعى قيما هي محل اتفاق بين المجتمع المسلم الذي يلتزم بتطبيقها أو على الأقل يحرص كل الحرص على احترامها فالجهاد في سبيل الله لا يختلف عليها اثنين والجنة مأوى الشهيد لا جدال في ذلك، كما استدعى قيما كونية بيناها جميع البشر كالعيش في كنف العدل والحق والفوز بنعيم الدنيا من مال وحور حسان

الحجج التي تستدعي المشتركRecours aux lieux communs

تعتمد الخطابات الحجاجيّة على المشترك "أي الاستناد إلى ما يشكل موضوع اتفاق بين المتلقين أو يمثل جملة من المعارف المشتركة الشائعة بينهم، ذلك أن للمشترك سلطته على النفوس فهي تذعن لما تعودت عليه (....) وقد أثر أرسطو في كتابه "الجدل" عرض دقيق لما سمي بالمواضع المشتركة وهي مواضع قد قدمها كتمش حجاجّي كوني، وإن كانت هده المواضع متفاوتة من حيث القيمة وخاصة من حيث تواترها في الخطابات، إذ تظل خاصية هذه المواضع، كما يدل عليه اسمها أنها تستعمل بيسر في كل وضعيات الخطاب ويظل موضع

472-نفس المرجع.

473- طارق بن زياد من نص الخطبة

474- نفس المرجع.

الأقل والأكثر بصفة خاصة معين كل حجاج مرتب(475) والواقع أن الصيغة المثلية هي أكثر الأمور المشتركة تأثرا في المتلقي وأقدرها على النفاذ إلى عالمه، ومن ثمة تغييره(476) وهو ما احتج به طارق بن زياد في خطبة بقوله:

"اعلموا أنكم أضيع من الأيتام في مآدب اللئام"

فقد اشتغل المخزون الاجتماعي المتواجد في الذاكرة الجماعية، لوصف حالة راهنة شبيهة في ظروفها، وبالتالي فإن السامع (الجند) إذا ما وقف على هذا المثل احتاج تجسيد صورة اليتيم أمامه ولا شك أن الخطيب بتوظيفه المثل في الخطبة أراد أن يسمو بالمعنى إلى مستوى القيم المشتركة فاليتيم يمثل الانكسار والضعف والعوز وحتى التشرد وفي المقابل ذلك اللئيم بدهائه وخبثه وحيلته وطمعه وحتى غدره ..." فتأثير المثل لا يدانيه جنس أدبي آخر لأنه مخزن في الذهن وأكثر دورانا على الألسنة"(477) فالخطيب اختار المثل المناسب ليستفز به متلقيه لدفعه إلى تبني موقف ما، أو سلوك معين، فالمثل يثبت طاقة حجاجيّة فائقة، ذلك أن المتلقي يتقبل المثل باطمئنان بحكم فعل التواتر.

"إن طاقة المثل الحجاجيّة تقوم في جوهرها على القياس فقياس الحالة الحاضرة الراهنة على أخرى مشابهة يعرفها الجميع، ويدركون أبعادها فمتى سلموا فإنهم سيسلمون بالحاضرة ومن ثمة جاز القول بأن خطورة هذا النوع من الاستدلال تكمن في الإيهام بالتقارب بين الحالتين عن طريق علاقة الشبه ..."(478)

الخطيب أراد القول إنكم بدون شك تعلمون أن اليتيم لا حول له ولا قوة، فاليتيم سبله قوته وإقدامه هذا في الأوضاع العادية فما بالكم إذا اجتمع حوله جماعة من اللئام فما هو مصيره؟ ذلك حالكم في هذه الجزيرة فهو مآدب اللئام وحالة الجند على هذه الأرض والطاغية لذريق يتربص بهم. سعى الخطيب إلى تحريك النفوس لتنفض عنها الخوف وتقبل على الحرب بكل شجاعة.

---

[475]- شكري المبخوت: الحجاج في اللغة ضمن مضف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 371.
[476]- نفس المرجع ص 382.
[477]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص 299.
[478]- نفس المرجع ص 301.

الخلاصـــــــــــــــــــة:

إن الملاحظة البسيطة كافية لأن تبين لنا، أن هذه الخطبة تحمل ملامح حجاجيّة، ظهرت من خلال التراكيب النحوية، والصور البلاغية بالإضافية إلى الاستدلالات المنطقية، وتنوع الحجج الواردة في نص الخطبة التي عملت على الحث، والتحريض، والإقناع.

لا أدعي أنني استطعت الإحاطة بكل المظاهر الحجاجيّة لهذه الخطبة فذلك مطمح يعيد المنال ولكن كل ما أهدف إليه هو استخراج أهم هذه المظاهر، وتأكيد الطابع الحجاجّي لنص الخطبة.

الفصل الرابع

آلية بناء الحجج

ترتيب أجزاء القول

بعد الإصلاحات السياسية والاجتماعية والقضائية التي عرفها اليونان "هبّ المواطنون مطالبين باسترداد ما أخذ من ممتلكاتهم وأراضيهم، فاحتاجوا إلى من يدافع عنهم، وينطق عن لسانهم، وفي هذه الظروف ظهر السفسطائي الصقلي الشهير كوراكس–كما سبق ذكره– ووضع مشروع خطابة يراعي النقاط التي تؤثر في القاضي، وتهدف إلى تحقيق المصلحة، فحدّد الأقسام الخمسة الكبرى التي مثّلت طوال قرون عدة التّقسيم النموذجي للخطبة، تحدث عن الاستهلال، والقص والاحتجاج، والاستطراد، والخاتمة[479] وعندما أتى أرسطو، انتقد التقسيمات المعتمدة من خطباء عصره، واعتبرها مضحكة يقول: "الكلام يتضمن جزئيين، إذا لابّد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثمّ بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا من المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنب البرهنة، أو نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا، ذلك أنه حين نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلاّ من أجل البرهنة عليه، وأولى هذه العمليات هي العرض والثانية الدّليل"[480] اعتبر أرسطو تقسيمات الخطباء للخطبة مضحكة لأنّه يرى أنّ القص خاص بالخطب القضائية أمّا الخاتمة فلا تدخل في كلّ الأنواع، ومنه لا يرى ضرورة إلاّ لعرض القضية وإظهار الدّليل.

لم يهتم العرب بالتنظير لأقسام الخطبة، ولكن هذا لا يعني إغفالهم في الممارسة الفعليّة، وعلى العموم هناك إشارات نعثر عليها في كتابات الجاحظ وابن وهب بخصوص هذا الموضوع، ففي البيان والتّبيين تذكير بضرورة تضمين المقدمة، ما يدلّ على الموضوع. يقول الجاحظ: "وقال إسحاق بن حسان بن قهوي: لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحدّ قطّ، سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت... في الاستماع... في الاحتجاج سجعا وخطبا... وليكن في صدر كلامه دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، كأنه يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى

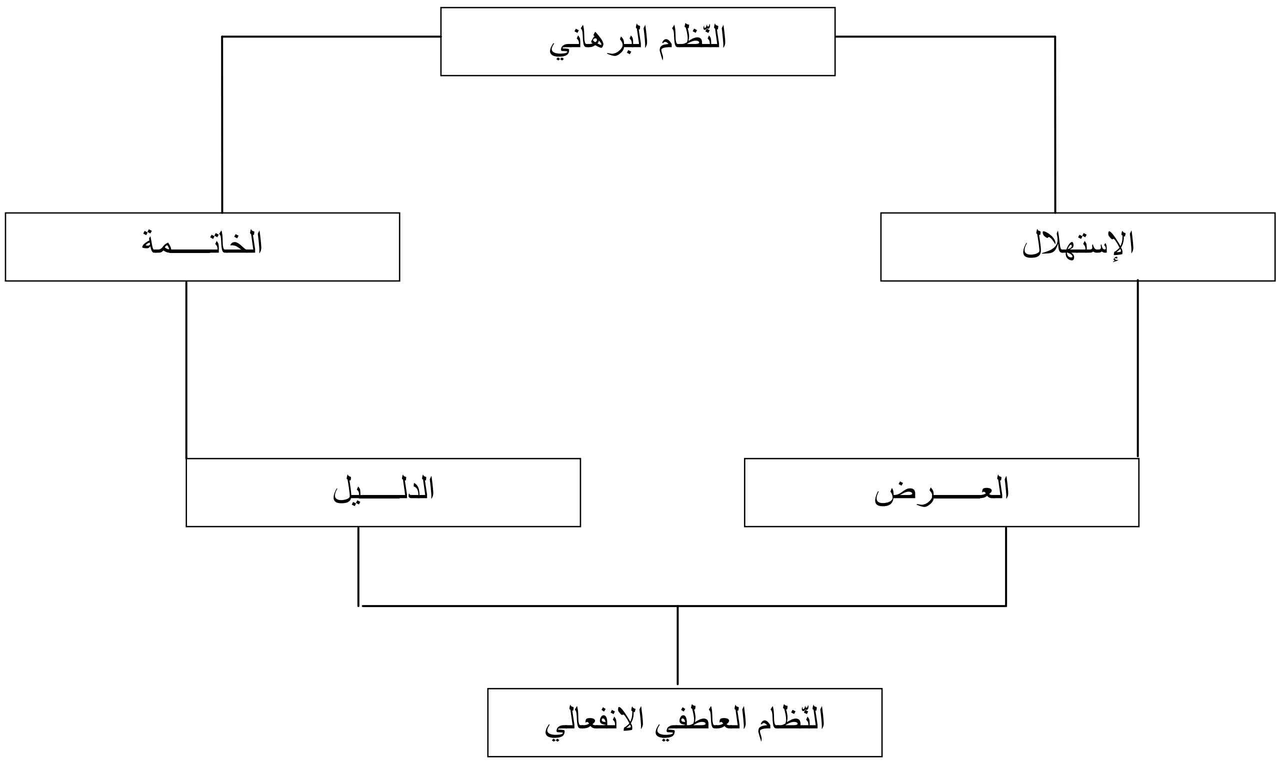
479-هشام الرّيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 248.
480- أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوى ص 228-229.

يكون لكل فنّ من ذلك صدر يدّل على عجزه، فإنّه لا خير في كلام لا يدّل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذّي إليه قصدت، والغرض الذّي إليه نزعت..."[481] كما عني

العرب كثيرا بالاستهلال في الخطب والذّي عادة ما يكون بذكر اللّه تعالى وحمده وتمجيده لذلك يسمّون الخطب التّي لا يذكر اللّه عزّ وجلّ في أولها البتراء، أمّا ترتيب الأجزاء فيبدو أنّه متروك كتقديرهم ولمناسبة المقام.

ويرى بيرلمان أن "التّرتيب في قضايا البرهنة غيري ذي أهميّة وعكس ذلك حينما يكون الغرض الاحتجاج قصد مشاركة المستمعين، لأنّ ترتيب عرض الحجج يكيّف شروط القبول عند هؤلاء"[482]

أما رولان بارط فالخطاطة التالية تبيّن رأيه في الموضوع[483]



1- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 115، 116.

2- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 137.

3- المرجع نفسه، ص 139 نقلا عن رولان بارط، البلاغة القديمة، ص 215.

في المقدمة، والخاتمة دعوة عاطفيّة، وفي العرض والدليل دعوة إلى والعقل كما بيّن بعض خصائص كل مرحلة، فالاستهلال يكون بالاستمالة إلى الموضوع المقترح، والإعلان عن الخطة التي ستتّبع، والخاتمة تتضمن تلخيصها لما قيل، وفيها أيضا مستوى لإثارة العاطفة، أمّا الغرض فيجب أن يكون واضحا ومختصرا، ومهيئا ما سيأتي في مرحلة الدّليل التّي تقديم الأدّلة، والحجج بالطّريقة التّي يراها مناسبة" (484) ومن هنا، فإن الخطاب الحجاجّي "يتميّز عن باقي الخطابات الأخرى، بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا، مبنيا بناءا استدلاليّا يتّم اللّجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل" (485) ويبيّن محمد العبد ركائز النص الحجاجّي نجملها في قوله "يبنى النّص الحجاجي على مكونات سته:

- الدعوى، نتيجة الحجاج، هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين تذكر الدعوى صراحة وقد تضمن:

– المقدمات تقرير يضعه المجادل عن أشخاص، أو أحوال أو أحداث، وينبغي للمقدمات أن ترتبط بالدعوى ارتباطا منطقيّا حتى تصلح لتدعيمها.

– التّبريرات، بيان للمبدأ العام الذّي يبرهن على صلاحية الدّعوى وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

– الدّعامة، كلّ ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم... الخ حتّى تجعل المقدمات والتبّريرات أقوى مصداقية عند المستقبل.

– مؤشر الحال، كلّ ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدّعاوي للتّطبيق نحو، من الممكن، من المحتمل، على الأرجح... الخ.

484- محمد العمري، بلاغة الخطاب الاقتناعي، ص 139.

485- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 128.

- التّحفظات، هي الأساس الذّي ينهض عليه الحكم بعد مقبوليّة الدعوى[486].

وفي ما يلي صورة عن التّرتيب الذّي اعتمده طارق بن زياد أثناء إلقاء خطبته استعمل القائد خطبته بمقدمة كبرى تمثلت في قوله "أيها النّاس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو

أمامكم[487] تعتبر حجة بالغة الأهميّة، الغرض منها البرهان أو الإقناع، لأنّ المطلوب منه هو لإقحام السّامع "فالحجة بعد ذاتها لا يراد منها ما أفاد معنى قاطعا" [488] بل هي وكما عرّفها طه عبد الرّحمان "كلّ منطوق به، موجه غلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه" [489] فالمقدمة الكبرى جعلت السامع في وضعية صعبة، بين موقفين غير متسقين، وهو بذلك يهدف إلى إحداث خلل في ذهن المتلقي أو على الأقل إضعاف قوته الاستدلاليّة حيث تجعله يقبل الدّعوى التّي قدمها إليه الخطيب لأنّ التّأمل والتّفكير يكون منصبا على موضوع جديد، لأنّ البحر معروف (سفن محروقة) والعدو معروف (سلاح وقتال) هذا الموضوع الجديد هو التّفكير في طريقة التّغلب على العدو.

- لقد أراد أن يتنقل ممّا هو مسلم به عند المستمع أي من المقدمة الكبرى إلى النتيجة يقول وليم برانت "إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجاج سدى... " [490]فالخطيب نجح في غلق كل المنافذ حتى يستميلهم ويقبلون على دعوته عن طواعية واقتناع.

عززّ الخطيب المقدمة الكبرى بمقدمة صغرى، في قوله "اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيّع من الأيتام في مأدبة اللئام" [491] فقد عمد إلى استحضار الشاهد الأمثل أو علاقة المشابهة لما في ذلك من تنبيه لعقل على اكتشاف العلاقات الدقيقّة الموجودة بين الأشياء، وفي هذا تقريب للمعنى المراد تبليغه وجعله في متناول إفهام السامعين "فالخطاب الطبيعي يلتمس التّأثير والإقناع، وتبعا لذلك فإنّه ينزل المقاصد المعاني المحددة للعمل المنزلة الأولى وعليه فإنّه يستعمل أدوات استدلالية تستجيب لأوصافه العمليّة، ولن تكون هذه الأدوات إلا من ضروب الأقيسة التّمثيليّة، فهي تمتلك بينة استدلالية لا تخلو من عنصر القيمة العمليّة التّي

---

[486]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 191.
[487]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
[488]- الحسن بنعبو، المنحى الحجاجي للخطاب القرآني وآثاره في المنهج الاستدلالي الأصولي، ص 131.
[489]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 237.
[490]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 219.
[491]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.

توجه سلوك الغير" [492] فهذا المثال ساوى بينهم وبين الأيتام الذّين لا ناصر لهم ولا معيل، وجدير بالذّكر أن بعض القدماء التفتوا إلى علاقة المثل بالحجاج ومنهم ابن وهب "يقول ابن وهب عن ضرب الحكماء والعلماء والأدباء للأمثال: "وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأمثال

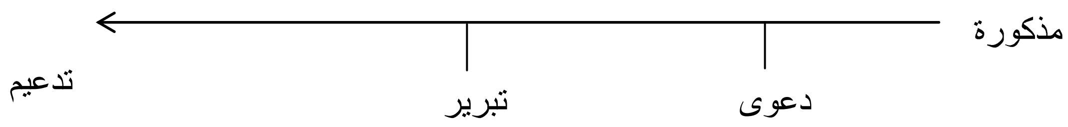
مقرونة بذكر عواقبها والمقدمات مضمومة إلى نتائجها" [493] ذلك أن بعد المقدمة الصّغرى جاء بأدلّة لا يمكن ردها، أو التّشكيك في صحتها ليضمن الاقتناع ومنه الامتثال لدعوى التّي وجهها لجنوده، ومن الأدّلة التّي أوردها "استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر غير سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم" [494] فالعدو يمتلك وسائل وأسباب البقاء المتمثلة في السلاح والغذاء، أما أنتم فسلاحكم فعاليته محدودة وغذاؤكم هو ما استطعتم أخذه من أيدي أعدائكم.

وليتأكدّ من موالاتهم عرض عدّة تبريرات يبرهن بها على صلاحية دعواه كقوله "وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحكم..." [495] وأيضا "...فقد ألقت بع إليكم مدينته المحصنة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت..." [496] والدعوة ذكرها صراحة وفي أكثر من موضع مثل قوله "ادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة" [497] وكذلك "بمناجزة هذا الطاغية ..." [498].

يبدو أن القائد مصر على المضيّ قدما نحو النتيجة التّي ينبغي الوصول إليها من خلال توظيفه لكلّ الوسائل التّي تخدم الدعوى من مقدمات مؤثرة وأدلة دامغة وتبريرات مؤسسّة على الواقع الذي يعيشه الجند فقد ذكّرهم بأنّ أسباب العودة منعدمة لأنّه أحرق السّفن التي أقلّتهم لهذه الجزيرة ثمّ أعطى بيانا وافيا عن وضعهم العسكري وقارئه بوضع جيش لذريق وفي نفس الوقت رغّبهم في النّصر لأن إمكانية حدوثه واردة إذا عزموا على ذلك لأنهم مسلحون بشحنة الإيمان التّي تدفعهم إلى الأمام مع ما ينتظرهم عند الفوز من مال وحسان ومصاهرة ملوك هذه الجزيرة.

---

[492]- الحسن بنعبو، المنحى الحجاج للخطاب القرآني وأثره في منهج الاستدلال الأصولي، ص 132.
[493]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 210.
[494]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.
[495]- نفس المرجع.
[496]- نفس المرجع.
[497]- نفس المرجع.
[498]- نفس المرجع.



وسعيّا منه لاستمالة جنده بني طارق ابن زياد خطبته تدريجيا لأن "فعالية الخطاب الحجاجّي تأتي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره وديناميّة مكوناته" [499].

فقد ربط ما سبق بمقدمة صغرى ثانيّة، تتعالق مع المقدمة الصغرى الأولى تعالقا منطقيّا، تمثلت في قوله "... اعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفة الألذّ طويلا..."[500]

تمثّل هذه المقدمة قضية محددة، تتلخص في محدوديّة الأوقات العصيبة وكأنه بهذا يستحضر الآية الكريمة "إن مع العسر يسرا ثمّ إن مع العسر يسر" (5–6) من سورة الشرح. ثمّ أردفها بالحجج التّالية "وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك... ثقة منه بارتياحكم للطعان... واستماحكم بمجالدة الأبطال... ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء دينه... ويكون مغنمها خالصا لكم... " [501] لقد عمل القائد على دغدغة عواطف الجند بتذكيره بالنّعيم الذّي ينتظر الشهداء "فاستهدف اعتقادات الإنسان يمثل إحدى الجوانب الأساسيّة في العمليّة التّخاطبية... بالرغم من كون الاعتقادات لا تمثل عناصر ماديّة ملموسة وتخلو من كلّ استدلال ذي بعد علمي لذلك ارتبط أمر الاعتقادات ببعض القيم الإنسانية التّي عليها مدار الحجاج والتّي يراهن عليها المتكلّم كي يذعن السّامع مع لما يطرحه من آراء ومواقف" [502] إن الجانب الرّوحي يلعب دورا هاما في العمليّة الحجاجيّة كالثواب الذّي يناله المجاهد في سبيل الله، والمكانة التّي يحظى بها عند ولي الأمر (الوليد بن عبد الملك) وأيضا المكاسب الماديّة التّي ستنتهي بين يديه. قدّم الخطيب حوافز كثيرة من خلال معرفته باهتمامات المخاطب ومعتقداته فلا "نتصور

---

[499]- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 129.
[500]- طارق بن زياد من نص الخطبة.
[501]- طارق بن زياد من نص الخطبة.
[502]- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 133.

قيمة الحجة بمعزل عن الشخص الموجهة إليه" [(503)] فمعرفة الطبيعة الداخليّة للمخاطبين عامل جوهري في نجاح العمليّة الحجاجيّة.

تفادي طارق بن زياد في الجزء الثاني من الخطبة ذكر الدّعوى صراحة ولكنّه أشار إليها وفي هذا ضمان لسلامة الحجاج، كمثل قوله

مقدمة صغرى ثانية

(مذكورة) دعوى (مضمنة) تبرير تدعيم

"... ارتياحكم للطعان ..." [(504)] وأيضا "... بمجالدة الأبطال والفرسان" [(505)] وللتّأكد من فاعليّة واستجابة الجند لدعوته عرض مقدمة صغرى ثالثة تتمثل في قوله "... واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه" [(506)] جاءت إجابة عن أسئلة عديدة، قد تتبادر إلى ذهن المتلقي وبعبارة أخرى لقد دعوت نفسي قبل أن أدعوكم، وإنّي أوّلكم إلى تلبية الدّعوة لأن "حصول الإقناع لدى المستمع لا يكون إلاّ بعد مطابقة القول الحجاجّي لفعل صاحبه، باعتبار المطابقة دليلا وحجة ماديّة تنسحب على المتكلم وتزكّي موقفه وتؤكده" [(507)] إنّها الخاصيّة التّي يسميه طه عبد الرحمان "مبدأ الإنتهاض بالعمل ويعرفها بقوله "هي الدّليل الذّي يجب اعتماده للعمل به، بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل" [(508)] .

يردف مقدمته الثّالثة بحجة دامغة في قوله "وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى" [(509)] كانت هذه الحجة دعامة لعمليّة الإقناع والإفحام حيث سعى الخطيب من خلالها إلى تمرير موقفه.

كانت الدّعوى في نهاية الخطاب صريحة بل كرّرها إشارة منه إلى مقدرة الجيش على تخطي هذه العقبة والتّغلب على لذريق وبالتّالي فتح الجزيرة ثمّ إعلاء كلمة الله تعالى وإظهار

---

[503]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 296.
[504]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[505]- نف المرجع.
[506]- نفس المرجع.
[507]- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 133.
[508]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 237.
[509]- طارق بن زياد، من نص الخطبة.

دينه وقد تمثلت في قوله "... فاحملوا معي ..." [510] وأيضا "واحملوا بأنفسكم عليه" [511] "واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ..." [512].

مقدمة صغرى ثالثة

(مذكورة) دعوى (مكررة) تبرير تدعيم

مقدمـــــــــات دعوى تبرير تدعيم

يمكن أن نستخلص عموما أن ترتيب أجزاء القول في نص الخطبة خضع لتنظيم معيّن فقد توسل الخطيب في بناء خطبته بمقدمة كبرى، عملت على تنبيه الجند وبالتالي حملهم على التفكير في طريقة تخرجهم من المعركة منتصرين، ذلك أن طارق وضع مقدمته على قاعدة مفادها "إذا لم تأت بما ينفي حجتي فهو الدّليل على أنّها صحيحة" [513] وحتى تنجح العمليّة الحجاجيّة عرض ثلاث مقدمات صغرى. كانت الأولى ترتكز على بلاغة المثال وأثره باعتباره "وسيلة ناجحة للتعبير عن القيّم والحقائق التّي تختزل التجارب الإنسانية، وهو نوع من الاستدلال يقوم بنقلة نوعيّة من خلال الجمع بين الاستقراء والمشابهة عن طريق الحدس " [514] أمّا المقدمة الصّغرى الثّانية فمستوحاة من مدلول الآيتين الكريمتين "فإنّ مع العسر يسرا(5) إن مع العسر يسر(6)" [515] والثالثة سجّل الخطيب بها نقلة نوعيّة متميّزة ذلك أن الاقتناع لدى المخاطب لا يحصل إلاّ بعد تبني المخاطب لدعواه عمليّا وهذا ما جسّده القائد بقوله "واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ..." [516] وأيضا "وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق ..." [517] .

510- نفس المرجع.
511- نفس المرجع.
512- نفس المرجع.
513- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نتغيّر، ص 166.
514- طه عبد الرحمان: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 208.
515- آية 5، 6 من سورة الشرح.
516- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
517- نفس المرجع.

كما وظّف الخطيب مجموعة من الأدلة، وقدّم عدّة تبريرات تؤكد صدق دعواه وإمكانية نجاحها، فالقائد بيّن للجند أنهم إن جاهدوا بكلّ قوة وصبروا على الشّدائد، رفعوا راية الإسلام على أرض الجزيرة ونعموا بخيرات هذه الأرض، وإنّ تهاونوا وتخاذلوا فالموت مصيرهم

وحتّى يؤكد لهم صدق أقواله تكفّل بأصعب مهمّة والمتمثلة في القضاء على لذريق، هذه الحجج ارتبطت بالمقدمات ارتباطا منطقيا، عملت على تماسك العمليّة الحجاجيّة وهذا المخطط يبيّن الشكل العام لترتيب أجزاء القول في نص الخطبة.

صور التّرتيب النّحوي للتّركيب في الخطبة

ستوصل الإنسان انطلاقا من فطرته وحاجته الطبيعيّة إلى الاتصال من أجل التّفاهم ونقل المعلومات، خدمة لهذه الغاية أوجد لنفسه وسائل متنوعة "كانت اللّغة أرقاها، وأكثرها فعاليّة في الإبلاغ غير أن استعماله لها لم يكن جزافيّا وغير مضبوط، بل ظلّ مرتبطا بنظام تكوّه مجموعة من القواعد، والغاية من كلّ ذلك ضمان نجاح الاتصال اللغوي" (518).

أدرك العرب القدامى مفهوم الكلام من خلال معالجتهم للقضايا اللّغوية، من صوتيّة وصرفيّة ونحويّة "وعبروا عنها بمسميات مختلفة ومنها النّظم، والتّأليف والتّرتيب والبناء وكلّها تشير إلى عمليّة تنسيق الألفاظ في تراكيب لغويّة صحيحة" (519).

ويّعد الترتيب في مباني الجملة من أهم ما يجب التّركيز عليه فعن طريقه "يصل إلى دلالة معينة قد لا يكون الوصل بغيره يسيرا فهو أبرز المجالات التّي تظهر إتحاد المستوى التركيبي Syntaxeمع المستوى الدّلالي Sémantique " (520).

ولقد اعتمد النحاة العرب في تضيفهم للجملة على محورين، "الجملة الفعلية والجملة الاسمية وأساس اعتمادهم هذين المحورين يرتكز على أن العنصرين (المسند والمسند إليه) يشكلان الدّعامة الرئيسة للجملة حيث لا تتألف الجملة بدونها لفظا أو تقديرا وقد يكتفي بهما وحدهما" (521) وبالإضافة إلى هذا المبحث تناول النحاة عدّة مواضيع لها علاقة وطيدة تداولية الخطاب كالتقديم والتأخير وكذا تقدّم بعض معمولات الفعل على بعض ومن مباحث الاهتمام بالخطاب في النحو العربي "التعبير بالجملة الاسمية واختلافه عن التعبير بالجملة الفعليّة حيث يكون الأول عندما يتلقى السّامع الخبر لأول مرّة وليس لديه فكرة عنه أما الثاني فيكون حين ليملك السّامع على الأقل أدنى معرفة لموضوع الحديث، لكن المرسل يرسله بقصد المبالغة" (522) وهذا يتماشى مع ما ذهب إليه سيبويه في نظرته إلى المعنى وعلاقته بالبنيّة إلى جانب ربط بمدى صحتّه في الاستعمال ومطابقة الكلام للواقع حيث جعل العربية خمسة أقسام (523).

مستقيم حسن = أتيك أمس، سآتيك غدا.

518- محمد مزيان: مدخل إلى نظريات الإتّصال، ص 11.
519- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية، ص 22.
520- خليل أحمد عمايرة: آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، ص 180.
521- محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص 34.
522- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 228.
523- سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج1 ص 25، 26.

محال = أتيتك غدا، وسآتيك أمس

مستقيم كذب = حملت الجبل، شربت ماء البحر.

مستقيم قبيح = قد زيدا رأيت.

محال كذب = سوف أشرب ماء البحر أمس

دراسة مستوى التّركيب النّحوي في نص الخطبة

من خلال دراستنا لخطبة "طارق بن زياد" أظهر البحث كثرة الجمل الاسمية على حساب مساحة الجمل الفعليّة والجملة الاسمية في أصل وضعها "تفيد ثبوت شيء لشيء استقرارا وديمومة من غير تجدد إلاّ إذا لزمت بها قرائن تفند ذلك" [524].

يوضح الجدول التّالي التّراكيب الاسميّة التّي وردت في المدونة (04).

الجمل الإسميّة	محلها من الإعراب
– البحر من ورائكم	ج – اسميّة في محل نصب حال
– العدو أمامكم	ج – اسميّة في محل نصب حال
– أقواته موفورة	ج – اسميّة في محل نصب حال
– أنتم لا وزر لكم	ج – اسميّة في محل نصب حال
– أناعنه بنجوة	ج – اسميّة في محل نصب صفة
– أرخص متاع فيها النفوس	ج – اسميّة في محل جر صفة

إنّ الجمل التي وردت في نص الخطبة تعبّر حالة ثابتة لا يمكن لها أن تتغير فعند قوله "البحر أمامكم" [525] فمكان البحر لن يتغير يقول الجرجاني "... وبيانه أن موضوع الاسم على

[524]- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية، ص 29.
[525]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء..."[526] وفي قوله "أقواته وأسلحته موفورة"[527] فالأمر كذلك لأنّه بالفعل أقوات العدّو متوفرة وكثيرة وأسلحته متنوعة فقد أورد الزركشي أنّه "إذا قصدوا مجرد الخبر أتوا بالجملة الفعليّة وإنّ أكدوا فالاسمية ..." [528] ففي كلّ مرة يريد التأكيد يعمد إلى الجمل الاسمية التّي الثبوت لا التّحول.

وغلبة الجمل الاسمية على الجمل الفعليّة يعود إلى الأحداث نفسها وحالة جيش المسلمين، فعند قوله "إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام... " [529] يجسد واقعا ملموسا، فالجيش لا يستطيع العودة لأن السّفن قد أحرقت ولا يستطيع الصّبر على الجوع بالإضافة إلى قلة المؤونة بل انعدامها والتّي لا يمكن أخذها من العدّو إلاّ بالقتال نلاحظ أن المصداقية للتعبير بالجمل الاسمية.

يتضح من كلّ ما تقدم أن القائد ارتكز على الجمل الاسمية في صياغة نص خطبته ليؤكد واقعا ملموسا لا يمكن لأحد أن ينفيه.

إن تتبع الجمل الاسمية في نص المدونة يبرز اعتماده على الأداة التأكيديّة "ممّا يحتجّ به البصريون برواية الأنباري (ت 577 ه) أنّ وإنّ وأخواتها لمّا أشبهت الفعل من وجوه كثيرة، منها اشتمالها على معنى الفعل كان لها شأن الفعل... فإنّ على سبيل المثال معناها حقّقت أو أكدّت ... [530] وهو براغماتيّا عمل لغوي يعبر عن موقف اعتقادي هو أنا متحقّق، فإذا نقلنا مسألة "إنّ" هذه من كونها تفيد عملا لغويّا إلى كونها موقفا اعتقاديا أمكن لنا أن نعتبر دخول "إنّ" على كلامنا مفيدا معنى أنا متحقق كون كذا وهو كذا..." [531].

وهذا فعلا ما يظهر في الأقوال التّي جاءت في المدونة كقوله "إنّي أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه..." [532]وكذلك "... إنكم إن صبرتم على الأشق" [533] ونعلم أن الجمل الاسمية

---

[526]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 70.
[527]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[528]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 391.
[529]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[530]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ص 346 نقلا عن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ص 178، 226.
[531]- نفس المرجع، ص 340.
[532]- طارق بن زياد: من نص المدونة.
[533]- نفس المرجع.

تدّل على غايات متعددّة كالثبات والاستقرار، والإخبار والتأكيد. وما يمكن ملاحظته أن الجمل الاسمية التّي وردت هي في حد ذاتها نتيجة أو خلاصة يعتقد الخطيب أنها غير قابلة للتّغيّر يظهر أنّه استعمل لجمل اسميّة في القضايا التّي ثابتة قارة والحكم فيها صادق اليوم وغدا.

2- تركيبة الجمل الفعلية في المدونة:

استعمل أيضا الجمل الفعليّة ولأغراض كثيرة كالتّقرير والتّبرير والشّرح والنّصح والإرشاد ولذلك اختلف الزّمن فيها حسب الغرض.

أ- نسجل كثرة الأفعال الماضية:

مثل "امتدت، سمحتم، صبرتم، بلغكم، انتخبكم، هلكت، كفيتكم... الخ"

ويستعمل (قد + الفعل الماضي) للدلالة على أن ما يخبر به صارا أمرا أشبه ما يكون بالمتيّقن منه "... وقد استقبلكم عدوكم..." [534] وأيضا "فقد ألقت إليكم مدينته..." [535]كذلك في قوله "وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك..." [536].

ب-الأفعال المضارعة:

جاء بالمضارع في أكثر من مرة حيث اقترن (بلا) النّاهية ومن أمثلة ذلك قوله "فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ..." [537]يعدّ استعمال النّهي بهذه الصيغة دليلا صريحا على حرص القائد على أن يبلغ قصده التّوجيهي إلى الجيش، وأن يفهموا منه حرصه الشديد على التقيّد بهذه الوصايا وعدم مخالفتها، إذ لا تحتمل تأويلا غير معناها الحقيق الحرفي، فالقائد ينهى ضده على التخاذل والرّجوع إلى الوراء لأنّ في تقدمهم خيرا لهم وفرجا عظيما ومغانما كثيرة. والحقيقة أن النّهي لا يختلف عن الأمر وهذا ما يشهد به أكثر من عالم، ومنهم المبرد بقوله

---

[534]- نفس المرجع.
[535]- نفس المرجع.
[536]- نفس المرجع.
[537]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

"واعلم أن الطلب من النّهي بمنزلته من الأمر، يجري على لفظه كما جرى لفظ الأمر" [538] ولكن القائد فضّل أن يكون ناهيّا لا آمرا حتّى يصل إلى مبتغاه.

ج- أفعـــــال الأمر:

عدّ كثير من المحدثين الأمر من "الأفعال التّوجيهية وتفاوتت تعريفاته إلى أكثر من عنصر مثل دلالة بعض أدواته أو اعتبار بعض القرائن الأخرى، بما فيها رتبة المرسل، وتناولا كيف يعدّ الخطاب أمرا" [539] فالأمر "هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء أو الإلزام، ويدل على المستقبل لأنّه يطلب الفعل فيما لم يقع" [540] وللأمر دلالات كثيرة، كالوعد والوعيد والتّرغيب والتّرهيب والإقناع ...الخ فقد "يستعمل المرسل الإستراتيجيّة التّوجيهيّة لغير الأمر فللتوجيه وجوه كثيرة منها ما يسمى بالندب والتأديب وهذا ما يتفق مع استعمالات صيغ الأمر في اللغة العربيّة عندما يستعملها المرسل للإرشاد في خطاب التّعليمات التّي يعود النّفع فيها على المرسل إليه، ولذلك فهو يلتزم بما تدلّ عليه، لنّ في الخروج عن ذلك ضررا به ..."[541]ولأنّ الأمر يعدّ من أكثر الأساليب التّي يستعملها المرسل في الإسّتراتيجيّة الخطابيّة فإن هناك أدوات كثيرة لإنجاز الأمر، بشرط توفّر السّلطة وتوجّه المنفعة تجاه المرسل (...) فصيغة فعل الأمر الأصليّة هي (افعل) بيد أنّه لا فيه أن صيغ (افعل) ونحوها من الصّيغ الدّالة على المر ظاهرة في الطلب والاقتضاء وذلك أن الفعل المطلوب لابّد أن يكون فعله راجحا على تركه، فإذا كان ممتنع الترك كان واجبا، وإن لم يكن ممتنع الترك فإما أن يكون ترجحه لمصلحة أخرويّة فهو المندوب، وإما لمصلحة دنيويّة فهو الإرشاد، فالطلب الذي تدل عليه صيغة الأمر هو طلب الفعل، إمّا على وجه اللّزوم أو على وجه الندب أو الإرشاد" [542].

538- المبرد: الكامل، تحقيق نعيم زرزور، ج2، ص 279.
539- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: إستراتيجية الخطاب، ص 348.
540- فاضل صالح السمرائي: الجملة العربية، ص 107.
541- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: إستراتيجية الخطاب، ص 343.
542- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: إستراتيجية الخطاب، ص 344.

وإذا ما رجعنا إلى نص المدونة نجد الصّيغة الصّريحة للأمر وردت في عدّة مقاطع من الخطاب كقوله "فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة ..." "فاحملوا معي" وأيضا "فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه" وأيضا "اكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة" [543]

استعمل الأمر بالصيغة المعروفة بصورة متكررة، لأن الخطاب يتضمن تعليمات هامة وهي تعليمات قائد جيش المسلمين العالم بخبايا الحرب، الحريص على فتح هذه الجزيرة على الرغم من الصعوبات التّي تواجههم، والمرسل ينتج خطابه بهذه الصّورة بناء على ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه كما أنّه يؤكد للمرسل إليه على أن قصده هو الأمر تحديدا وليس فعلا غيره، ثمّ إنّنا نجده يستعمل صيغة الأمر الصريحة ولكن هذا الأمر ينطوي على الإرشاد لأنه يريد أن ينتبه المرسل إليه بصعوبة الأوضاع وخطورة العدوّ والذّي لا يرحمهم عند أول فرصة تتاح له. فقد جاء الأمر في قوله "اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام" [544] وكذلك قوله "واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالأرفة الألذّ طويلا ..." [545] وكذلك "اعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ..."[546]وردت الأفعال بصيغة الأمر الأصلية (افعل) وكما هو معلوم "فصيغة الأمر هو طلب الفعل إمّا على وجه اللزوم، أو على وجه الندب أو الإرشاد... " [547]فهذه الأقوال وردت للإرشاد والنّصيحة، ولأنّ الوضع الذّي يتواجد فيه الجيش تستدعي الحزم فإنّه صاغ على شكل أمر صريح، حفاظا على سلامة المجاهدين وحثّا لهم على الصّبر وتحمّل متاعب هذه المهمّة.

3-أسلوب الحذف:

لنظام العلاقات في التراكيب تأثيرا مشهودا في إقامة المعنى على وجه دون وجه والحذف كثير في العربيّة وقد "جرى في كلّ نوع من أنواع الكلم فقد جرى في جزء الكلمة نحو: لم يك وجرى في حروف المعاني نحو تا الله تفتأ... وحذف الفعل نحو "أنت سعيّا" أي

543- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
544- طارق بن زياد من نص الخطبة.
545- نفس المرجع.
546- نفس المرجع.
547- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: إستراتيجية الخطاب، ص 345.

تسعى وحذف الاسم في أحواله الإعرابيّة كحذف المبتدأ أو حذف الخبر وحذف المفعول وحذف الحال والمستثنى والمضاف إليه وغير ذلك... "[548].

وبالعودة إلى المدونة نجد أن الحذف جاء في عدّة مواطن وفي أكثر من موضع، فعلى سبيل المثال لا الحصر نسجّل أن الحذف شمل

أ: حذف المسند وذلك في قوله "البحر من ورائكم" "العدوّ أمامكم" [549] والتّقدير "البحر موجود وراءكم" و "العدو موجود أمامكم" وقد أعرض الخطيب عن ذكره لعلم السّامع به ولتفادي التّكرار الذّي يبعث الملل لدى السّامع وكذلك لإتباع الاستعمال الوارد.

ب: حذف المسند إليه نجده في قوله "فقاتله إن شاء الله" [550] والتّقدير "فأنا قاتله إن شاء الله" حذف المبتدأ لأن السياق يدلّ عليه، ثمّ إن القائد تفادى ذلك حتّى لا يقلل من شأن جنده، يقول القزويني "وإما لتخيل أن تركه تعويلا على شهادة العقل وإمّا لأن الخبر لا يصلح إلاّ له حقيقة أو إدعاء ..." [551].

جـــ: حذف حرف النّداء وذلك في قوله "أيّها النّاس ..." [552] والتّقدير "يا أيّها النّاس ويعود هذا النّوع من الحذف إلى "الاستخفاف لكثرة دورانه في الكلام ..." [553] بالإضافة إلى سهولة تقديرها، ولشعور المنادي بقربه من المنادى أي (القائد وجنده) بغرض إذابة المسافة بينهم، وقد تناول سيبويه هذه المسألة فقال: "المنادي مختص من بين أمته لأمرك ونهيك وخبرك" [554].

548- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية، ص 75.
549- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
550-طارق بن زياد من نص الخطبة.
551- الخطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة، ص 39.
552- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
553- فاصل صالح السامرائي: الجملة العربية، ص 92.
554- سيبويه: الكتاب، ج2، ص 232.

4- التّقديم والتّأخير:

جعل النّحاة للكلام رتبا بعضها أسبق من بعض فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التّقديم والتّأخير وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التّقديم والتّأخير، وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتّأخير يقول الجرجاني "... واعلم أن تقديم الشّيء على وجهيّن، تقديم يقال أنّه على نيّة التّأخير وذلك في كلّ شيء أقررته مع التّقديم على حكمه الذّي كان وفي جنسه الذّي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك "منطلق زيد، وصرب عمرا زيدا" معلوم أن "منطلق" و"عمرا" لم يخرجا بالتّقديم عما كان عليه، من كون هذا الخبر مبتدأ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا منصوبا من أجله كما يكون إذا أخرّت، وتقديم لا على نيّة التّأخير، ولكن على أن تنقل الشّيء عن حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه ..." [555].

والمتصفّح المدونة يجد تقديم المعمول على العامل وذلك بنية الاهتمام كما في قوله "...

وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال ..." [556] قدّم الجند على الخليفة وفي هذا رفعا من شأنهم وفد ذكر سيبويه أن العرب "كأنهم يقدّمون الذّي شانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمّانهم ويعنيانهم ..." [557]كما نجد التّقديم في القول التالي "ولن يعوزكم بطل تستندون أمركم إليه ..." [558] في كلّ مرّة نجده يقدّم المجاهدين على غيرهم، فقد قدّمهم على خليفة المسلمين مرّة، وعلى شخصه مرّة ثانية وفي كلّ هذا مظهرا من مظاهر الاهتمام والحفاوة بهم وكيف ذكر الزركشي أن التّقديم سببه "أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به".

كما نجد تقديم جواب الشّرط على الشّرك في قوله: "وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم بأنفسكم للموت ..." [559]قدّم جواب الشّرط لإظهار الجزاء والتّرغيب في الجهاد، فإن

---

[555]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 171.
[556]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[557]- سيبويه: الكتاب، ج1، ص 10.
[558]- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
[559]- نفس المرجع.

أخلصوا العمل للّه فالنّصر أكيد على العدّو، ولأنّ الإنسان يميل بطبعه إلى الخير ويستعجل النّصر، فقد بشرهم به قبل أوانه، وفي ذلك دفعا لهم على الجهاد.

5- كثـــــرة الصّفات:

انتشرت الصّفات على مساحة واسعة من المدونة ففي قوله "أيّها النّاس..."[560]

"فقد ألقت إليكم مدينته المحضنة ..." [561]

"... استمعتم بالأرفة الألذ طويلا ..." [562]

"... وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان الرافلات في الدّر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقبان، المقصورات في قصور الملوك ..." [563]

وأيضا "ولن يعوزكم بطل عائل ..." [564]

يقول الزركشي "الصّفة مخصصة إن وقعت صفة للنكرة وموضحة للمعرفة" [565] نجد أن الأقوال الأربعة الأولى جاءت لغرض التّعريف والتّوضيح ولزيادة البيان، وهذه الصّفات أغنت المدونة وزودّتها بنوع من الإيضاح، أمّا القول الخامس فقد وردت الصّفة **(عاقل)** لموصوف نكرة وفي هذا تخصيصا له.

6- البـــــــــدل:

القصد من البدل "الإيضاح بعد الإبهام، وهو يفيد البيان والتّأكيد ..." [566] ونجده في عدّة أقوال منها "... واعلموا أنكم في هذه الجزيرة ..." [567] وأيضا "... فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة ..." [568]

560- نفس المرجع.
561- نفس المرجع.
562- نفس المرجع.
563- نفس المرجع.
564- نفس المرجع.
565- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 422.
566- نفس المرجع/ ج2، ص 454.
567- طارق بن زياد: من نص المدونة.

"... إني حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق ..." (569)

"... وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك ..." (570).

جاء بالبدل ليؤكد أقواله وهو ما ذهب إليه سيبويه في قوله "... على أن من البدل ما الغرض منه التأكيد ..." (571) فالخطيب في حاجة إلى أدوات يؤكد بها ما يذهب إليه لأن الخطبة تهدف إلى الإقناع واستمالة المتلقين. وحتى يتفادى التّكرار جاء بالبدل عوضا عنه لأن البدل "في تقدير تكرار العامل ..." (572)

568- نفس المرجع.
569- نفس المرجع.
570- نفس المرجع.
571- سيبويه: الكتاب، ج2، ص 289.
572- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 455.

استثمار نظريّة السّلالم الحجاجيّة في الخطبة

يسعى الخطاب ألإقناعي إلى "إحداثيات تغيّير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه" (573) ولتحقيق هذه الغاية يلجأ المرسل إلى مجموعة من الحجج تتنامى تصاعديا بحيث تكون كلّ حجة أقوى من سابقاتها، حتى يصل الخطاب إلى الهدف المسطّر، "فالمرسل عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاده، فإن مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تندرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلاليّة متنوعة تجرّ الغير جرّا إلى الإقناع برأي المرسل" (574)

تتجلى "العلاقة المجازية بين الدّعوى والحجة لتصبح شبه منطقيّة إلى حدّ ما وذلك بالرّغم من أنّها تتجسد بطبيعة الحال من خلال الأدوات اللّغوية، فيتمثّل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها، إذ لا يثبت غالبا إلاّ الحجة التّي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السّياق ولذلك يرتب المرسل الحجج التّي يرى أنّها تتمتع بالقوة اللازمة التّي تدعم دعواه" (575) وهذا التّرتيب هو ما اصطلح عليه باسم السّلم الحجاجّي.

1- تعريف السّلم الحجاجّي:

يعرّفه عبد الرحمان على النّحو التّالي "هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبيّة وموفيّة بالشرطين التّاليين:

أ. كل قول يقع ف مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع التّي دونه.

ب. كل قول كان في السّلم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.

والمثال الآتي يبيّن ذلك:

ن (الفوز بمغانم الجزيرة)

جـ - القضاء على لذريق

ب - الحمل على العدّو

أ - الصّبر على الشدائد

573- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 271.

574- عبد الهادي ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 446.

575- نعمان بوقرة: الخطاب التّداولي بين التراث والدّراسات الغربية الحديثة ص 27.

حيث أ و ب و جــ ترمز إلى الأدلة و(ن) إلى النتيجة التّي يصل إليها الجند إن تمكنوا الشدائد كالخوف والجوع والتّعب ثمّ مهاجمة العدّو بما يتوفرون عليه من أسلحة وأخيرا القضاء على قائد جيش العدّو (لذريق)، فحينئذ القول (جــ) يلزم عنه القول (ب) الذّي يلزم عنه بدوره القول (أ)، كما أنّ (جــ) هو أقوى إثباتا لمدلول (ن) من (ب) الذّي بدوره أقوى لهذا المدلول (ن) من (أ) بمعنى آخر أن القول (جــ) يقع في أعلى السّلم لأنّ بالقضاء على لذريق تحسم المعركة لصالح المسلمين وبالتّالي فتح الجزيرة ومنه الفوز بمغانمها الكثيرة والمتنوعة.

2- أهميّة السّلم الحجاجّي:

إذا كانت الحجج تتفاوت من حيث قوة الإثبات فإنّ "السّلم الحجاجّي في الخطاب من حيث تركيزه على مبدأ التّدرج في المنحى على مرجع محدد بل هي رهينة القوة والضّعف، الذّي ينفي عنها لمنطق الصّق والكذب ومما تجدر الإشارة إليه أن المتكلمين يختلفون في بناء منظومة السّلالم إذ أنّها متّسمة بالخصوصيّة والذّاتية ..." [576]فالحجج تصاغ وترتب حسب معتقد وثقافة المتلقين فما يصلح أن يكون دامغة في مجتمع معيّن قد لا يصلح في غيره.

3- قوانين السّلم الحجاجّي:

ارتبطت فكرة الحجاج لدى (ديكرو) بمفهوم السّلم الحجاجّي الذّي تشكّل الرّوابط المنطقيّة درجاته ولهذا قوانين تضبطه نوجزها فيما يلي:

1.3 قانون الخفض:

ويعرّفه طه عبد الرحمان "أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التّي تقع تحتها ..." [577] والمثال التّالي يوّضح ذلك

---

[576]- نعمان بوقرة: الخطاب التّداولي بين التراث والدّراسات الغربية الحديثة، ص 52.

[577]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 272.

ن القضاء على لذريق

جـ - السماح بالأنفس بالموت

ب - انتهاز الفرصة المتاحة

أ - الصّدق والصّبر

فهذه الحجج كلّها تؤكدّ "القضاء على لذريق" ولقد رتبت وفق درجات قوتها على المدلول فلقد بدأ بأقلها دلالة إذ يعدّ الصّبر والصّدق الواجب توفرّها في المجاهد وهكذا تتعالى الحجج ليضيف كلّ منها مبررا أقوى للقضاء على هذا الطاغية لأنّ الصّبر والصدق لا يكفيان لضمان القضاء على قائد جيش العدّو ولكنّ انتهاز الفرصة المتاحة والتّحلي بالشجاعة والإقدام من شأنهما أن يضاعفا من فرصة القضاء عليه ثمّ تأتي الأقوى ألا وهي السّماح بالأنفس للموت. نلاحظ كيف أن الحجة (جـ) رتبت في أعلى السّلم الحجاجّي لأنها أقوى في الدّلالة على الوصول غلى النتيجة والمتمثلة في القضاء على لذريق. ويؤدي نفي احد الحجج إلى نفي مدلول الخطاب وهذا هو القانون الثّاني للسّلم الحجاجي والذّي يسميه طه عبد الرحمان.

2.3 قانون تبديل السّلم:

يبيّن هذا القانون أنّه "إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله" [578] إذ يمكن أن ينفي المرسل القضاء على لذريق بالقول التّالي "لم ينتهزوا الفرصة المتاحة لهم" ولكن قوة النّفي "تترتب ترتيبا عكسيّا، إذ أن نفي ما يقع في أدنى السّلم هو نفي أقوى لمدلول الخطاب" [579] فنفي صفة الصّبر دليل أقوى من كلّ الأدلة الأخرى لأنّ النّصر لا يكون حليف جيش يجزع لأيّ ظرف يحلّ به، وبما أنّه لا يقوى على الصّبر فإنه لن يتمكن من انتهاز الفرصة المتاحة، بيد أن نفي أي درجة أو دليل في السّلم لا يستلزم نفي ما يقع في المرتبة التّي تدنوه، فنفي انتهاز الفرصة لا ينفي بالضّرورة صدق وصبر المجاهدين.

578- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 273.

579- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، ص 502.

3.3 قانون القلب:

يتضح من خلال هذا القانون أنّه "إذا كان أحد القوانين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإن نقيض الثّاني أقوى من نقيض الأول في التّدليل على نقيض المدلول" [580] وهذا المثال يوضح ذلك.

ن (التّمتع بغنائم الجزيرة

جـ - قتل لذريق

ب - محاربة العدّو

أ - الصّبر على الشّدائد

من خلال هذا المثال نجد أنّ قتل لذريق أقوى دلالة على إمكانية التّمتع بمغانم الجزيرة من محاربة العدّو، ولأنّ بقتله تفتح أبواب المدينة وتخضع لسلطان المسلمين وبالتّالي يتمتع الفاتحون بمغانم المدينة التّي وعدهم إياهم القائد طارق بن زياد، ولذلك فنفي محاربتهم لجيش العدّو دليل أقوى على عدم التّمتع بالمغانم لأنّ القضاء على لذريق لا يكون إلاّ بخوض المعركة ضد جيشه.

وإذا كان السّلم الحجاجّي "يبدو مقتصرا على العلاقات اللّغوية أو شبه المنطقيّة، إدراج كثير من أدوات الحجاج وآلياته ضمنه ليصبح إطارا عاما لتفاضل الحجج، بل وتغليب بعضها على البعض الآخر، انطلاقا من المخزون اللغوي ونظامه والتّرتيبات المكتنزة في ذهن الإنسان بتفعيل الكفاءة التّداوليّة" [581] وعليه فإن الآليات التّي تسمح بترتيب الحجج متنوعة وكثيرة نذكر بعضها.

[580]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 274.

[581]- أبو بكر العزاوي: نحو مقاربة حجاجيةللاستعارة، مجلة المناظرة، ص 16.

4- وسائل السّلّم الحجاجّي:

يتحقق ترتيب الحجج باستعمال أدوات لغويّة وآليات شبه منطقيّة تتمثل في:

- الأدوات اللّغوية كالروابط الحجاجيّة، والسّمات الدلاليّة، ودرجات التوكيد.
- الصّيغ الصّرفيّة (أفعل التفضيل، صيغ المبالغة)
- حجة الدّليل [582]

ونحاول أن نبيّن كيف وردت هذه الآليات في نص المدونة.

1.4 الرّوابط الحجاجيّة:

من المعلوم أن الرّابط الحجاجّي "يقوم بعملية الرّبط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب" [583].

2.4 السّمات الدّلاليّة:

يعود ترتيب الحجج إلى "رؤية المرسل فإنّ الحجة الواحدة قد ترتقي إلى أعلى السّلّم من وجهة نظر معينة، كما قد تدنو إلى أدنى السّلّم حسب وجهة نظر أخرى ..." [584]ونستطيع أن نمثّل لذلك على النّحو الآتي:

ن (نيل ثواب الله)

د - نشر الدّين وإعلاء كلمة الله على هذه الجزيرة

جـ - فتح الجزيرة

ب - قتل لذريق

أ - الجهاد في سبيل الله

582- عبد الهادي بن ظافر عشير: استراتيجيات الخطاب، ص 507.

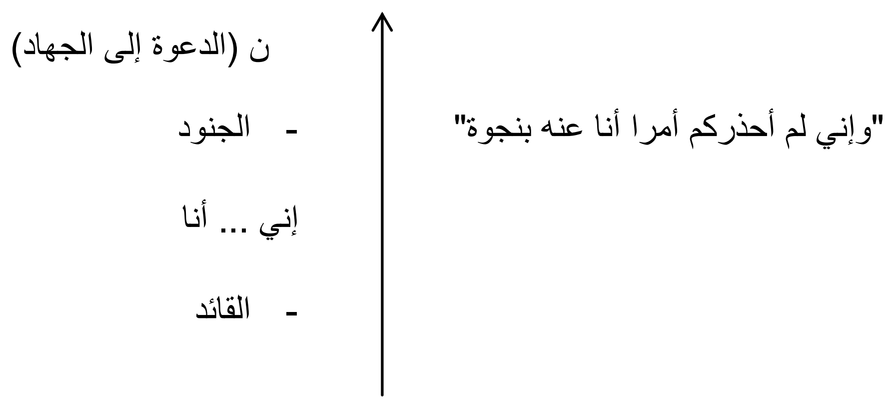
583- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 197.

584- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، ص 521.

فلو نظرنا إلى الحجاج حول نيل "ثواب الله" لوجدنا أن الخطيب قد وضع إعلاء كلمة الله (نشر الدين) أعلى السّلم الحجاجّي وهو ما يمكن تصنيفه على أنّه بمثابة السّمات الدّلاليّة فلو كان الأمر يتعلق بغير المسلمين لاختلف ترتيب الحجج "وهو ما يجعل الخطاب بهذه الصّورة أقوى حجاجيّا" [585]فقد رتّب الحجج بطريقة "تفيد العمليّة فتبرز استناد الرّبط مع النتيجة إلى ما ينزّل المتّفق عليه بين المتخاطبين" [586] وطبعا نيل الشهادة يجمع على أنه أسمى الهداف بالنسبة للمسلمين.

3.4 درجات التّوكيد:

لقد سبق الحديث عن أدوات التّوكيد ودورها في العمليّة الحجاجيّة ويمكن أن نمثلها على السّلم الحجاجّي بالطريقة التّالية:

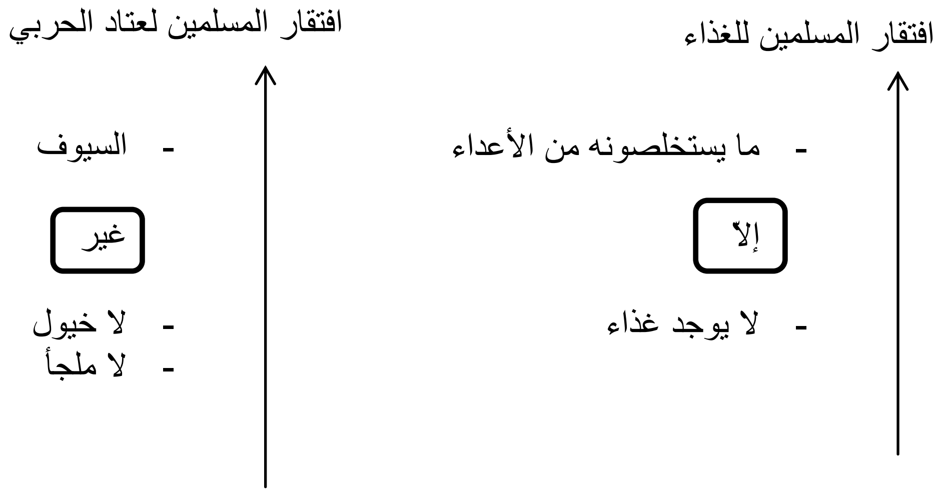


بالإضافة إلى هذه الروابط هناك " التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجيّة كالتركيب الذّي يتضمن الأداتين (ما ... إلاّ) في ترتيب الحجج في سلم واحد، إذ إن (ما ... إلاّ) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض ..." [587] وهذا النّوع من التّركيب استثمره الخطيب لإقناع الجند وتوجيه الخطاب نحو الوجهة التّي سطّرها ففي قوله

585- نعمان بوقرة: الخطاب التداولي بين التراث والدّراسات الغربية الحديثة ص 57.
586- نعمان بوقرة: الخطاب التداولي بين التراث والدّراسات الغربية الحديثة ص 57، 58.
587- أبو بكر العزاوي: نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، ص 18.

"البحر من ورائكم والعدّو أمامكم... فليس لكم والله إلاّ الصّدق والصّبر" [588] إذا صنّف الخطيب بواسطة استعمال هذا التركيب حججه إلى أكثر من مستوى، وبالتالي إلى أكثر من قوة، أقواها هو ما جاء بعد إلاّ أي (الصّدق والصّبر) إذ جعل الصّدق والصّبر في أعلى السّلم الحجاجّي فقد وجهت (إلاّ) القول إلى ما جاء بعدها وهو كذلك لأنّ الجنود لا يملكون ما يملكه العدّو من أسلحة ومؤونة ولو قال "لديكم الصدق والصّبر" لظنّ السّامع أنّهم يملكون أشياء أخرى فالرّابط (إلاّ) عمل على إلغاء كلّ ما جاء قبلها وبالتّالي يرتب (الصّدق والصّبر) في أعلى السّلم الحجاجّي وكذلك قوله "وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم إلاّ ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم" [589] في هذا القول أيضا ترتيبا للحجج، فجيش المسلمين يفتقر لمقومات الحياة والصّمود على هذه الجزيرة فلا سلاح (غير سيوفهم) فالرّابط (غير) وجّه القول إلى ما جاء بعدها حتّى يتيقن السّامع أن هؤلاء الجنود لا يملكون وسائل متعددّة بل سلاحهم يتمثل في السيوف لا غير. إذن هناك ترتيب عمل الرابط (غير) على إبرازه والأمر نفسه بالنسبة للشّطر الثاني من القول (ولا أقوات لكم إلاّ ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم ..."

المعلوم أنّهم جاءوا إلى هذه الجزيرة على متن سفن قام القائد بحرقها فانعدمت أسباب الحياة أولها الغذاء العامل الرئيس لاستمرار البقاء ولا يمكن الحصول عليه إلاّ من العداء فالرّابط (إلاّ) وجّه القول إلى ما جاء بعدها ويمكن التّمثيل بهذا الرسم.



588- طارق بن زياد: من نص الخطبة.
589- طارق بن زياد: من نص الخطبة.

4.4 الصّيغ الصّرفيّة:

إنّ عمل المحاجة يحتاج إلى جانبين "أحدهما هو تقديم الحجة والآخر هو استخلاص النتيجة" (590) والصّيغ تلعب دورا هامّا في استخلاص نتيجة بعينها والتّحليل التّداولي للصّيغ الصّرفية يبرز الفروق الموجودة بين الأقوال ومن أمثلة ذلك نسوق ما ورد على لسان طارق بن زياد.

"واعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفة الألذّ طويلا" يبدو أن هناك اتفاقا على الأوقات التّي يعيشها الجند صعبة جدا والذّي أكد هذا القول الصّيغة الصّرفية **(**أشق**)** فلا يمكن القول بأن الشقاء آخر وبالتّالي يقع في أعلى السّلم الحجاجّي وكذلك الأمر بالنسبة للصيغة الصّرفية (ألذ) فالنّعيم الذّي سيسود الجند لا يضاهيه نعيم (قصور، حور حسان، أعلاء كلمة الله على أرض الجزيرة**)** لأنّه يجمع بين الدنيا والآخرة فالخير الذي سيعمّهم أبديّ لأنّه رضي الله عنهم. فالصيغة الصّرفية وجهت القول إلى أعلى مراتب السّلم الحجاجّي.

---

[590]- شكري المبخوت: صمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 375.

الخاتمة

أفضى هذا البحث إلى جملة من النتائج،وإن كنت أضع لكل فصل من الفصول شبه خلاصة،أضمّنها أهم الأفكار الرّئيسة الواردة.

تعود دراسة النّص الحجاجّي إلى أزمنة خلت، ابتداء من مؤلفات أرسطو ولاسيما في الخطابة،ثمّ ما توارثه العرب عن أصول الخطابة انتهاء إلى الإرث الفكري الضّخم الذّي أحاط بكل ما يمكن أن يطرأ على هذا النّص من خلال تطبيقات كبار المفكرين و الفلاسفة .

الحجاج عنوان كبير لممارسات فكريّة نشيطة، يتسرب إلى كافة مناحي الحياة،وعند الجميع من ابسط النّاس مستوى إلى أكثرهم لددّا وقوة في الخصومة،فالحجاج من أهم أنواع الخطاب تندرج تحته أجناس عدّة باعتبار وجود عناصر مهمّة والعمل الحجاجّي النّاجح،الذّي استوفى كلّ الشّروط المؤديّة إلى الإقناع من خلال المرتكزات المنطقيّة والأساليب اللغوية خاصّة ونحن نعيش زمن صعبا،سيّطر فيه على العلم إلما بدور وسائل الإعلام السّمعيّة والمرئيّة،بحيث يمكن أن يشكّل الحجاج مذهبا للنّاس، يقوي فيهم روح البحث والتّدقيق فيما يعرض عليهم –وبخاصة الأطفال–وينمي وظيفة العقل ويمنحه مناعة،ويجعله لا يقبل ما يرى وما يسمع من أخلاق غريبة وعادات فاسدة،وأنماط تفكير منحرفة في وسائل الإعلام الغربيّة والعربيّة، لان التلقي حينها سيكون قادرا على مواجهة كلّ ذلك بالحجة الصائبة الدّينيّة والأخلاقية والعقليّة ،بل على المسلمين أن يستفيدوا كما استفاد الغربيون في توظيف الحجاج في فعل أهم شيء، الدّعوة إلى القيّم الرّوحيّة للإسلام الحقيقي.

يعد طارق ابن زياد من أشهر زعماء المقاومة الإسلامية في العصر العربي الوسيط وقد استطاع بواسطة عقيدة الإسلام وسماحة الدين ويسر الشّريعة الرّبانيّة أن يتعلّم القران الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، و بفضلها فتح الأندلس ونشر الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيريّة وتعتبر خطبته التّي ألقاها على مسمع من اثنيّ عشر ألف جندي أقدم نص نثري في الأدب المغربي ، و من ثم يكون طارق أول أديب مغربي أرسى دعائم الأدب في المغرب العربي ووطّد أسسه الفنيّة و الجماليّة على مرتكزات أسلوبيّة آية في الرّوعة و البيان و التّصوير الفني فقد حفلت خطبته بحجّج منطقيّة مؤسسّة على بنيّة الواقع ساهمت بشكل كبير

في التّأثير والإقناع بل أكثر من ذلك كانت حافزا قويا للنّصر الذّي أدى إلى فتح الأندلس وبالإضافة إلى الحجّج المتنّوعة فقد صاغ خطبته بأسلوب رائع تفاعلت فيه البني اللسانيّة(كالرّبط، التّكرار، الازدواج، والإحالة) والصّور البيانيّة(استعارة ،تشبيه ،مجاز) ومحسنات بديعيّة(طباق ،جناس) فعملت على اتّساق النّص وانسجامه .

ويكفي طارق فخرا ومجدا ما كان يجري على لسانه من فصاحة وبلاغة وقدرة على الإقناع، وسيبقى خلدا في صفحات التّاريخ بفضل فتحه الأندلس الفيحاء، وبسبب خطبته المشهورة التي حيّرت الفصحاء والبلغاء لروعة بيانها، وجمال أسلوبها ودقة صورها الفنية.

أخيرا وليس آخرا، أرجو أن يكون هذا البحث إضافة مفيدة ولو قليلا لمكتبتنا،إن نجحت فبتوفيق من الله وإن أخطأت فمن نفسي.

والله المـــــــــــــــــــوفق

الملحق

وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة أمركم بمناجزة هذا الطّاغية،فقدألقت به إليكم مدينته المحصنة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم بأنفسكم للموت. واني لم أحذركمأمراأنا عنه بنجوة،ولاحمّلتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس(من غيرأن)أبدأ بنفسي، واعلموا أنكمإن صبرتم على الأشقّ قليلا، استمتعتم بالأرفة الألذّ طويلا،فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيهأوفر من حظي ،وقد بلغكم ماأنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان،الرّافلات في الدرّ والمرجان،والحلل المنسوجة بالعقيان،المقصورات في قصور الملوك ذوي التّيجان،وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذهالجزيرةأصهاراوأختانا،ثقة منه بارتياحكم للطعان،واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه ،بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خاصة لكم مندونه ومن دون المسلمين سواكم ،والله وليّ أنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدّارين.

واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله، فاحملوا معي، فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه، وان هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ،فإنهم بعده يخذلون .[591]

1- المقري شهاب الدين: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس ص 168.

مصطلحات البحث

تثبيت المصطلحات	
(A)	
Acte / action	فعل
Acte d'argumentation	فعل حجاجي
Acte illocutionnaire	الفعل اللاقولي
Acte locutionnaire	الفعل القولي
Acte perlocutionnaire	الفعل التأثيري
Acte présupposé	فعل المقتضى
Adition	الإضافة
Analogue	مماثلة
Argument	الحجة
Argumentation	الحجاج
Argumentation persuasive	الحجاج الاقنا عي
Argumentation convaincante	الحجاج الاقتناعي
Argumentation par l'ignorance	الحجاج بالتجهيل
Argumentation d'autorité	الحجاج بالسلطة
L'auditoire universel	الجمهور الكوني
Argumentation de la présence	تقوية حضور الشيء (في الذهن)
(C)	
Clarification	التوضيح
Conditions de succès	شروط النجاح
Conditions d'emploi	شروط الاستعمال
Cohésion	الاتساق (الربط النصي)
Contexte	السياق
Contrat	العقد
Conviction	الاقتناع
Corpus	المدونة

(D)	
Débat	المناظرة
Définition	التعريف (الحد)
Démonstration	البرهان
Délibératif	مشاوري
Dialogue	حوار
Discussion	مناقشة
Disputeur	معاند
Division	التقسيم
Discours	الخطاب
(E)	
Elaboration	الأحكام
Glorification	التعظيم
Enthymème	الضمير
Heuristique	استكشاف
Exemple	المثال
Exemplification	الشرح بالتمثيل
Expansion	التمديد، التوسع
Echelle argumentative	السلم الحجاجي
(G)	
Giduciare	مشاجري
(I)	
Indiction	الاستقراء
Intertextualité	التناص
(L)	
Lieux	المواضع
Lieux d'accident	مواضع العرض
Lieux de définition	مواضع الحد
Lieux de genre	مواضع الجنس

Lieux de propre	المواضع الخاصة
Lieux de qualité	مواضع الكيف
Lieux de quantité	مواضع الكم
(M)	
Maxime de modalité	بديهة التوجيه
Maxime de qualité	بديهة الصدق
Maxime de quantité	بديهة الكمية
Maxime de relation	بديهة العلاقة
(N)	
Négation	النفي
Négativisme	السلبية
La nouvelle rhétorique	البلاغة الجديدة
(O)	
Opinion	ظن (رأي)
(P)	
Paralogisme	مغالطة
Parallélisme	التوازي
Performance	انجاز (الكلام)
Persuasion	الإقناع
Partition	التوزيع
Preuves communes	الحجج المشتركة
Preuves particulières	الحجج الخاصة
Principe de pertinence	قانون الإفادة
Principe de sincérité	قانون الصدق
(R)	
Raisonnement	الاستدلال
Référence	الإحالة
Réfutations sophistique	التبكيتات السفسطائية
Réfutatif	تبكيتي، تفنيدي
(S)	

Savoir	معرفة
Science	علم
Syllogisme	القياس المنطقي
Sarites	القياس المتدرج
Structure	بنية
Synonyme	مترادف
Syntagmatique	التركيبية
Système	نسق(نظام)
Sémantique	الدلالة
Sophistes	السفسطائيون

المصادر
والمراجع

أولا-المصـــــدر:

1- القرآن الكريم،برواية حفص عن عاصم دار علوم القرآن،دمشق،ط1،1405ه

ثانيا-المراجع العربية القديمة ومنها المعاجم:

ابن الأثير(ضياء الدين)

2-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار المعرفة،بيروت 1989.

ابن جني(أبو الفتح عثمان)

3-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،تحقيق علي النجدي وناصف عبد الحليم،دار المعرفة ،بيروت1986.

ابن الجوزي(جمال الدين أبو الفرج)

4-تلبيس إبليس، تحقيق خالد بن محمد بن عثمان، قدّم له علي عبد العال طهطاوي، مكتبة الصفا، ط1،1432ه-2001م

ابن خلدون (عبد الرحمن)

5-المقدمة، مكتبة صادر، ط 1 ،2000

الاسترباذي(رضي الدين)

6-شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت2000.

ابن كثير(أبو الفداء الحافظ)

البداية والنهاية، تحقيق جمهور من المحققين، مكتبة المعارف، بيروت، ط6 ،1405ه 1985م

ابن مضاء(القرطبي)

8-الرد على النحاة،تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف،ط2 ،مصر، 1982.

الباجي(أبو الوليد)

9- المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي،ط 2، دار الغرب الإسلامي،1987.

الجاحظ (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)

10- البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان)

11- دلائل الإعجاز،تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، د ت10-

الخطيب(القزويني)

12- الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، د ت

الزجاج(أبوإسحاق)

13- إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني ،بيروت،1994

الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)

14- المفصل في علوم البلاغة، تحقيق سعيد محمود عقيل،دار الجيل ، بيروت

15- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار الفكر والتوزيع عمان،2000.

السكاكي(أبو يعقوب)

16- مفتاح العلوم ،ضبط وتصحيح احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت

سيبويه(أبو بشر عمر بن قنبر)

17- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت 1991

السيوطي(جلال الدين)

18- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح احمد شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،1988

المبرد(أبو العباس)

19- الكامل، تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية، بيروت

المقري (شهاب الدّين)

20- نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب،تحقيق

ثالثا- المراجع العربية الحديثة والمترجمة:

أرسطو

21- الخطابة،ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة مطبوعات الكتب ودار القلم،بيروت 1979

بناني(محمد الصغير)

22-النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيات والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر 1983

بوجادي(خليفة)

23-في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009

بوقره(نعمان)

24- النظرية البيانية عند ابن حزم الأندلسي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 ،2005

25- مباحث في اللسانيات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007

26- الخطاب التداولي بين التراث والدّراسات الغربية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب

27- جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع 1430ه -2009م

الجابري(محمد)

28- تكوين العقل العربي، مكتبة صادر، بيروت ، د ت

الجراري (عباس)

29- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه مكتبة المعارف ، الرباط ،1982

حجازي(محمود فهمي)

30- عام اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة د ت.

حركات(إبراهيم)

31- المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الرباط، ط1، 2000

الحمزاوي(محمد حبيب)

32- فن الحوار والمناظرة في الأدبين العربي والفارسي في العصر الحديث، دراسة مقارنة، مركز الإسكندرية للكتاب، ط 1، 2001م

خطابي(محمد)

33- لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي،بيروت ، 1999

خفاجي(عبد المنعم)

34- البحوث الأدبية مصادرها ومناهجها، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان.

الدريدي(سامية)

35- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث اربد وجدار الكتاب العالمي، ط1، 1418هـ -1998م

دومنيك(مانقونو)

36- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن،منشورات الاختلاط ط22005

ديبوغراند(روبرت)

37- النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان،عالم الكتب،القاهرة، ط1، 1418هـ -1998م

السبعاوي(طه عبد الله)

38- أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، 2005

السعران(محمود)

39- علم اللغة،دار النهضة العربية، بيروت،د ت

السمرائي (فاضل صالح)

40- الجملة العربية،دار الفكر للنشر،الأردن،2009

سعيد ييف(ارنور) وسلوم(توفيق)

41- الفلسفة العربية الإسلامية، دار فارابي، لبنان، ط2 ، 2000

الشهري(عبد الهادي بن ظافر)

42-إستراتيجية الخطاب،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 2004.

الصّديق (حسين)

43- المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان، ط1،2000

الصلابي(علي محمد)

44- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الفجر للتراث، القاهرة،2005

صلاح (حسين)

45- مدخل إلى علم الدلالة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 2008

طه (عبد الرحمن)

46- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ،ط 2، 2000

47- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،المركز الثقافي العربي ،ط2، 2006

48- تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط1،1994

عدناني (عبد القادر)

49- الفلسفة، المعهد التربوي الوطني، الجزائر

العزاوي (ابوبكر)

50- اللغة والحجاج، الرّحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009

51- الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 2010.

عشير (عبد السلام)

52-عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق 2006

عطية (محمد هاشم)

53-الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، 1999

عمايرة (خليل احمد)

54- آراء غي الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث،دار النشر، عمان، ط1،1989

العمري(محمد)

55- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها إفريقيا الشرق،بيروت، 2000

56- في بلاغة الخطاب الاقناعي،مدخل نضري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، بيروت

الفقي (صبحي إبراهيم)

57- علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السّور المكية، دار قباء للطباعةوالنشر والتوزيع، 2004

الكتاني(محمد)

58-جدل العقل والنقل في مناهج التّفكير الإسلامي،دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،ط1، 1992

كنون (عبد الله)

59-صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الفجر للتراث،القاهرة،2005

كورنفورت (موريس)

60- مدخل إلى المادية الجدلية،ترجمة محمد مصطفى، دار الغرابي، بيروت،1984

لاشين (عبد الفتاح)

61-المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة،1999

لايكوف (جورج)

62-الاستعارة التي نحيا بها، ترجمة محمد عبد الجليل العريض،دار النهضة العربية،د ت

محمد حماسة (عبد اللطيف)

63- بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة، 2003

محمد رضا (عبد الرحمن)

64- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية، دار الفكر العربي، 2000

مزيان (محمد)

65-مدخل إلى نظريات الاتصال، دار لآلة سكينة،الجزائر،ط1،2008

مفتاح (محمد)

66-تحليل الخطاب الشعري،إستراتيجية التناص، المركز الثقافي،الدار البيضاء، ط3،1992

مليكة (غبار) ومحمد (رويض) واحمد (أمزيل) وعلي(أعجوز)

67-الحجاج في درس الفلسفة ،إفريقيا الشرق، المغرب،2006

رابعا – السلاسل سلسلة آداب ،فريق البحث في البلاغة والحجاج، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب ،منوبة، تونس

سلسلة لسانيات،المجلد13 ،صوله (عبد الله)،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،منشورات كلية الآداب بمنوبة ،تونس،2001،(الجزء 1،

الدوريات

مجلة فصول،البلاغة عند اليونان، عبد الجبار الشرافي، المجلد14،العدد4، شتاء 1996

مجلة عالم الفكر ،الحجاج والاستدلال الحجاجي، حبيب أعراب،الكويت،ع1 سبتمبر2001.

مجلة علامات، العمري (محمد)، هل يوجد حجاج غير بلاغي، المجلد6، العدد 4،شتاء 1996

مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، 1996

مجلة المناظرة، نحو مقاربة حجاجيّة للاستعارة، العدد 4، ماي 1991

خامسا – المراجع الأجنبية

Austin (John lamgshaw)

1-Quand dire c’est faire , traduction française de : Gille lane – postface de : Français Récanati – édition du seuil ,paris ,1970

Ducrot (Oswald)

2- Les échelles argumentatives , Minuit , paris , 1980
3- Le dire et le dit , Minuit , paris , 1984
4- Dire et ne pas dit , principes de sémantiques , linguistique,hermann,1972
5- Dubois(Jean) et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse,1994

6-Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, paris, éd du seui,l1994

Meyer(Michel)

7-logique, langage et argumentation, hachette, paris,1982

Moeschler(Jaques)

8-Elément de rhétorique et d’argumentation, dunod, paris,1993

Perlman(Charles) et O blrechts(Tytecal)

9-Traite de l’argumentation, la nouvelle rhétorique,ed,de l’université de Bruxelles

10-Petit Robert ,dictionnaire de la langue français,1ér rédaction, paris,1990

11-Longman,dictionary of contemporary english,longman,1989

الفهرس

الفهرس

الفصل الثاني الحجاج مفهومه، آلياته، وخصائصه اللسانية والعقليّة

الفصل الثّالث التّحليل النّصي الحجاجي لخطبة طارق بن زياد

الفصل الرّابع: آلية بناء الحجاج